Agatha Christie®

أجاثا كريستي

الشاهد الصامت

مقتل الآنسة إميلي أروندیل

رواية بوليسية للمحقق هيركيول بوارو

نشرت من قبل تحت اسم POIROT LOSES A CLIENT

الشاهد الصامت

أجاثا كريستي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

Agatha Christie®

Dumb Witness

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

إخلاء مسؤولية

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية من الكتاب. وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهدنا في نشر وترجمة الطبعة العربية، فإننا لا نتحمل أي مسؤولية أو نقدم أي ضمان فيما يتعلق بصحة أو اكتمال المادة التي يضمها الكتاب. لذا فإننا لا نتحمل، تحت أي ظرف من الظروف، مسؤولية أي خسائر أو تعويضات سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة، أو عرضية، أو خاصة، أو مترتبة، أو أخرى. كما أننا نخلي مسؤوليتنا بصفة خاصة عن أي ضمانات حول ملاءمة الكتاب عموماً أو ملاءمته لغرض معين.

الطبعة الأولى ٢٠١٤

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2014. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى.

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاءً شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك.
نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١١ ٩٦٦+

Dumb Witness Copyright © 1937 Agatha Christie Limited. All rights reserved.
AGATHA CHRISTIE, POIROT and the Agatha Christie Signature are registered trade marks of Agatha Christie Limited in the UK and/or elsewhere. All rights reserved.

Translation entitled "الشاهد الصامت" © 2014 Agatha Christie Limited.
All rights reserved.

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

نبذة عن المؤلفة

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات التي نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابَيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز**. وفي رواية جريمة *قتل في المعبد*** التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي سكوتلاند يارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي تم افتتاحها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة *في قطار الشرق السريع**** (١٩٧٤) *وجريمة قتل على ضفاف النيل***** (١٩٧٨)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان ألبرت فيني و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبدًا، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

* متوافرة لدى مكتبة جرير
** متوافرة لدى مكتبة جرير
*** متوافرة لدى مكتبة جرير
**** متوافرة لدى مكتبة جرير

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحدًا من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

راكب إلى فرانكفورت
إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
خطر في إند هاوس
القتل السهل
الموت على ضفاف النيل
القضية الغامضة في مدينة ستايلز
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الموت يأتي في النهاية

ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
السيد كوين الغامض
تحريات باركرباين
من الذى قتل السيد روجر أكرويد
أبجدية القتلى
جريمة وانتقام
موت في السحاب
بيت الرجل الميت
شجرة السرو الحزينة
واختفى كل شيء
جريمة في بغداد

إهداء إلى بيتر العزيز؛

أكثر الأصدقاء وفاءً

وأعز الرفاق،

كلب لا مثيل له

المحتويات

١	سيدة منزل ليتلجرين	١
٢	الأقارب	١٤
٣	الحادث	٢٢
٤	الآنسة أروندیل تكتب خطابًا	٣١
٥	هيركيول بوارو يتلقى خطابًا	٣٥
٦	رحلتنا إلى منزل ليتلجرين	٤٣
٧	مقابلة في فندق جورج	٥٣
٨	بداخل منزل ليتلجرين	٦٠
٩	إعادة تمثيل حادثة الكلب	٨٠
١٠	زيارة إلى الآنسة بيبودي	٩٠
١١	زيارة إلى الآنستين تريب	١٠٣
١٢	بوارو يناقش القضية	١١٢
١٣	تريزا أروندیل	١٢٠
١٤	تشارلز أروندیل	١٣٠
١٥	الآنسة لوسون	١٤١
١٦	السيدة تانيوس	١٥٨
١٧	دكتور تانيوس	١٦٥
١٨	الأسرار المحجوبة	١٧٢

١٩	زيارة إلى السيد بيرفيس	١٨٠
٢٠	زيارة ثانية لمنزل ليتلجرين	١٩٢
٢١	الصيدلي، والممرضة، والطبيب	٢٠٣
٢٢	المرأة الواقفة على السلالم	٢١٦
٢٣	زيارة من دكتور تانيوس	٢٣١
٢٤	إنكار تريزا	٢٤٠
٢٥	أنا أستلقي وأتأمل الوضع	٢٤٩
٢٦	السيدة تانيوس ترفض أن تتكلم	٢٥٧
٢٧	زيارة من دكتور دونالدسون	٢٦٨
٢٨	ضحية أخرى	٢٧٣
٢٩	تحقيق في منزل ليتلجرين	٢٨٠
٣٠	كلمة أخيرة	٢٩٤

www.lilas.com/bb3
uploaded and scanned
by :
THE GHOST 92
2017

الأول

سيدة منزل ليتلجرين

توفيت الآنسة أروندیل في الأول من مايو. ورغم أن فترة مرضها كانت قصيرة، فلم تثر وفاتها الكثير من الدهشة في بلدة ماركيت بيسينج الريفية الصغيرة التي كانت تعيش فيها منذ كانت في السادسة عشرة من عمرها؛ وذلك لأن إميلي أروندیل كانت قد تجاوزت السبعين من عمرها بعدة سنوات، وكان آخر أفراد أسرتها، المكونة من خمسة، على قيد الحياة، وكان من المعروف أن صحتها قد اعتلت منذ سنوات عديدة، وأنها قد أصيبت بنوبة مرضية منذ ما يقرب من ثمانية عشر شهرًا مضت، شبيهة بتلك التي أودت بحياتها أخيرًا.

ومع أن وفاة الآنسة أروندیل لم تدهش أحدًا، فإن هناك شيئًا آخر قد أدهش الكثيرين؛ فقد أثارت بنود وصيتها مشاعر مختلفة: بين دهشة، وانفعال، واستنكار عميق، وحنق، ويأس، وغضب، والكثير من القيل والقال. وطوال أسابيع، بل أشهر، صارت بلدة ماركيت بيسينج لا تتحدث عن أي شيء آخر غير ذلك! وكان لكل شخص مساهمته في هذا الموضوع، بدءًا من السيد جونز البقال: الذي قال إن لرابطة الدم أهميتها "فالدم أكثر كثافة من الماء"، إلى السيدة لامفري التي تعمل في مكتب البريد، والتي كررت *مرة تلو الأخرى* أن "هناك شيئًا غريبًا وراء وفاتها، وتذكروا كلامي هذا".

ولكن الشيء الذي دفع الناس لتخمين الأسباب المتعلقة بوفاتها هو حقيقة أن الوصية كتبت في أواخر شهر أبريل، وتحديدًا في الحادي والعشرين منه. وإذا أضفت إلى ذلك حقيقة أن أقارب إميلي أروندیل المقربين كانوا يقيمون معها قبل ذلك التاريخ؛ حيث قضوا معها إجازة عيد الربيع، فلن تجد عجبا أن يفتح المجال لانتشار أكثر النظريات الفاضحة، الأمر الذي يخفف من ملل الحياة اليومية في بلدة ماركيت بيسينج.

كان هناك شخص واحد أثار الشكوك في كونه يعرف أكثر مما هو مستعد للاعتراف به. كان هذا الشخص هو الآنسة فيلهلمينيا لوسون؛ جليسة الآنسة أروندیل. ولكن الآنسة لوسون زعمت أنها لا تعرف أي شيء أكثر مما يعرفه الجميع، كما أنها أعلنت أيضًا أنها اندهشت عندما سمعت الوصية.

بالطبع لم يصدق كثير من الأشخاص هذا الادعاء. وسواء كانت الآنسة لوسون تعرف أو لا تعرف أكثر مما ادعت، فليس هناك سوى شخص واحد يمكنه البت في هذا الأمر. وهذا الشخص أصبح في عداد الموتى الآن. وقد احتفظت إميلي أروندیل بهذا السر كعادتها. ولم تذكر أي شيء حتى لمحاميها عما دفعها لكتابة وصيتها على هذا النحو. بل اكتفت بأن توضح رغباتها فحسب.

وسط هذا الصمت، من الممكن التعرف على السمات الأبرز في شخصية إميلي أروندیل. كانت من كل النواحي تشبه أبناء جيلها كثيرًا؛ حيث تمتعت بكل فضائله ونقائصه. كانت مستبدة ومتعجرفة، ولكنها كانت عطوفة للغاية أيضًا. كانت سليطة اللسان، ولكن تصرفاتها عكست رقة قلبها. ورغم أنها بدت عاطفية، كانت غاية في الذكاء. كما كان لديها مجموعة من الرفاق الذين تستأسد عليهم دون رحمة، ولكنها كانت تعاملهم بكرم بالغ. كما كانت تكن إحساسًا كبيرًا بالتزامها نحو أسرتها. وفي يوم الجمعة قبيل عيد الربيع، كانت إميلي أروندیل تقف في ردهة منزلها الكائن في ليتلجرين تعطي مختلف التعليمات للآنسة لوسون.

• • •

كانت إميلي أروندیل يومًا فتاة جميلة، وقد صارت الآن عجوزًا تتمتع بشيء من الجمال. كان ظهرها مستقيمًا، وكانت تسير بخفة ورشاقة، كما بدت على

بشرتها لمسة اصفرار باهت تنذر بأنه لا يمكنها الإسراف في تناول الأطعمة الدسمة.

قالت الآنسة أروندیل:

"والآن يا ميني، أين ستضعين كل هؤلاء؟".

"حسنًا، فكرت ـــ وآمل أن أكون أحسنت في ذلك ـــ أن يقيم دكتور تانيوس وزوجته في الغرفة المصنوعة من شجر البلوط، وتقيم تريزا في الغرفة الزرقاء، والسيد تشارلز في غرفة الأطفال القديمة ـــ".

قاطعتها السيدة أروندیل:

"يمكن أن تقيم تريزا في غرفة الأطفال القديمة، ويقيم تشارلز في الغرفة الزرقاء".

"أوه، نعم ـــ أنا آسفة ـــ ظننت أن غرفة الأطفال لن تناسبها ـــ".

"سوف تكون مناسبة تمامًا لتريزا".

كانت النساء يأتين في مرتبة ثانية لدى الآنسة أروندیل؛ حيث احتل الرجال مرتبة أكثر أهمية في المجتمع.

تمتمت الآنسة لوسون بتأثر ظهر عليها: "أنا حزينة للغاية أن الأطفال الصغار لن يحضروا".

كانت تحب الأطفال، ولكنها لم تكن تستطيع التعامل معهم.

قالت الآنسة أروندیل: "أربعة زوار عدد كاف تمامًا. على أية حال، لقد أفسدت بيلا تربية أطفالها كثيرًا؛ لذلك فإنهم لا يحلمون أبدًا بالقيام بما يقال لهم".

تمتمت ميني لوسون قائلة:

"السيدة تانيوس أم تكرس نفسها لرعاية أطفالها".

وافقتها الآنسة أروندیل الرأي بشدة:

"بيلا سيدة عظيمة".

تنهدت الآنسة لوسون وقالت:

"قطعًا، كان الأمر صعبًا عليها في بعض الأحيان ـ أن تعيش في مكان غريب مثل سميرنا".

ولكن الشيء الذي دفع الناس لتخمين الأسباب المتعلقة بوفاتها هو حقيقة أن الوصية كتبت في أواخر شهر أبريل، وتحديدًا في الحادي والعشرين منه. وإذا أضفت إلى ذلك حقيقة أن أقارب إميلي أروندیل المقربين كانوا يقيمون معها قبل ذلك التاريخ؛ حيث قضوا معها إجازة عيد الربيع، فلن تجد عجبا أن يفتح المجال لانتشار أكثر النظريات الفاضحة، الأمر الذي يخفف من ملل الحياة اليومية في بلدة ماركيت بيسينج.

كان هناك شخص واحد أثار الشكوك في كونه يعرف أكثر مما هو مستعد للاعتراف به. كان هذا الشخص هو الآنسة فيلهلمينيا لوسون؛ جليسة الآنسة أروندیل. ولكن الآنسة لوسون زعمت أنها لا تعرف أي شيء أكثر مما يعرفه الجميع، كما أنها أعلنت أيضًا أنها اندهشت عندما سمعت الوصية.

بالطبع لم يصدق كثير من الأشخاص هذا الادعاء. وسواء كانت الآنسة لوسون تعرف أو لا تعرف أكثر مما ادعت، فليس هناك سوى شخص واحد يمكنه البت في هذا الأمر. وهذا الشخص أصبح في عداد الموتى الآن. وقد احتفظت إميلي أروندیل بهذا السر كعادتها. ولم تذكر أي شيء حتى لمحاميها عما دفعها لكتابة وصيتها على هذا النحو. بل اكتفت بأن توضح رغباتها فحسب.

وسط هذا الصمت، من الممكن التعرف على السمات الأبرز في شخصية إميلي أروندیل. كانت من كل النواحي تشبه أبناء جيلها كثيرًا؛ حيث تمتعت بكل فضائله ونقائصه. كانت مستبدة ومتعجرفة، ولكنها كانت عطوفة للغاية أيضًا. كانت سليطة اللسان، ولكن تصرفاتها عكست رقة قلبها. ورغم أنها بدت عاطفية، كانت غاية في الذكاء. كما كان لديها مجموعة من الرفاق الذين تستأسد عليهم دون رحمة، ولكنها كانت تعاملهم بكرم بالغ. كما كانت تكن إحساسًا كبيرًا بالتزامها نحو أسرتها. وفي يوم الجمعة قبيل عيد الربيع، كانت إميلي أروندیل تقف في ردهة منزلها الكائن في ليتلجرين تعطي مختلف التعليمات للآنسة لوسون.

• • •

كانت إميلي أروندیل يومًا فتاة جميلة، وقد صارت الآن عجوزًا تتمتع بشيء من الجمال. كان ظهرها مستقيمًا، وكانت تسير بخفة ورشاقة، كما بدت على

بشرتها لمسة اصفرار باهت تنذر بأنه لا يمكنها الإسراف في تناول الأطعمة الدسمة.

قالت الآنسة أروندیل:

"والآن يا ميني، أين ستضعين كل هؤلاء؟".

"حسنًا، فكرت ـــ وآمل أن أكون أحسنت في ذلك ـــ أن يقيم دكتور تانيوس وزوجته في الغرفة المصنوعة من شجر البلوط، وتقيم تريزا في الغرفة الزرقاء، والسيد تشارلز في غرفة الأطفال القديمة ـــ".

قاطعتها السيدة أروندیل:

"يمكن أن تقيم تريزا في غرفة الأطفال القديمة، ويقيم تشارلز في الغرفة الزرقاء".

"أوه، نعم ـــ أنا آسفة ـــ ظننت أن غرفة الأطفال لن تناسبها ـــ".

"سوف تكون مناسبة تمامًا لتريزا".

كانت النساء يأتين في مرتبة ثانية لدى الآنسة أروندیل؛ حيث احتل الرجال مرتبة أكثر أهمية في المجتمع.

تمتمت الآنسة لوسون بتأثر ظهر عليها: "أنا حزينة للغاية أن الأطفال الصغار لن يحضروا".

كانت تحب الأطفال، ولكنها لم تكن تستطيع التعامل معهم.

قالت الآنسة أروندیل: "أربعة زوار عدد كاف تمامًا. على أية حال، لقد أفسدت بيلا تربية أطفالها كثيرًا؛ لذلك فإنهم لا يحلمون أبدًا بالقيام بما يقال لهم".

تمتمت ميني لوسون قائلة:

"السيدة تانيوس أم تكرس نفسها لرعاية أطفالها".

وافقتها الآنسة أروندیل الرأي بشدة:

"بيلا سيدة عظيمة".

تنهدت الآنسة لوسون وقالت:

"قطعًا، كان الأمر صعبًا عليها في بعض الأحيان ـ أن تعيش في مكان غريب مثل سميرنا".

فأجابتها إميلي أروندیل قائلة:

"لقد صنعت سريرها بيدها ويجب أن تنام عليه".

وبعدما استخدمت هذا التعبير الذي يعود لعصر الملكة فيكتوريا، أردفت قائلة:

"سوف أذهب إلى القرية الآن لكي أشتري طلبات العطلة الأسبوعية".

"أوه، آنسة أروندیل، دعيني أفعل ذلك. أعني ـــ".

"مستحيل. أفضل أن أفعل ذلك بنفسي. روجر يحتاج إلى بعض الصرامة. مشكلتك يا ميني أنك لست *حاسمة* بالقدر الكافي. بوب! بوب! أين الكلب؟".

ظهر كلب صيد كثيف الشعر من فصيلة تريير ونزل درجات السلم، ثم أخذ يدور حول سيدته، مطلقًا أصواتًا متقطعة تنم عن السعادة والبهجة.

خرجت السيدة مع كلبها من الباب الأمامي ونزلت عبر الممر القصير إلى البوابة.

بينما وقفت الآنسة لوسون في المدخل تبتسم لهم بطريقة بلهاء، وهي فاغرة فمها. فصدر من خلفها صوت قال بحدة:

"أغطية الوسائد التي أعطيتني إياها ليست متماثلة".

"ماذا؟ يا لغبائي...".

وبسرعة دخلت ميني لوسون مرة أخرى المنزل لتتابع القيام بالأعمال المنزلية.

بينما اتجهت إميلي أروندیل بصحبة بوب، إلى الشارع الرئيسي في ماركيت بيسينج، وثمة شيء في مشيتها يجعلها تبدو كأنها ملكة.

كانت تسير بطريقة ملكية فعلاً؛ فقد كان أصحاب المتاجر التي دخلتها يسرعون إليها لكي يرحبوا بها ويعرفوا طلباتها.

إنها الآنسة أروندیل التي تعيش في منزل يتلجرين، واحدة "من أقدم عملائنا"، "سليلة عائلة عريقة ليس لها مثيل هذه الأيام".

"صباح الخير يا آنسة. يسعدني أن ألبي طلباتك ـــ قطعة غير طرية؟ يؤسفني ذلك. ظننتها قطعة جيدة من لحم ظهر الذبيحة ـــ نعم طبعًا يا آنسة أروندیل،

ما دمت ترين ذلك، بالطبع هي كذلك، لن أرسل كانتربري ليلبي طلباتك، سوف أفعل ذلك بنفسي يا آنسة أروندیل".

دار بوب وسبوت ـ كلب الجزار ـ حول بعضهما، فارتفع شعر رقبتيهما وأصدرا أصواتًا خفيفة. كان سبوت كلبًا سمينًا من سلالة غير معروفة. كان يعرف أنه لا يجب أن يتشاجر مع كلاب الزبائن، ولكنه سمح لنفسه بأن يخبرهم ـ بإشارات خفية طبعًا ـ أن بإمكانه أن يصنع منهم لحمًا مفرومًا إن أراد أن يفعل ذلك.

ولكن بوب ـ الذي كان كلبًا ذكيًا ـ أجابه بالمثل.

قالت إميلي أروندیل: "بوب!" بحدة ثم واصلت طريقها.

في محل الخضراوات والفاكهة، كان لقاء السحاب؛ حيث التقت إميلي بعجوز أخرى، كروية الشكل، ولكنها تتمتع باللمسة الملكية نفسها، قالت لها:

"صباح الخير يا إميلي".

"صباح الخير يا كارولين".

قالت لها كارولين ببيودي:

"هل تنتظرين زيارة من أقاربك الشباب".

"نعم أنتظرهم جميعًا. أنتظر تريزا، وتشارلز وبيلا".

"إذن بيلا ستزورك؟ ماذا عن زوجها؟".

"نعم".

كان حوارًا بسيطًا، ولكنه يعكس معرفة مشتركة بين السيدتين.

كانت بيلا بيجز ـ ابنة أخت إميلي أروندیل ـ متزوجة من رجل يوناني. وعائلة إميلي أروندیل كانوا جميعًا ملتزمين دينيًا ولا يحبون الزواج من أشخاص يونانيين.

من باب التلطيف غير الصريح (فمثل هذه الأمور بالطبع لا يمكن التحدث عنها بصراحة) قالت الآنسة ببيودي:

"زوج بيلا يتمتع بعقل كبير، *كما* أن سلوكياته في التعامل ساحرة!".

وافقتها الآنسة أروندیل الرأي: "تصرفاته محبوبة".

وبينما كانت الآنسة بيبودي على وشك الخروج إلى الشارع سألت الآنسة أروندیل:

"متى ستتم خطبة تريزا إلى ذلك الشاب المدعو دونالدسون؟".

هزت الآنسة أروندیل كتفيها وقالت:

"أصبح الشباب غير ملتزمين بالعادات هذه الأيام. أخشى أن تكون خطبتهما قد طالت أكثر من اللازم ـ هذا لو كان هناك طائل منها؛ إنه لا يملك المال".

قالت الآنسة بيبودي: "ولكن تريزا لديها مالها الخاص بالطبع".

قالت الآنسة أروندیل بحسم:

"لا يمكن لرجل أن يسعد بالعيش على أموال زوجته".

أطلقت الآنسة بيبودي ضحكة من أعماقها.

"يبدو كأنهم لا يمانعون القيام بذلك هذه الأيام. لقد أصبحت أنا وأنت من زمن قديم يا إميلي. ما لا أفهمه هو ما تراه هذه الطفلة فيه، من بين كل الشباب لم تختر سوى هذا الرجل!".

"إنه طبيب ماهر على ما أعتقد".

"هذا بسبب نظارته الأنفية وطريقته العملية في الكلام! في شبابي كنا نسميه شخصًا مسكينًا!".

توقفت قليلاً عن الكلام عندما استغرقت الآنسة بيبودي في ذكرياتها، وعادت للماضي فثارت بداخلها صور لشباب مفعمين بالحياة لهم سوالف طويلة...

قالت وهي تتنهد:

"أرسلي ذلك الشاب المدعو تشارلز لرؤيتي ـــ هذا إن أتى".

"طبعًا سأخبره".

ثم افترقت السيدتان.

كانتا تعرفان بعضهما منذ فترة طويلة للغاية تمتد لأكثر من خمسين عامًا. وكانت الآنسة بيبودي تعرف بعض الزلات المؤسفة في حياة الجنرال أروندیل؛ والد إميلي؛ فقد كانت تعرف مدى الصدمة التي سببها زواج توماس أروندیل لأخواته، وكانت لديها فكرة قوية عن بعض المشكلات التي تتعلق بالجيل الأصغر.

ولكن لم يحدث أن تحدثت السيدتان عن أي من هذه الموضوعات مع بعضهما. كانت كلتاهما تحافظ على كرامة عائلتها، وتماسكها؛ فكانتا تمتنعان عن الحديث في الشئون العائلية.

سارت الآنسة أروندیل إلى منزلها، وبوب يهرول إلى جانبها برزانة. اعترفت إدنا أروندیل لنفسها بما لم تعترف به لأي شخص كائنًا من كان، وهو عدم رضاها عن الجيل الأصغر في عائلتها.

لتأخذ تريزا على سبيل المثال. لم تكن لها سيطرة عليها منذ أن تسلمت الثانية أموالها الخاصة بمجرد أن بلغت الحادية والعشرين. ونظرًا لأن سمعتها كانت سيئة إلى حد ما، فكثيرًا ما كانت صورها تظهر في الصحف. كانت ترافق مجموعة من الشباب المرحين المنطلقين ـ مجموعة تقيم حفلات غريبة تنتهي بها الحال في محاكم الجنح بين الحين والآخر. ولم تكن إميلي أروندیل ترتضي لأحد أفراد عائلتها مثل هذه السمعة. بل إنها في واقع الأمر كانت تعترض على طريقة حياة تريزا لحد كبير. أما فيما يتعلق بخطبة الفتاة، فقد كانت مشاعرها مرتبكة بعض الشيء. فعلى الأرجح، لم تكن تعتبر دكتور دونالدسون مُحْدَث النعمة مناسبًا بالقدر الكافي ليناسب عائلة أروندیل. كما كانت تعرف أيضًا أن تريزا زوجة غير مناسبة على الإطلاق لطبيب يعمل في بلدة هادئة، الأمر الذي أثار انزعاجها.

انتهت عندما انتقلت بأفكارها إلى بيلا. لم يكن هناك عيب في بيلا. كانت سيدة طيبة؛ زوجة وأمًا مخلصة ـ سلوكها مثالي ـ ولكنها مملة للغاية! ولكنها أيضًا لم تكن راضية تمام الرضا عن بيلا؛ فقد تزوجت من أجنبي ـ وليس أي أجنبي ـ بل يوناني أيضًا. كانت أفكار الآنسة أروندیل المتحيزة تجعلها ترى اليوناني لا يقل سوءًا عن الأرجنتيني أو التركي. حقيقة إن دكتور تانيوس كان يتمتع بأخلاقيات ساحرة، وتمكنه التام من عمله جعلت السيدة العجوز تنحاز إليه قليلاً. كانت ترتاب من مجاملاته الساحرة والكثيرة. ولهذا السبب أيضًا وجدت صعوبة أيضًا في أن تتعلق بطفليهما؛ فقد كان كلاهما يشبه والدهما في المظهر، ولم تبد عليهما أية سمة من سمات الإنجليز.

ثم بأتي تشارلز...

نعم، تشارلز...

ليست هناك فائدة من إغماض عينيها عن الحقائق؛ فتشارلز رغم جاذبيته، ليس بالشخص الذي يؤتمن...

تنهدت إميلي أروندیل. شعرت بتعب وعجز واكتئاب مفاجئ...

توقعت أنها لن تصمد طويلاً في الحياة...

انتقلت بأفكارها تلقائيًا إلى الوصية التي كتبتها منذ بضع سنوات مضت.

ميراث للخدم ـ للجمعيات الخيرية ـ والجزء الأكبر من ثروتها يقسم بالتساوي بين أقاربها الثلاثة الذين لا يزالون على قيد الحياة...

إلا أنها شعرت بأنها فعلت عين الصواب والعدل. ولكنها تساءلت عما إذا كان من الممكن أن تؤمن نصيب بيلا من المال بحيث لا يمسه زوجها... يجب أن تستشير السيد بيرفيس في ذلك.

ثم سارت في اتجاه منزل ليتلجرين.

سافر تشارلز وتريزا بالسيارة، بينما سافرت عائلة تانيوس بالقطار.

وصل الأخ والأخت أولاً. قال تشارلز ـ الطويل حسن المظهر ـ بطريقة ساخرة بعض الشيء:

"مرحبًا عمتي إميلي، كيف حالك يا فتاة؟ تبدين بخير".

اقترب منها وقبَّلها.

ثم تقدمت تريزا ووضعت خدها النضر غير المكترث على خد عمتها الذابل.

"كيف حالك عمتي إميلي؟".

شعرت العمة بأن تريزا ليست في حالة جيدة؛ فقد بدا وجهها ـ رغم مساحيق التجميل التي كانت تضعها ـ شاحبًا بعض الشيء، وكانت هناك تجاعيد حول عينيها.

احتسوا الشاي في غرفة المعيشة. حدقت بيلا تانيوس ـ ذات الشعر المبعثر في خصلات من تحت القبعة المسايرة للموضة، والتي وضعتها على رأسها بشكل معكوس ـ في ابنة خالها تريزا بشغف حزين؛ فقد كانت تريد أن ترتدي ملابس

أشبه ملابسها؛ فقد قدر لبيلا أن تولع بالملابس دون أن تتمتع بأي ذوق في كيفية ارتدائها. كانت ملابس تريزا باهظة، غريبة بعض الشيء، وكانت تتمتع بقوام ساحر وجذاب.

وقد حاولت بيلا ـ عندما انتقلت إلى إنجلترا من سميرنا ـ أن تقلد تريزا في أناقتها بجد ولكن بتكلفة أقل.

تحدث دكتور تانيوس ـ الذي كانت تغطي وجهه لحية كبيرة ـ إلى الآنسة أروندیل. كان يتمتع بصوت دافئ وعميق، هذا فضلاً عن جاذبيته أيضًا التي تجذب أي مستمع حتى لو لم يرغب في ذلك؛ فسحر بصوته الآنسة أروندیل رغمًا عنها.

بدت الآنسة لوسون متململة إلى حد كبير. قفزت لأعلى ولأسفل، وهي تقدم فناجين الشاي للزوار، وتتعامل بحرص زائد مع طاقم الشاي. فوقف تشارلز ـ الذي كان يتمتع بذوق عال ـ أكثر من مرة ليساعدها، ولكنها لم تعبر له عن أي امتنان.

عندما انتقلت المجموعة ـ بعد تناول الشاي ـ للتنزه في الحديقة، تمتم تشارلز محدثًا أخته:

"لوسون لا تحبني. هذا غريب أليس كذلك؟".

فقالت له تريزا باستهزاء:

"غريب للغاية. إذن هناك شخص بإمكانه الصمود أمام سحرك القاتل؟".

فابتسم تشارلز ابتسامة عريضة ـ ساحرة ـ وقال:

"من حسن الحظ أن لوسون فقط هي القادرة على ذلك...".

في الحديقة سارت الآنسة لوسون مع السيدة تانيوس وطرحت عليها بعض الأسئلة المتعلقة بالأطفال؛ فأضاء وجه بيلا تانيوس الباهت، بعدما شغلها هذا الحديث عن مراقبة تريزا. كانت تتحدث بشغف وحيوية.

وجدت ميني لوسون مستمعة متفهمة للغاية. وعلى الفور خرج إلى الحديقة شاب أشقر الشعر له وجه مهيب يرتدي نظارة. بدا محرجًا بعض الشيء. حيته الآنسة أروندیل بأدب.

قالت تريزا:

"مرحبًا يا ريكس!".

شبكت ذراعها في ذراعه. وتجولا معًا في الحديقة.

اعتذر منها، وتجول مع البستاني ليقول له كلمة، والذي كان صديقًا له من الأيام الخوالي. وعندما دخلت الآنسة أروندیل المنزل مرة أخرى، كان تشارلز يلعب مع بوب. وقف الكلب على أعلى درجات السلم، واضعًا الكرة في فمه، وهو يهز ذيله.

قال تشارلز: "هيا يا صديقي".

فأرجع بوب رأسه للخلف، ورفع الكرة على أنفه ببطء مقتربًا من حافة السلم. ثم قفز على قدميه بحماسة كبيرة؛ فتدحرجت الكرة ببطء على درجات السلم. فأمسكها تشارلز وألقاها من جديد إليه، فأمسكها بوب بإتقان بفمه، وأعادا الكرَّة من جديد.

قال تشارلز: "لعبته المعتادة".

ابتسمت إميلي أروندیل وقالت له:

"يظل يلعبها لساعات".

سارت ناحية غرفة المعيشة فتبعها تشارلز. فنبح بوب بطريقة تنم عن خيبة أمله.

قال تشارلز وهو ينظر عبر النافذة:

"انظري إلى تريزا ورجلها الشاب. إنهما ثنائي غريب!".

"هل تظن تريزا مهتمة حقًا بذلك؟".

فقال تشارلز بثقة: "أوه، إنها مولعة به إلى حد الجنون. ذوق غريب، ولكن الوضع كذلك. أراه ينظر إليها وكأنها نموذج علمي غريب وليست امرأة على قيد الحياة. هذه النظرة جديدة للغاية على تريزا. من المؤسف أنه فقير؛ وتريزا تحب الأشياء الباهظة".

قالت الآنسة أروندیل بطريقة جافة:

"ليس لدي شك أن بإمكانها تغيير طريقة معيشتها؛ إن أرادت ذلك! وعلى أية حال لديها دخلها الخاص".

رمقها تشارلز بنظرة اتهام وقال لها: "إيه؟ أوه طبعًا، طبعًا".

في ذلك المساء، عندما اجتمع الجميع في غرفة المعيشة في انتظار الذهاب لتناول العشاء، سمع الحضور صوت حركة سريعة ولعب على درجات السلم، ثم دخل تشارلز الغرفة ووجهه محمر بعض الشيء.

"آسف عمتي إميلي، هل تأخرت؟ كلبك كاد أن يوقعني من على السلم، وفي النهاية ترك الكرة أعلى السلم".

صاحت الآنسة لوسون، وهي تنحني نحو بوب قائلة: "كلب صغير طائش".

نظر إليها بوب بازدراء وأشاح بوجهه عنها.

قالت الآنسة أروندیل: "أعرف. هذا الأمر غاية في الخطورة، اذهبي يا ميني وأحضري الكرة وأبعديها عن السلم".

أسرعت الآنسة لوسون بالخروج من الغرفة.

ظل دكتور تانيوس يتحدث على طاولة العشاء أغلب الوقت. أخذ يقص حكاياته المسلية عن حياته في سميرنا.

انتهى الاجتماع بسرعة، واتجه كل فرد إلى سريره مبكرًا. كانت الآنسة لوسون تضع وشاحًا من الصوف وتحمل نظارة، وحقيبة كبيرة من القطيفة وكتابًا، وتسير مع صاحبة المنزل إلى غرفة نومها وهما يتجاذبان أطراف الحديث بسعادة.

"دكتور تانيوس ظريف للغاية. صحبته رائعة! أنا شخصيًا لا أهتم بمثل هذه الحياة... يجب على المرء أن يغلي الماء كما أظن... وربما لبن الماعز، الذي يكرهه بعض الناس".

قاطعتها الآنسة أروندیل بحدة وقالت لها:

"لا تكوني حمقاء يا ميني، هل أخبرت إلين بأن تتصل بي في السادسة والنصف؟".

"نعم يا آنسة أروندیل. طلبت منها ألا تعد الشاي، ولكن ألا تعتقدين أنه من الأفضل ـــ لقد أخبرني رجل الدين في ساوثبريدج؛ وهو معروف باستقامته وورعه الشديد ـــ بأنه ليست بك حاجة لأن تلزمي نفسك بالذهاب صائمة ـــ".

مرة أخرى قاطعتها الآنسة أروندیل.

"لم أذهب إلى دار العبادة وأنا مفطرة من قبل ولن أفعل الآن. بإمكانك أن تفعلي ما يحلو لك".

"أوه، لا ـــ لم أعْنِ ـــ أنا واثقة ـــ".

انزعجت الآنسة لوسون وغضبت كثيرًا.

قالت الآنسة أروندیل: "اخلعي طوق بوب".

أسرعت الخادمة بإطاعة الأمر.

وهي لا تزال تحاول إرضاءها قالت:

"كانت أمسية *رائعة*. بدا الجميع *سعيدًا* بوجوده هنا".

قالت إميلي أروندیل: "اصمتي، الجميع جاء ليحصل على ما يمكنه الحصول عليه".

"عزيزتي الآنسة أروندیل ـــ".

"ميني المسكينة، أنا لست مغفلة أبدًا! ولكنني أتساءل عمن سيفتح الموضوع أولاً".

لم تُترك لحيرتها لفترة طويلة؛ فبعدما عادت مع الآنسة لوسون من دار العبادة بعد الساعة التاسعة، كان دكتور تانيوس وزوجته في غرفة العشاء، ولم تكن هناك علامات على وجود أقاربها. وبعد الإفطار، بعدما غادر البقية، جلست الآنسة أروندیل وأخذت تسجل بعض الحسابات في كتاب صغير.

دخل تشارلز الغرفة في العاشرة تقريبًا.

"آسف على تأخري يا عمتي، ولكن تريزا في حالة سيئة، لم يغمض لها جفن بعد".

قالت الآنسة أروندیل: "في العاشرة والنصف سوف يُرفع الإفطار. أعرف أن عدم الاكتراث بالخدم أمر شائع اليوم، ولكن الوضع ليس كذلك في *منزلي*".

"جيد، هذه هي الروح التي نحتاج إليها!".

تمالك تشارلز أعصابه وجلس بالقرب منها.

كانت ابتسامته العريضة، كالعادة، جذابة للغاية؛ فوجدت إميلي أروندیل نفسها تبتسم له بتسامح رغمًا عنها. فاستجمع شجاعته بعدما رأى حبها له، واقترب منها وقال لها:

"اسمعي يا عمتي، أنا آسف على إزعاجك، ولكنني أواجه مشكلة عويصة. هل بإمكانك أن تساعديني في الخروج منها؟ مائة جنيه تفي بالغرض".

لم يشجعه التعبير الذي ارتسم على وجه عمته؛ فقد ارتسمت على وجهها جدية شديدة.

لم تخش إميلي أروندیل أن تفصح عما في خلدها؛ فصرحت به على الفور.

أسرعت الآنسة لوسون باقتحام الغرفة تقريبًا وقت مغادرة تشارلز غرفة الطعام. نظرت إليه بفضول، ثم دخلت غرفة الطعام فوجدت الآنسة أروندیل تجلس في وضع مستقيم ووجهها محمر.

الثاني

الأقارب

ركض تشارلز بخفة صاعدًا درجات السلم وقرع باب غرفة أخته، فقالت له على الفور: "ادخل"، فدخل غرفتها.

كانت تريزا تجلس على السرير وهي تتثاءب.

فجلس تشارلز على كرسي مجاور لسريرها.

قال لها باستحسان: "كم تحبين الزينة يا تريزا!".

فقالت له تريزا بحدة:

"ما الخطب؟"، فكشر تشارلز عن أنيابه.

"أنت حادة الطباع. حسنًا ولكنني سبقتك يا فتاتي! فكرت أن أترك بصمتي قبل أن تبدئي في عملك".

"وبعد؟".

أشاح تشارلز بيده للأسفل في إنكار.

"لا شيء! لقد أغضبتني العمة إميلي كثيرًا. أفصحت لي أنها لم تنخدع كثيرًا في سبب تجمع عائلتها العزيزة حولها! كما صرحت لي بأن عائلتها المحبة سوف

أصاب بالإحباط. فلا شيء لديها تقدمه لهم سوى العاطفة ـ وليس قدرًا كبيرًا منها أيضًا".

قالت تريزا بجفاء: "كان الأجدر بك أن تنتظر قليلاً".

فابتسم تشارلز ابتسامة عريضة مرة أخرى وقال:

"خشيت أن تسبقيني أو تسبقني عائلة تانيوس. أنا خائف للغاية، تريزا يا حبيبتي، ليس باليد حيلة هذه المرة؛ فإميلي العجوز ليست مغفلة أبدًا".

"لم أشك يومًا في ذلك".

"حتى إنني حاولت أن أثير خوفها".

سألته أخته بحدة: "ماذا تعني؟".

"قلت لها إنها تستحق أن تضرب بالرصاص. كما أنه سوف تفعل عاجلاً أم آجلاً. فليس بإمكانها أن تأخذ نقودها معها بعد وفاتها. فلماذا لا تفك الكيس قليلاً؟".

"تشارلز، أنت أحمق!".

"لا، لست كذلك، ولكنني أتبع الطريقة التي يتبعها علماء النفس. ليس من المفيد أن أتملق عجوزًا. ولكنها تفضل أن تتحديها. وعلى كل حال، كان كلامي منطقيًا تمامًا. سوف نحصل على المال بعد وفاتها ـ فلماذا لا تعطينا القليل منه قبل ذلك! وإلا سيكون إغراء مساعدتها على الخروج من الدنيا قوي للغاية".

سألته تريزا وعلى وجهها ازدراء واضح: "وهل فهمت مقصدك؟".

"لست واثقًا من ذلك، لم تعترف بذلك بصراحة. ولكنها شكرتني على نصيحتي وقالت إنها "قادرة تمامًا على العناية بنفسها". قلت لها: "حسنًا، لقد حذرتك"؛ فقالت لي: "سوف أتذكر ذلك".

قالت تريزا بغضب:

"حقًا يا تشارلز، أنت غاية في الحماقة".

"لبًا لكل ذلك يا تريزا. لقد كنت في حالة يرثى لها! لديها الكثير من المال، أموال لا حصر لها ولا عدد. أراهن أنها لا تنفق فلسًا من دخلها. على ماذا ستنفق كل هذا المال، على أية حال؟ وها نحن، شباب قادرون على الاستمتاع بالحياة،

ولكنها قادرة أن تعيش حتى مائة عام غيظًا ونكاية فينا... أريد أن أستمتع الآن. وأنت أيضًا كذلك..."

أومأت تريزا برأسها، وقالت بصوت منقطع الأنفاس:

"إنهم لا يفهمون، كبار السن لا يفهمون... لا يمكنهم... لا يعرفون معنى أن تعيش...!".

لزم الأخ وأخته الصمت بضع لحظات.

ثم نهض تشارلز من مكانه.

"حسنًا يا حبيبتي، أتمنى لك نجاحًا أكبر مما حققته. ولكنني أشك في ذلك".

قالت تريزا:

"أنا أعتمد على ريكس في القيام بذلك. إذا استطعت أن أجعل إميلي العجوز تعرف مدى ذكائه، وكم أنه من المهم أن يحظى بفرصته، وألا يغرق في العمل كطبيب عام... أوه يا تشارلز، بضعة آلاف من رأس مالها في هذا الوقت سوف يحدث كل الفارق في حياتنا!".

"أمل أن تحصلي عليها، ولكنني لا أظنك ستنجحين. لقد بذَّرت الكثير من المال في طريقة حياتك المترفة يا تريزا. هل تعتقدين أن بيلا الكئيبة وتانيوس المريب سوف يحصلان على أي شيء؟".

"لا أظن أن المال سوف ينفع بيلا بأي حال. إنها تبدو مثل سلة مهملات كما أن ذوقها ريفي للغاية".

قال تشارلز: "أوه، حسنًا. أظن أنها تريدها لأطفالها المملين، ومصاريف مدارسهم، وتقويم أسنانهم ودروس الموسيقى. وعلى أية حال، لن تحصل بيلا على المال، وإنما تانيوس. أراهن أنه يشم رائحة المال من على بعد! اليونانيون بارعون في ذلك. أتعرفين أنه حصل على أغلب أموال بيلا؟ ثم ضارب بها وخسرها كلها".

"هل تعتقد أنه سوف يحصل على شيء من إميلي العجوز؟".

قال تشارلز، بقسوة شديدة: "لن يفعل لو استطعت منعه".

غادر الغرفة وأخذ جولة في الطابق السفلي. كان بوب في الردهة، فقفز فرحًا برؤية تشارلز. كانت الكلاب تحب تشارلز.

ركض ناحية باب غرفة المعيشة، ثم نظر إلى الخلف ناحية تشارلز.

قال تشارلز، وهو يتبعه: "ما الخطب؟".

أسرع بوب بدخول غرفة المعيشة وجلس بالقرب من مكتب صغير منتظرًا أن يراه تشارلز.

فسار تشارلز خلفه وهو يقول:

"ماذا تريد أن تقول؟".

هز بوب ذيله، ونظر جيدًا إلى أدراج المكتب ثم نبح وكأنه يرجوه.

"أتريد شيئًا من هنا؟".

فتح تشارلز الدرج العلوي فرفع حاجبيه.

قال: "يا الله، يا الله".

هي أحد جوانب الدرج كانت هناك كومة صغيرة من المال.

أمسك تشارلز بحزمة النقود وعدها. فابتسم ابتسامة عريضة وأخذ ثلاث ورقات بمائة جنيه وورقتين بعشر شلنات ووضعها في جيبه، ثم أعاد بقية الأموال في الدرج بعناية حيث وجدها بالضبط.

قال له: "كانت فكرة طيبة يا بوب. سوف يتمكن عمك تشارلز من تغطية مصاريفه بأي ثمن. القليل من النقود السائلة دائمًا ما يفي بالغرض".

نبح بوب بصوت ضعيف وكأنه يوبخ تشارلز عندما أغلق الدرج.

اعتذر تشارلز له وقال: "أسف يا صديقي"، ثم فتح الدرج الثاني، فوجد كرة بوب في زاوية الدرج، فأخرجها منه.

"ها هي، استمتع بها". أمسك بوب الكرة بفمه على الفور، وخرج بها من الغرفة وهو يقفز مرة تلو الأخرى حتى نزل درجات السلم.

تجول تشارلز في الحديقة. كان صباحًا مشمسًا تفوح منه رائحة أزهار الليلك.

كانت الآنسة أروندیل تجلس بجوار دكتور تانيوس، الذي كان يتحدث عن

مزايا التعليم الإنجليزي، وأنه تعليم جيد للأطفال، وكم ندم أنه لم يتمكن من تحمل نفقات هذه الرفاهية وتقديمها لأطفاله.

ابتسم تشارلز ابتسامة شريرة. ثم اشترك في الحديث بطريقة ما، فقاد ببراعة لموضوعات مختلفة تمامًا.

ابتسمت إميلي أروندیل إليه بإعجاب، لدرجة أنه تخيل أنها انبهرت بتخطيطه، وأنها تشجعه عليه في الخفاء.

ارتفعت معنويات تشارلز، فربما يحصل على ما يريد قبل مغادرته.

كان تشارلز متفائلاً لأبعد درجة.

نادى دكتور دونالدسون تريزا من سيارته بعد الظهيرة وقادها إلى ورذيم آبي ـ أحد مراكز التجميل. فسارا بعيدًا عن المركز نفسه إلى الغابات.

وهناك استفاض ريكس دونالدسون في شرح نظرياته إلى تريزا، وبعض تجاربه التي أجراها مؤخرًا. لم تفهم الكثير من كلامه، ولكنها استمعت له بطريقة تنم عن الإعجاب وهي تقول في نفسها:

"كم أنت ذكي يا ريكس، وكم أنت مثير للإعجاب أيضًا!".

توقف خطيبها فجأة وقال بريبة:

"أخشى أن تكون هذه الموضوعات مملة بالنسبة لك يا تريزا".

قالت تريزا بحسم: "إنها موضوعات مثيرة للغاية يا عزيزي". تابع كلامك. أخذت عينة دم من أرنب مصاب ـــ؟".

قالت تريزا على الفور وهي تتنهد:

"عملك يعني الكثير لك يا عزيزي".

قال دكتور دونالدسون: "هذا طبيعي".

لم يَبْدُ الأمر طبيعيًا على الإطلاق بالنسبة لـ تريزا؛ فعدد قليل للغاية من أصدقائها يعملون أساسًا، وإذا فعلوا فإنهم يختلقون صعوبة لا مجال لها.

فكرت، كما فعلت مرة أو مرتين من قبل، أنه من غير الملائم أبدًا أن تقع في حب ريكس دونالدسون. لماذا يمر المرء بمثل لحظات الجنون تلك؟ سؤال لا طائل منه. لقد حدث ذلك معها.

عبست، وتعجبت من نفسها. الأصدقاء الذين تلازمهم سعداء وساخرون. والطبع العلاقات العاطفية ضرورية للحياة، ولكن لماذا تتعامل معهم بكل هذه البدية ـ تحب أحدهم ثم تنساه؟

ولكن المشاعر التي راودتها تجاه ريكس دونالدسون كانت مختلفة؛ فقد كانت أعمق كثيرًا. شعرت بغريزتها بأنه لا سبيل لنسيانها... كانت حاجتها إليه بسيطة وعميقة. كل شيء فيه يبهرها. هدوؤه وشخصيته المستقلة، مختلفان تمامًا عن حياتها المحمومة والجشعة، بالإضافة إلى وضوحه ومنطقه وتفكيره العلمي. وهناك شيء آخر غير مفهوم تمامًا، وهو قوة سرية في الرجل تختفي وراء طريقته المتحذلقة المتواضعة، والتي كانت تستشعرها رغم ذلك بغريزتها.

كان ريكس دونالدسون عبقريًا، وحقيقة أن مهنته كانت شغله الشاغل في الحياة، وأنها كانت مجرد جزء ـ رغم أنه جزء مهم ـ من حياته زاد انجذابها إليه. وجدت نفسها للمرة الأولى في حياتها الأنانية المحبة للمتع راضية بأن تحتل المكانة الثانية. كانت مبهورة به، ومستعدة للقيام بأي شيء من أجله ـ أي شيء!

قالت بعنف: "اللعنة على المال. فقط لو ماتت العمة إميلي، لتمكنا من الزواج على الفور، وسوف تتمكن من القدوم إلى لندن وتفتح معملاً مليئًا بأنابيب الاختبار وفئران التجارب، ولَمَا شغلت نفسك بأطفال مصابين بالغدة النكافية وسيدات مسنات يعانين أمراض الكبد".

قال دونالدسون:

"ليس هناك سبب يمنع عمتك من عيش سنوات عديدة آتية ـــ إذا اعتنت بنفسها".

قالت تريزا بيأس:

"أعرف ذلك".

في غرفة النوم المزدوجة الكبيرة، التي تحتوي على أثاث قديم الطراز مصنوع من خشب البلوط، قال دكتور تانيوس لزوجته:

"أعتقد أنني رتبت الأمور بالقدر الكافي. حان دورك الآن يا عزيزتي".

كان يسكب الماء من العبوة القديمة المصنوعة من النحاس في زهرية الورود المصنوعة من الخزف الصيني.

جلست بيلا تانيوس أمام المزينة تتساءل عن السبب الذي يجعلها لا تبدو مثل تريزا عندما تمشط شعرها مثلما تفعل تريزا!

مرت لحظة قبل أن تجيب ثم قالت:

"لا أعتقد أنني أريد ـــ أن أطلب مالاً من عمتي إميلي".

"إنها ليست من أجلك يا بيلا، وإنما من أجل الأطفال؛ فاستثماراتنا كان حظها عاثرا للغاية".

ثم استدار للخلف، ولم ير النظرة السريعة التي رمقته بها، كانت نظرة مختلسة تنم عن ضيقها به.

قالت بعناد جامح:

"الوضع واحد، أعتقد أنني أفضّل ألا أفعل، عمتي إميلي صعبة كثيرًا. قد تكون كريمة ولكنها لا تحب أن يطلب منها الناس مالاً". قال لها تانيوس وهو يجفف يديه بعد غسلهما.

"حقًا يا بيلا، ليس من عادتك أن تكوني بمثل هذا العناد. وعلى كل لماذا جئت إلى هنا في المقام الأول؟".

تمتمت قائلة:

"لم أفعل ـ لم أقصد ذلك ـ لم آت لطلب المال...".

"ولكنك توافقينني أن الأمل الوحيد لكي نعلم أطفالنا تعليمًا جيدًا هو عمتك".

لم تجب بيلا تانيوس، ولكنها تحركت بتململ.

ولكن وجهها عكس نظرة عناد شديد يعرفها كثير من أزواج الزوجات الغبيات.

قالت له:

"لعل عمتي إميلي نفسها تقترح ـــ".

"هذا ممكن، ولكنني لم أرَ أي علامة لذلك حتى الآن".

قالت بيلا:

"فقط لو استطعنا أن نحضر معنا الأطفال، قطعًا كانت عمتي إميلي ستحب ماري، كما أن إدوارد *غاية في الذكاء*".

قال تانيوس بجفاء:

"لا أعتقد أن عمتك تحب الأطفال كثيرًا، وأظن أنه من الأفضل أننا لم نحضر الأطفال هنا".

"أوه، جاكوب ولكن ـــ".

"نعم، نعم يا عزيزتي، أعرف مشاعرك. ولكن العوانس الإنجليزيات يتسمن بالغلظة، لسن بشرًا. ونحن نريد أن نفعل أفضل ما يمكننا عمله، من أجل ماري وإدوارد، ومساعدتنا قليلاً لا تتضمن أي صعوبة للآنسة أروندیل".

أشاحت السيدة تانيوس بوجهها بعدما احمرت وجنتاها.

"أوه، من فضلك، من فضلك يا جاكوب، ليس هذه المرة. أنا واثقة بأنه ليس من الحكمة أن نفعل ذلك. أنا أفضل ألا نفعل ذلك".

وقف تانيوس بالقرب منها وطوقها بذراعيه، فارتجفت قليلاً، ثم تسمرت مكانها ـ وكأنها تحجرت.

قال لها بصوت لا يزال يحمل السرور:

"رغم ذلك، أعتقد، أعتقد أنك ستفعلين ما أطلبه منك يا بيلا... عادة ما تفعلين ذلك، تعرفين أنك تفعلين في النهاية... نعم، أعتقد أنك سوف تفعلين ما أطلبه منك...".

الثالث

الحادث

في ظهيرة يوم الثلاثاء، كان الباب الجانبي المفضي إلى الحديقة مفتوحًا، وقد وقفت الآنسة أروندیل على عتبة الباب، وألقت كرة بوب إلى الحديقة، فأسرع الكلب بالركض خلفها.

قالت إميلي: "مرة أخرى فقط يا بوب. رمية جيدة".

تدحرجت الكرة مرة أخرى بسرعة في الحديقة وأسرع بوب راكضًا خلفها.

انحنت الآنسة أروندیل والتقطت الكرة من المكان الذي وضعها بوب فيه أسفل قدميها ثم عادت إلى المنزل، وبوب يتبعها عن كَثَب. أغلقت الباب الجانبي، واتجهت إلى غرفة المعيشة، وبوب لا يزال في أعقابها، ثم وضعت الكرة في الدرج.

ألقت نظرة على الساعة الموجودة فوق الموقد. كانت الساعة السادسة والنصف.

"أعتقد أنني سأحصل على قليل من الراحة يا بوب".

صعدت درجات السلم المؤدية لغرفة نومها، وبوب يتبعها. فاستلقت على الأريكة المغطاة بقماش قطني واستلقى بوب أسفل قدميها، ثم تنهدت. كانت سعيدة أنه يوم الثلاثاء وأن أقاربها سوف يغادرون المنزل غدًا. لم تكشف لها

هذه الزيارة أي شيء جديد لم تكن تعرفه من قبل. ولكنها سعدت بحقيقة أنها لم تسمح لنفسها بأن تنسى ما تعرفه عنهم.

قالت لنفسها:

"إنني أكبر في السن..."، وفجأة وبشيء من الدهشة قالت: "لقد صرت عجوزًا...".

استلقت وأغمضت عينيها لنصف ساعة، ثم جاءت الخادمة العجوز إلين وأحضرت ماءً ساخنًا ووقفت واستعدت للعشاء.

كان من المفترض أن يتناول الدكتور دونالدسون طعام العشاء معهم في تلك الليلة؛ فإميلي أروندیل كانت تريد أن تحظى بفرصة دراسته عن كثب؛ فقد كانت لا تصدق أن تريزا الغريبة سوف ترغب في الزواج من هذا الرجل الجامد شديد العقلانية. كما بدا لها غريبًا أيضًا أن يرغب هذا الرجل الجامد والعقلاني في الزواج من تريزا.

ومع تقدم الساعات وحلول المساء لم تشعر بأنها سوف تعرف المزيد عن الدكتور دونالدسون. كان مهذبًا للغاية، رسميًا للغاية، ولكنها وجدته مملاً للغاية في حديثه العقلاني. كانت توافق الآنسة بيبودي في حكمها عليه. خطرت الفكرة على بالها: "كان الشباب أفضل في أيامنا".

لم يمكث الدكتور دونالدسون طويلاً؛ فنهض في تمام الساعة العاشرة معلنًا رغبته في الرحيل، فأعلنت الآنسة أروندیل أنها سوف تذهب لتنام. صعدت درجات السلم وصعد أقاربها الشباب للطابق العلوي أيضًا. بدا الجميع صامتًا بعض الشيء هذه الليلة. بينما بقيت الآنسة لوسون في الطابق السفلي تؤدي واجباتها الأخيرة، وأطلقت بوب ليحظى بمتعته، وأخمدت نار المدفأة؛ حيث رفعت موصل الحرارة لأعلى، وقلبت أرض المدفأة لتخمد النار ولا تشتعل أكثر.

دخلت منقطعة الأنفاس تقريبًا إلى غرفة سيدتها بعد حوالي خمس دقائق.

قالت وهي تخلع وشاحها الصوفي، وتضع حقيبة أدوات الحياكة، وكتابًا:

"أعتقد أنني انتهيت من كل شيء. وأتمنى أن أكون قد أحضرت الكتاب الصحيح؛ فلم يكن هناك أي من الكتب الموجودة في قائمتك، ولكنها قالت إنها واثقة أن هذا الكتاب سينال استحسانك".

قالت إميلي أروندیل: "هذه الفتاة حمقاء. ذوقها في الكتب أسوأ ما قرأت على الإطلاق".

"أوه، عزيزتي، ربما كان الأجدر بي ـــ".

قالت إميلي أروندیل بعطف: "هراء، هذا ليس ذنبك. أتمنى أن تكوني قد استمتعت بعد ظهيرة اليوم".

أضاء وجه الآنسة لوسون، وبدت متحمسة، بل بدت كأنها عادت شابة من جديد.

"أوه، نعم، شكرًا جزيلاً. *لطف* بالغ منك أن تأذني لي بالذهاب. لقد حظيت بوقت ممتع للغاية. أحضرنا آلة الكتابة وكتبت حقًا أمورًا مثيرة للغاية؛ فقد كتبت عدة رسائل... طبعًا الوضع يختلف قليلاً عن جلسات استحضار الأرواح كما حققت جوليا تريب نجاحًا كبيرًا في الكتابة التلقائية. تلقينا رسائل عديدة ممن قضوا نحبهم. أشعر بامتنان شديد؛ لإمكانية حدوث مثل هذه الأمور...".

قالت الآنسة أروندیل وعلى وجهها ابتسامة خفيفة:

"من الأفضل ألا يسمع رجل الدين ما تقولين".

"أوه، ولكن حقًا يا آنسة أروندیل، أنا مقتنعة، مقتنعة تمامًا، أنه ليس هناك شيء *خاطئ* في ذلك. كل ما أريده هو أن يفحص السيد لونزديل الشخص الخاضع للجلسة. أشعر بأنه من ضيق الأفق أن ندين مثل هذا الأمر دون حتى *التحقق منه*. جوليا وإزابيل تريب *وسيطتان روحيتان* متميزتان".

قالت الآنسة أروندیل: "روحيتان للغاية، وكأنهما من العالم الآخر".

لم تكن تهتم كثيرًا بـ جوليا و إزابيل تريب. كانت تجد ملابسهما سخيفة ووجباتهما النباتية غير المطهوة مثيرة للسخرية، وطريقتهما مصطنعة. لم تكن لديهما تقاليد، أو جذور. في الواقع، لم تحظيا بأي تربية! ولكنها كانت تستمتع بجديتهما في التعامل مع ما يحدث، كانت طيبة القلب؛ فكانت لا تحب أن تفسد على ميني المسكينة المتعة الواضحة التي تجنيها من مصادقتها لهما.

ميني المسكينة! نظرت إميلي أروندیل إلى صديقتها بعطف يشوبه ازدراء. لقد عاشت مع الكثير والكثير من أولئك السيدات الحمقاوات في منتصف العمر

اللاتي كن يلبين احتياجاتها، جميعهن يتمتعن بنفس العقلية الطيبة المهتمة بالتفاصيل، المذعنة، وكلهن تقريبًا لا عقل لهن.

كانت ميني المسكينة تبدو متحمسة كثيرًا الليلة. كانت عيناها تلمعان. أخذت تتحرك في الغرفة جيئة وذهابًا وهي تمس شيئًا هنا وهناك دون أن تكون لديها أدنى فكرة عما تفعله، وعيناها مضيئتان ولامعتان.

تأتأت على نحو يعكس التوتر قائلة:

"أنا أتمنى أن تذهبي إلى هناك... أشعر ـــ بأنك لست مؤمنة بعد. ولكن كانت هناك رسالة الليلة موجهة إلى... أ، فكانت الأحرف الأولى تتطابق معك *تمامًا*. جاءت من رجل توفي منذ سنوات عديدة مضت ـ رجل عسكري وسيم للغاية ـ لقد رأته إيزابيل بشكل واضح. قطعًا كان الجنرال أروندیل. تلك الرسالة الجميلة، مليئة بالحب والراحة، وكيف أنه من الممكن تحقيق كل شيء من خلال الصبر".

قالت الآنسة أروندیل: "هذه العواطف أبعد ما تكون عن والدي".

"أوه، ولكن أحباءنا يتغيرون، في الحياة الأخرى. المهم هو الحب والتفاهم. فما كتبت آلة الكتابة شيئًا عن *مفتاح* ـ أظنه مفتاح دولاب الفضيات ـ هل من الممكن أن يكون كذلك؟".

بدا صوت إميلي أروندیل حادًا ومهتمًا: "مفتاح دولاب الفضيات؟".

"أعتقد أنه كان كذلك. لعلها أوراق مهمة ـ شيء من هذا القبيل. ففي حالة وفاة يُعثر رسالة تطلب البحث في قطعة معينة من الأثاث، وتم العثور على وصية فيها".

قالت الآنسة أروندیل: "لم تكن هناك وصية في دولاب الفضيات". ثم أردفت بسرعة تقول: "اذهبي لسريرك يا ميني؛ أنت متعبة. وأنا كذلك. سوف نطلب من السيدتين الإقامة ليلة لدينا عما قريب".

"أوه، سيكون هذا رائعًا! تصبحين على خير. أواثقة بأنك لا تحتاجين إلى أي شيء؟ آمل ألا تكوني متعبة من وجود عدد كبير من الناس هنا. يجب أن أخبر إلين أن تهوّي غرفة المعيشة جيدًا في الغد، وأن تغسل الستائر؛ فرائحة السجائر عبأت المكان، يجب أن أقول إن طيبتك جعلتك تسمحين لهم بالتدخين في غرفة المعيشة!".

قالت إميلي أروندیل: "يجب أن أقدم بعض التنازلات لأساير العصر تصبحين على خير يا ميني".

عندما غادرت السيدة الغرفة، تساءلت إميلي أروندیل في نفسها عما إذا كان هذه الأعمال الروحية مناسبة حقًا لميني. كانت عيناها جاحظتين من وجهها وبدت متعبة ومنفعلة للغاية.

عندما استلقت إميلي على سريرها، فكرت في مسألة البوفيه فوجدتها غريبة ابتسمت ابتسامة عريضة عندما تذكرت المنظر منذ فترة طويلة. المفتاح الذ ظهر للنور بعد وفاة والدها، ومجموعة الزجاجات الفارغة التي سقطت من الدولاب عند فتحه! إنها مسألة بسيطة كهذه، أشياء لم تعرف عنها ميني لوسو ولا إزابيل وجوليا تريب أي شيء، الأمر الذي جعلها تتساءل قليلاً، فعلى كل، لم يكن هناك شيء في هذه الجلسة الروحية...

ظلت مستلقية على سريرها الكبير الذي تحيط به أربعة أعمدة عاجزة عن النوم. كانت تجد صعوبة متزايدة في النوم هذه الأيام. ولكنها ازدرت اقترا الدكتور جرينجر بأن تتناول عقارًا يساعدها على النوم، فالمنومات توصف للضعاف، الأشخاص الذين لا يتحملون أبسط ألم، أو حتى وجع أسنان بسيطًا، أو الملل الذي تسببه ليالي الأرق.

كانت كثيرًا ما تنهض وتتجول في المنزل دون أن تصدر أي ضوضاء، فتمسك بكتاب، أو تتحسس قطعة حلي، أو تعيد ترتيب الأزهار الموجودة في الزهرية، أو تكتب خطابًا أو اثنين. وكانت تشعر بالحيوية في المكان الذي تتجول فيه في منتصف الليل. لذلك لم تكن تكره هذه الجولات الليلية. كانت تشعر بأن الأشباح تسير إلى جوارها: أشباح إخوتها، أرابيلا، وماتلدا، وآجنس، وشبح روح أخيها توماس، صديقها العزيز قبل أن تسيطر عليه تلك المرأة! وحتى شبح الجنرال تشارلز لافيرتون أروندیل، ذلك المستبد الذي يصرخ في بناته ويستأسد عليهم ويتمتع في الوقت نفسه بطريقة ساحرة. كان مصدر فخر لهم بتجاربه الكثيرة مع الثورة الهندية ومعرفته بالعالم. ماذا لو عاش بينهم وهو "ليس على خير ما يرام"، كما كانت بناته يقلن وهن يتحاشين ذلك؟

تحول عقلها إلى خطيب ابنة أختها. قالت الآنسة أروندیل في نفسها: "لا أعتقد أنه سيحتسي الشراب أبدًا! يسمي نفسه *خبيرًا* ولا يشرب *سوى ماء* الشعير. ماء شعيرا".

تشارلز يحسن الاختيار. أوه، فقط لو كان يؤتمن. فقط لو كان يعرف أنها [illegible]

انقطع حبل أفكارها... وطافت أفكارها حول أحداث عطلة نهاية الأسبوع...

بدا كل شيء مقلقًا لسبب غامض...

حاولت أن تطرد الأفكار التي تقلقها من رأسها، ولكن دون فائدة.

رفعت نفسها متكئة على مرفقها، وفي ضوء الليل الخافت الذي كان يحترق دومًا في صحن فنجان كالعادة، نظرت إلى الساعة.

نهضت من السرير، وارتدت الخف والروب، وقررت أن تنزل إلى الطابق السفلي وتطمئن أن الكتب الأسبوعية جاهزة لقراءتها صباح اليوم التالي.

تسللت من غرفتها وكأنها شبح، وسارت في الردهة؛ حيث كان هناك مصباح كهربائي صغير يظل مضاءً طوال الليل. وصلت إلى أعلى السلم، ومدت يدها إلى عمود الدرابزين، ثم تعثرت لسبب غير مفهوم وحاولت أن تستعيد توازنها، ولكنها فشلت فسقطت بسرعة على السلالم.

أيقظ صوت سقوطها، والصرخة التي أطلقتها، سكان المنزل النائمين. فانفتحت الأبواب، وأضيئت الأنوار.

خرجت الآنسة لوسون بسرعة من غرفتها ووصلت لأعلى السلالم.

بعدما أطلقت صيحات قليلة تنم عن الألم نزلت السلالم، ثم نزل الآخرون واحدًا تلو الآخر: تشارلز يتثاءب بملابس نوم لامعة. ونزلت تريزا ملفوفة في الميص حريري قاتم، وأخيرًا بيلا وهي ترتدي كيمونو أزرق قاتم اللون، وفي شعرها أمشاط لتضبط تموجاته.

كانت إميلي أروندیل مكومة على الأرض تشعر بالدوار وحائرة في الوقت نفسه. كانت كتفها وكاحلها يؤلمانها كثيرًا، كان جسمها بالكامل ينضح ألمًا، وكانت واعية تمامًا للأشخاص الواقفين فوق رأسها؛ فقد رأت ميني لوسون الحمقاء وهي تصرخ وتصنع حركات بيديها لا جدوى منها، كما رأت نظرة الذهول في عيني تريزا السوداوين، وبيلا التي وقفت فاتحة فمها وكأنها تترقب ما سيحدث، وصوت تشارلز وهو يقول من مكان؛ يبدو بعيدًا للغاية _

"إنها كرة الكلب اللعينة! قطعًا تركها هناك فتعثرت بسببها وسقطت. أترون إنها هناك!".

وبعد ذلك أدركت وجود شخص مهم يُبْعِدُ الآخرين، ويجثو على ركبتيه بجوارها، ويمسكها بيدين واثقتين تعرفان ما جرى.

انتابها إحساس بالراحة، سيكون كل شيء على ما يرام الآن.

قال الدكتور تانيوس بحسم وطريقة مطمئنة:

"لا، إنها بخير. لم تحدث أي كسور... مجرد خلخلة في المفاصل وكدمات، ولكنها مصدومة بالطبع. قطعًا هي محظوظة للغاية أن الوضع لم يكن أكثر سوءًا".

ثم أبعد الآخرين قليلاً ورفعها بمنتهى السهولة وحملها إلى غرفة نومها، ثم وضعها على سريرها وأمسك معصمها دقيقة، وهو يعد، ثم أومأ برأسه، وأخرج ميني (التي كانت لا تزال تبكي وتحدث الكثير من الضوضاء) من الغرفة لتحضر شرابًا وتسخن بعض الماء وتضعه في زجاجة.

وسط كثير من الحيرة والذهول والألم، شعرت إميلي بامتنان شديد لجاكوب تانيوس. راحة الشعور بأنها في أيد أمينة. لقد منحها إحساسًا بالطمأنينة بالثقة، تلك التي ينبغي للطبيب أن يمنحها لمريضه.

كان هناك شيء، شيء لم تستطع تحديده بالضبط، شيء مقلق لسبب غريب، ولكنها لن تفكر فيه الآن. سوف تشرب ذلك الدواء الآن وتخلد للنوم كما نصحها الطبيب.

ولكن طبعًا كان هناك شيء مفقود _ شخص.

أوه، حسنًا، لن تفكر... كتفها تؤلمها كثيرًا، احتست ما أعطاه لها الطبيب.

سمعت الدكتور تانيوس يقول، بصوت طمأنها كثيرًا: "ستكون بخير الآن".

فأغمضت عينيها.

استيقظت على صوت تعرفه _ نباح رقيق منخفض.

فاستيقظت خلال دقيقة.

بوب، بوب المشاغب! كان ينبح خارج الباب الأمامي، ينبح "في الخارج طوال الليل خجلًا من نفسه"، باذلاً أقصى جهده لكسب رضاها دون طائل.

مدت إميلي أروندیل أذنيها. آه، هذا جيد. سمعت ميني تنزل إليه وتدخله. سمعت صرير فتح الباب الأمامي، وتمتمة حائرة منخفضة الصوت _ وتوبيخ ودي غير المجدي: "كلب صغير سيئ، كلب سيئ للغاية". سمعت صوت فتح باب غرفة المؤن. كان سرير بوب تحت طاولة غرفة المؤن.

وفي تلك اللحظة أدركت إميلي ما كانت تستشعره لحظة الحادث الذي مرت به. كان بوب. كل تلك الفوضى _ سقوطها، وركض الناس _ كان من الطبيعي أن يستجيب بوب بنباح متصاعد من داخل غرفة المؤن.

إذن هذا هو ما كان يشغلها ويدور في عقلها الباطن. وضح كل شيء الآن، بوب الذي أخرجه أحدهم الليلة الماضية، خرج وأخذ يلهو بكرته. وهو يسقط في هذه الزلات من حين لآخر، ولكن من المستحيل أن تنتظر منه أكثر من بعض الامتنان.

كل هذا لا بأس به. ولكن ماذا كان ذلك؟ ما الذي كان يشغلها أيضًا ويدور في فلكها _ الحادث الذي ألم بها، أو شيء متعلق به.

آه، صحيح، قال شخص ما _ لعله تشارلز _ إنها انزلقت على كرة بوب التي تركها أعلى السلالم.

كانت الكرة هناك؛ أمسكها ورفعها بيده...

أصيبت إميلي أروندیل بالصداع. رجف قلبها، وشعرت بألم شديد في كل أنحاء جسمها.

ولكن وسط معاناتها كان عقلها صافيًا ونيرًا. لم تعد حائرة من هول الصدمة. كانت الصورة واضحة تمامًا لها.

فكرت بسرعة في كل الأحداث التي وقعت منذ الساعة السادسة مسا الأمس... تذكرت كل خطوة... حتى وصلت للحظة وصولها إلى أعلى السلالم حيث بدأت في السقوط...

أطلقت صرخة رعب تنم عن الشك...

بالطبع، بالطبع، هي مخطئة... كثيرًا ما ينتاب المرء رؤى غريبة بعد مثل الحادث الذي مرت به. حاولت بكل جهدها ـ أن تتذكر إحساسها باستدارة كرة بو تحت قدميها...

ولكنها لم تتذكر أي شيء من هذا القبيل.

بدلاً من ذلك ــ

قالت إميلي أروندیل: "مجرد أوهام. أوهام سخيفة".

ولكن عقلها المنطقي، الذكي، المتحذلق لم يعترف بذلك للحظة. لم يكن لديه تفاؤل أحمق عمن يعيشون في العصر الفيكتوري؛ فقد كانوا يصدقون أسوأ الأمور بمنتهى السهولة.

صدقت إميلي أروندیل بما هو أسوأ.

الرابع

الآنسة أروندیل تكتب خطابًا

كان ذلك يوم الجمعة.

غادر الأقارب.

غادروا المنزل يوم الأربعاء كما كان مخططًا من البداية. عرض الجميع أن يمكثوا فترة أطول، وقوبل هذا الطلب بالرفض. وقد تعللت الآنسة أروندیل بأنها تفضل أن تكون في "هدوء تام".

خلال الأسبوعين اللذين تبعا مغادرتهم، كانت إميلي أروندیل تفكر كثيرًا. لم تكن تسمع ما تقوله لها ميني لوسون في كثير من الأحيان. كانت تحدق فيها ثم تطلب منها بلباقة أن تعيد ما ذكرته من جديد.

قالت الآنسة لوسون: "إنها *الصدمة* يا عزيزتي المسكينة".

ثم أردفت تقول بنوع من التلذذ الكئيب المرتبط بالكوارث الذي يزيح الكثير من رتابة الحياة:

"أستطيع أن أجزم أنها لن تعود لسابق عهدها أبدًا".

على الصعيد الآخر، تحداها دكتور جرينجر في ذلك بكل ما أوتي من قوة.

أخبرها بأنها سوف تنزل الطابق السفلي من جديد عند نهاية الأسبوع، وأنه من حسن حظها أنها لم تعان أي كسور في العظم، وأن حالتها البسيطة لا تعني شيئًا بالنسبة لطبيب مكافح؛ فلو أن كل مرضاه مثلها، لما أصبح لديه عمل يؤديه، ولانتهى من عمله بسرعة فائقة.

وافقته إميلي أروندیل الرأي ـ كانت تعرف دكتور جرينجر العجوز منذ زمن طويل. كان يتنمر عليها وكانت هي تتحداه؛ فكانا يحظيان معًا بقدر كبير من المتعة من صحبتهما!

ولكن الآن، بعدما خرج الطبيب بخطى متثاقلة من الغرفة، استلقت السيدة العجوز على سريرها عابسة، وأخذت تفكر ـ وتفكر ـ ثم ردت بعقل شارد على شجار ميني لوسون حسن المقصد ـ ثم استعادت وعيها وردت عليها بكلمات حادة.

قالت الآنسة لوسون بصوت منخفض، وهي تقترب من بوب الذي كان مستلقيًا في زاوية سرير سيدتها "جرو صغير مسكين. ألن يحزن الجرو الصغير إذا علم ما فعله بسيدته المسكينة؟".

قالت لها الآنسة أروندیل بلسان لاذع:

"لا تكوني حمقاء يا ميني. أين إحساسك الإنجليزي بالعدالة؟ ألا تعرفين أن كل فرد في هذه البلدة يعد بريئًا حتى تثبت إدانته؟".

"أوه، ولكننا نعرف".

قاطعتها إميلي بسرعة قائلة:

"إننا لا نعرف أي شيء على الإطلاق. توقفي عن إصدار الضوضاء يا ميني، وجذب هذا وذلك. ألا تعرفين كيفية التصرف في غرفة شخص مريض؟ اخرجي وأرسلي إلين إليَّ؟".

خرجت الآنسة لوسون بهدوء من الغرفة إذعانًا لرغبة سيدتها.

نظرت إميلي أروندیل إليها وهي تشعر بشيء من تأنيب الضمير؛ فرغم أنها كانت تدفعها للجنون، فإنها كانت تبذل أقصى وسعها وتسهر على راحتها.

ثم بدا العبوس مرة أخرى على وجهها.

لم تكن سعيدة أبدًا. كانت تكره عدم اتخاذ أي إجراء حيال أي موقف كغيرها من السيدات المسنات. ولكنها في هذا الموقف تحديدًا، لم تستطع اتخاذ قرارها بشأن الإجراء الذي ينبغي أن تتخذه.

كانت هناك لحظات تشك فيها في قدراتها، وما تذكره من أحداث. ولم يكن هناك أحد يمكنها أن تأتمنه على سرها أبدًا.

بعد نصف ساعة، دخلت الآنسة لوسون الغرفة بخفة، حاملة معها حساء اللحم البقري، ثم وقفت لا تعرف ماذا تفعل عندما وجدت سيدتها مستلقية على السرير مغمضة عينيها، تفوهت إميلي أروندیل فجأة بكلمتين بقوة وحسم لدرجة أن الآنسة لوسون كادت أن تسقط الحساء من يدها.

قالت الآنسة أروندیل: "ماري فوكس".

قالت الآنسة لوسون: "ماء يا عزيزتي؟ هل قلت إنك تريدين الماء؟".

"لقد أصبحت صماء يا ميني. لم أذكر كلمة ماء. قلت ماري فوكس: السيدة التي قابلتها العام الماضي في مدينة شلتنهام. كانت أخت أحد رجال الدين بدار عبادة إكستير. أعطني هذا الكوب. لقد سكبته في صحن الفنجان. ولا تسيري على أطراف أصابعك عندما تدخلين الغرفة؛ فليست لديك أدنى فكرة كم أجد هذا الأمر مزعجًا. والآن اذهبي إلى الطابق السفلي وأحضري لي دليل هاتف لندن".

"هل أبحث عن رقم معين يا عزيزتي؟ أو عنوان؟".

"إذا كنت أريدك أن تفعلي لطلبت منك ذلك. افعلي ما طلبته منك. وأحضريه إلى هنا، وضعي أدوات الكتابة بالقرب من السرير".

أطاعت الآنسة لوسون أوامرها.

وهي على وشك الخروج من الغرفة بعدما قامت بما طلبته منها سيدتها، قالت لها إميلي أروندیل فجأة:

"أنت إنسانة طيبة ووفية يا ميني. لا تنزعجي من فظاظتي في التعامل؛ فليس بإمكاني أن أمسك لساني عن ذلك. أنت صبورة للغاية وطيبة معي".

خرجت الآنسة لوسون من الغرفة بوجه مكفهر، وهي تتفوه بكلمات غير مترابطة.

جلست الآنسة أروندیل على سریرها، وأخذت تكتب خطابًا. كتبته ببطء وتأنٍ، وتوقفت عدة مرات وهي تفكر وتضع خطوطًا تحت الكثير من الجمل. طبقت الورقة مرة تلو الأخرى؛ فقد نشأت في مدرسة تعلمت فيها ألا تهدر الورقة التي تكتب فيها. وأخيرًا، وبتنهيدة تنم عن الرضا ـ وقعت باسمها ووضعت الخطاب في مظروف. كتبت اسمًا على المظروف، ثم أخرجت ورقة بيضاء، وصنعت مسودة وأعادت كتابة الخطاب ثم قرأته من جديد وقامت ببعض التعديلات ومسحت بعض الجمل، حتى كتبت نسخة جيدة. قرأت الخطاب بالكامل بعناية شديدة، ثم ارتاحت عندما شعرت بأنها عبرت عما تريده. أغلقت المظروف وكتبت عليه المحترم ويليام بيرفيس، السادة المحامين بيرفس وتشارلزورث بيرفيس ـــ هارشستر.

أمسكت المظروف الأول مرة أخرى ـ الخطاب الموجه إلى هيركيول بوارو ـ وفتحت دليل الهاتف. وبعدما حددت العنوان كتبته على المظروف.

ثم سمعت نقرًا على الباب.

فأدخلت الآنسة أروندیل الخطاب الذي انتهت لتوها من كتابة العنوان عليه ـ الخطاب الموجه لـ هيركيول بوارو ـ داخل جيب محفظة الكتابة الخاص بها.

لم تكن تنوي إثارة فضول ميني، التي كانت فضولية للغاية فعلاً.

قالت لها: "ادخلي" واتكأت بظهرها على وسائدها بعدما تنهدت تنهيدة تنم عن الارتياح.

لقد اتخذت خطوات جادة للتعامل مع الموقف!

الخامس

هيركيول بوارو يتلقى خطابًا

الأحداث التي رويتها لتوي لم تكن بالطبع معروفة لي سوى بعد حدوثها بوقت طويل. ولكن باستجواب مختلف أفراد الأسرة بالتفصيل، أظن أنني أهنت الجميع بما فيه الكفاية.

دخلت أنا وبوارو في الأمر عندما تلقينا خطاب الآنسة أروندیل.

أذكر ذلك اليوم جيدًا. كان يومًا حارًا، خاليًا من الهواء في نهاية شهر يونيو.

كان بوارو معتادًا نظامًا معينًا عند فتح مراسلاته الصباحية؛ فقد كان يمسك كل خطاب، ويتفحصه جيدًا، ثم يفتح الظرف بمقطع الورق. كان يقرأ محتواه بإمعان، ثم يضعه ضمن كومة من أربع كومات خلف إبريق الشيكولاتة (كان بوارو يحتسي الشيكولاتة على الإفطار، عادة تثير الاشمئزاز). كل ذلك بطريقة ميكانيكية بحتة!

كانت أقل مخالفة لهذا النظام اليومي تشتت انتباهه لحد بعيد.

كنت جالسًا بجوار النافذة، أنظر إلى السيارات العابرة. كنت قد عدت مؤخرًا من الأرجنتين، وكنت مبهورًا بعودتي إلى زحمة الحياة في لندن من جديد.

التفت برأسي وقلت وابتسامة تعلو وجهي:

"بوارو، أنا واثسون المتواضع، سوف أخاطر بعمل استنتاج".

"رائع يا صديقي. وما هو؟".

جلست في وضع مستقيم وقلت بمباهاة:

"لقد تلقيت *خطابًا* هذا الصباح ذا أهمية خاصة!".

"أنت بالفعل ذكي مثل تشارلوك هولمز! نعم، أنت محق تمامًا".

ضحكت.

"أرأيت. أنا *أعرف أساليبك* يا بوارو. إذا قرأت خطابًا مرتين فهذا يعني أن له أهمية خاصة بالضرورة".

"احكم بنفسك يا هاستنجز".

سلمني صديقي الخطاب المعني وعلى شفتيه ابتسامة.

أخذته باهتمام لا يقل عن اهتمامه، ولكنني كشرت على الفور عندما نظرت إليه. كان مكتوبًا بخط متداخل قديم الطراز، كما أنه كان مكتوبًا في صفحتين.

قلت متذمرًا: "هل يجب أن أقرأه يا بوارو؟".

"أها، لست مكرّهًا على ذلك. بالطبع لا".

"ألا يمكنك أن تطلعني على فحواه؟".

"أفضل أن تكوّن حكمك الخاص. ولكن لا تنزعج إذا وجدته مملاً".

قلت له باحتجاج: "لا، لا، أريد أن أعرف ما فيه".

قال صديقي بطريقة جافة:

"من الصعب أن تفعل *ذلك*. في الحقيقة، الخطاب لا يقول أي شيء أبدًا".

تصورت أنه يبالغ في ذلك، فأخذت الخطاب مباشرة دون أي كلام.

السيد هيركيول بوارو،

سيدي العزيز،

بعد كثير من الشك وعدم القدرة على اتخاذ قرار، أكتب إليك (تم شطب الكلمة الأخيرة ومضى الخطاب يقول) *تشجعت أن أكتب إليك أملاً في أن*

تتمكن من مساعدتي في مسألة ذات طبيعة خاصة للغاية (كانت هناك ثلاثة خطوط تحت كلمتي خاصة للغاية). *لم يكن اسمك معروفًا لي، ولكنني عرفته من خلال الآنسة فوكس من إكستير، وعلى الرغم من أن الآنسة فوكس لم تكن تعرفك معرفة شخصية، فإنها ذكرت أن أخت زوجها* (التي يؤسفني أن أقول إنني لا أذكر اسمها) *تحدثت عن فضلك وتعقلك بأفضل الكلمات* (كانت أفضل الكلمات تحتها خط واحد) *عن التحقيق الذي أجريته لها، ولكنني فهمت من الآنسة فوكس أنه كانت له طبيعة مؤلمة وسرية* (آخر أربع كلمات تحتها خط عريض).

توقفت عن قراءة كلمات الخطاب المتداخلة؛ فقد وجدتها مهمة شاقة للغاية.

قلت له: "بوارو. هل يجب أن أواصل قراءة الخطاب؟ هل ستفصح عن المقصد منه؟".

"استمر يا صديقي. صبرًا".

قلت متذمرًا: "صبرًا! الخط متداخل للغاية كأن عنكبوتًا دخل في الحبارة وسار على الورقة! أذكر أن خط عمتي ماري العجوز كان بهذا الشكل!".

تابعت قراءة الخطاب مرة أخرى.

في مأزقي الراهن، تراءى لي أنك قد تقوم بالتحقيقات اللازمة لي. المشكلة ـ كما ستفهم من كلامي ـ تتطلب أكبر قدر ممكن من التعقل، وآمل ـ كم آمل وأدعو (أدعو تحتها خطان) *أن يكون الأمر كذلك. وقد أكون مخطئة تمامًا؛ فالمرء قد يولي اهتمامًا أكبر من اللازم لحقائق قابلة لتفسير طبيعي.*

تمتمت أقول في حيرة: "ألم أفوّت ورقة؟".

قال بوارو ضاحكًا: "لا، لا".

"لأن هذا الكلام لا يبدو منطقيًا. ما الذي تتحدث عنه؟".

"*أكمل من فضلك*".

الأمر كذلك ـ كما ستفهم ـ لا، سوف أتجاوز هذا الأمر. أوه! ها نحن. في هذه الظروف، أنا متأكدة أنك سوف تكون أول من يقدرها، من المستحيل أن أستشير أي شخص في ماركيت بيسينج (ألقيت نظرة على العنوان الوارد في بداية الخطاب، منزل ليتلجرين في ماركيت بيسينج في بيركس)، *ولكن في الوقت نفسه من الطبيعي أن أشعر بعدم الارتياح* (عدم ارتياح تحتها خط) *خلال الأيام القليلة الماضية. لقد وبخت نفسي لأنني كنت خيالية كثيرًا* (خيالية تحتها ثلاثة خطوط)، *ولكن أوهامي تزايدت. لعلي أولي اهتمامًا غير مبرر لشيء تافه في النهاية* (تافه تحتها خطان)، *ولكن إحساسي بعدم الراحة لازمني. أشعر بأن عقلي يجب أن يرتاح من التفكير في هذا الأمر. إنه يفترس عقلي، ويؤثر على صحتي، ومن الطبيعي أن أكون في موقف صعب لأنه ليس بإمكاني أن أطلع أي شخص عليه* (كانت هناك خطوط عريضة أسفل هذه العبارة). *بحكمتك قد تقول بالطبع، إن الأمر برمته من نسج خيال سيدة عجوز. قد تكون الحقائق قابلة لتفسير منطقي بريء* (بريء تحتها خط). *ولكن وبالرغم من أن الأمر قد يبدو تافهًا، منذ حادثة كرة الكلب، انتابني الشك وشعرت بخطر متزايد؛ لذلك أريد أن أسمع وجهة نظرك ورأيك في الأمر. أنا واثقة أن هذا الأمر سيريحني من التفكير. أرجو أن تتكرم وتبلغني بأتعابك وما تنصحني به في هذا الصدد؟*

يجب أن أذكرك مرة أخرى بأنه ليس هناك من يعرف أي شيء عن هذا الأمر. الحقائق كما أعرف تافهة للغاية وغير مهمة، ولكن صحتي ليست على خير ما يرام، وأعصابي (تحتها ثلاثة خطوط)، *ليست كما كانت؛ فالقلق يضر بصحتي كثيرًا. وكلما فكرت في الأمر، زاد اقتناعي بأنني كنت محقة وأنه ليس هناك مجال للخطأ. طبعًا، لا يمكنني أن أقول أي شيء* (تحتها خط) *لأي شخص هنا* (تحتها خط).

آمل أن أتلقى نصيحتك في هذا الأمر في وقت قريب.

المخلصة لك دومًا،

إميلي أروندیل

قلبت الخطاب وتفحصته جيدًا مرة أخرى، ثم قلت معترضًا: "ولكن يا بوارو، عَمَّ يدور كل هذا *الكلام*؟".

هز صديقي كتفيه وقال.

"ماذا حقًا؟".

نقرت على الورق بنفاد صبر.

"يا لها من امرأة! لماذا لم تفصح السيدة ـــ أو الآنسة أروندیل ـــ".

"أظنها آنسة. إنه الأسلوب المعتاد لعانس".

قلت له: "نعم. نعم، إنها سيدة عجوز مزعجة فعلاً. لماذا لا تفصح عما تتحدث عنه؟".

تنهد بوارو.

"كما تقول، لقد فشلت إلى حد بعيد في أن تتمتع عملياتها الذهنية بالنظام والتسلسل، وبدون نظام وتسلسل منطقي يا هاستنجز ـــ".

قاطعته على الفور قائلاً: "بالضبط، المنطق غير موجود عمليًا".

"لن أقول ذلك يا صديقي".

"أنا أقول ذلك. ما *الهدف* من كتابة خطاب كهذا؟".

اعترف بوارو قائلاً: "صغير للغاية، هذا صحيح".

أردفت قائلاً: "مجرد كلام غير مترابط ليس إلا. لعله نابع من استيائها من كلبها الصغير السمين، لعله كلب بج أو بكيني!". نظرت إلى صديقي نظرة غريبة: "وبالرغم من ذلك قرأت الخطاب مرتين. لا أفهمك يا بوارو".

ابتسم بوارو.

"كنت ستلقيه مباشرة في سلة المهملات يا هاستنجز؟".

تجهمت في وجهه وأنا أقول: "أخشى أنني سأفعل ذلك. أخشى أن أكون غبيًا كالعادة، ولكنني لا أرى أي شيء مثير للاهتمام في هذا الخطاب!".

"بالرغم من ذلك هناك نقطة واحدة لها أهمية كبيرة ـــ نقطة أوقفتني على الفور".

صحت قائلاً: "انتظر. لا تخبرني بها، دعني أرَ ما إذا كنت سأكتشفها بنفسي".

ربما كان تصرفًا صبيانيًا من جانبي. تفحصت الخطاب بعناية شديدة، ثم هززت رأسي.

"لا، لم أجدها. السيدة العجوز أثارت قلقنا. أفهم ذلك، ولكن أغلب السيدات المسنات يفعلن ذلك! لعله ليس أمرًا مهمًا ــ لعله لا يدور عن أي شيء. ولكنني لا أرى ما تتحدث عنه. إلا إذا كان حدسك ــ".

رفع بوارو يده إشارة على شعوره بالاستياء.

"حدس! تعرف كم أمقت هذه الكلمة. هناك شيء يخبرني ـ هذا ما تتصوره ـ لست أنا؛ فأنا أفكر بعقلي. أستخدم عقلي. هناك نقطة واحدة أغفلتها تمامًا يا هاستنجز".

قلت له بسأم: "حسنًا. سوف أشتريه".

"تشتريه؟ تشتري ماذا؟".

"التعبير. أي أنني سوف أسمح لك بأن تستمتع بنفسك وأنت تخبرني بالنقطة التي جعلتني أبدو غبيًا".

"لست غبيًا يا هاستنجز، ولكنك لا تتمتع بقوة ملاحظة".

"حسنًا يكفي ذلك. ما النقطة المهمة التي تتحدث عنها؟ أعتقد أن النقطة المهمة كما في "حادثة كرة الكلب" هي أنه *ليست* هناك نقطة مهمة!".

تغاضى بوارو عن هجومي المباغت عليه. قال بهدوء وطمأنينة:

"النقطة المهمة هي *التاريخ*".

"التاريخ؟".

أمسكت الخطاب. فوجدت التاريخ المدون أعلاه من الناحية اليسرى ١٧ من أبريل.

قلت ببطء: "نعم، هذا غريب، السابع عشر من أبريل".

"ونحن اليوم في الثامن والعشرين من يونيو. *هذا غريب أليس كذلك؟* منذ أكثر من شهرين".

هززت رأسي نافيًا.

"هذا لا يعني أي شيء على الأرجح، مجرد خطأ. كانت تريد أن تكتب يونيو فكتبت أبريل بدلاً منه".

"حتى لو كان الأمر كذلك؛ فقد مضت عشرة أيام، أو أحد عشر يومًا على ذلك، فتبقى حقيقة غريبة. ولكنك مخطئ في الواقع. انظر إلى لون الحبر. هذا الخطاب كتب منذ أكثر من عشرة أيام، أو أحد عشر يومًا مضت. لا، السابع عشر من أبريل هو التاريخ الصحيح. ولكن لماذا لم يتم إرسال الخطاب؟".

هززت كتفي.

"هذا سهل. لعل السيدة العجوز غيرت رأيها".

"إذن لماذا لم تتخلص من الخطاب؟ لماذا احتفظت به لأكثر من شهرين وأرسلته إليَّ الآن؟".

اضطررت لأن أعترف بأن الإجابة عن هذا السؤال كانت صعبة. في الواقع، لا أستطيع أن أفكر في إجابة مقنعة؛ فاكتفيت بهز رأسي ولم أنبس ببنت شفة.

أومأ بوارو برأسه.

"أرأيت ـ هذه هي النقطة المهمة! نعم، نقطة غريبة حقًا".

سألته: "وهل سترد على الخطاب؟".

"بالطبع يا صديقي".

ساد الصمت المكان ولم يسمع سوى صوت خربشة بوارو بالقلم. كان صباحًا حارًا يخلو من الهواء. ثم انبعثت رائحة تراب وقطران من النافذة.

نهض بوارو من على مكتبه، وهو يمسك بالخطاب، ثم فتح درجًا وأخرج منه صندوقًا مربعًا صغيرًا، وأخرج منه طابعًا. بلل الطابع بقطعة صغيرة من الإسفنج ليضعه على الخطاب.

وفجأة توقف، والطابع في يده، ثم هز رأسه في حماسة.

صاح قائلاً: "لا! من الخطأ أن أفعل ذلك"، ثم مزق الخطاب الصغير وألقاه في سلة المهملات الورقية.

"لا يجب أن نتعامل مع المسألة بهذه الطريقة! سوف نذهب إلى هناك يا صديقي".

"أتعني إلى ماركيت بيسينج؟".

"بالضبط. ولِمَ لا؟ أليست لندن مزدحمة هذه الأيام؟ ألن يكون الذهاب إلى الريف فكرة جيدة؟".

قلت له: "حسنًا، ما دمت ترى ذلك. هل سنذهب بالسيارة؟".

كنت قد اشتريت سيارة مستعملة موديل أوستين.

"ممتاز. يوم جيد للسفر بسيارة. لن نحتاج إلى كاتم صوت محرك السيارة. كل ما نحتاج إليه هو معطف خفيف، ووشاح من الحرير ـ".

قلت معترضًا: "صديقي العزيز، أنت لن تسافر إلى القطب الشمالي!".

قال بوارو بلهجة عملية: "على المرء أن يتوخى الحذر من أن يصاب بالبرد".

"في يوم كهذا؟".

لم يلتفت بوارو لاعتراضاتي، وتابع ارتداء معطفه البني الفاتح، ووضع منديلاً من الحرير الأبيض حول رقبته. وبعدما وضع الطابع المبتل على ظهره حتى يجف، غادرنا الغرفة معًا.

السادس

رحلتنا إلى منزل ليتلجرين

لا أعرف ما شعر به بوارو وهو يرتدي معطفًا ووشاحًا كهذا، ولكنني شخصيًا شعرت بأنني تحمصت من الشمس قبل أن نخرج من لندن؛ فالتواجد في سيارة مفتوحة وسط الزحام ليس بالمكان الذي يجدد النشاط والحيوية في يوم صيفي حار.

إلا أنه بمجرد خروجنا من لندن وسيرنا على طريق جريت ويست، شعرت كأنني استعدت نشاطي وحيويتي.

قدنا السيارة لمدة ساعة ونصف الساعة، ووصلنا إلى مدينة ماركيت بيسينج في الثانية عشرة تقريبًا. كنا نسير في البداية على الطريق الرئيسي، ثم انحرفنا مبتعدين حوالي ثلاثة أميال عن موجة الازدحام المروري الأساسية فشعرنا بروح الأصالة والهدوء. بدا شارعها الواسع وميدانها المتواضع كأنهما يقولان: "كنت مكانًا مهمًا من قبل، وأي شخص لا يزال يتمتع بحس جمالي لكل ما هو قديم سوف يراني كذلك. اترك هذا العالم الحديث المسرع يمر من شوارعه الجديدة، لقد تم بنائي لأصمد في يوم يتسم بالجمال والقوة في وقت واحد".

كانت هناك باحة مخصصة لوقوف السيارات في منتصف الميدان الكبير، رغم قلة السيارات الموجودة فيه. فأوقفت سيارتي الأوستين، وتجرد بوارو من زينته الزائدة، وتأكد من أن شاربه في شكل جيد ومتناسق، وأصبحنا مستعدين لمتابعة طريقنا.

للمرة الأولى في الطريق لم يلقَ سؤالنا الدائم والمستمر الإجابة المعتادة: "آسف ولكنني غريب في هذا المكان". حقًّا لم يكن هناك غرباء في بلدة ماركيت بيسينج! كانت بلدة تترك لديك هذا الانطباع! لذلك شعرت أنا و بوارو (وبوارو على وجه الخصوص) بأننا لفتنا الانتباه. فحرصنا على أن نبدو كأننا جئنا من بلدة إنجليزية ريفية ملتزمة بالأعراف والتقاليد.

أجابنا رجل ذو عينين واسعتين كعيني المها، وهو ينظر إلينا بتفكير: "منزل ليتلجرين؟ سر مباشرة إلى الطريق العالي، لن تتوه عنه ـــ سوف تجده أمامك على اليسار. ليست هناك أسماء على البوابة، ولكنه أول منزل كبير بعد البنك". ثم كرر كلامه: "لن تتوه عنه".

تبعنا بعينيه عندما بدأنا في السير في طريقنا.

تذمرت قائلاً: "يا إلهي! هناك شيء في هذا المكان يجعلني أشعر بأنني ملحوظ تمامًا. أما بالنسبة لك يا بوارو، فأنت تبدو غريبًا تمامًا".

"أتعتقد أنه لاحظ أنني أجنبي؟".

قلت له: "إنها حقيقة تبدو واضحة وضوح الشمس".

قال بوارو وهو مستغرق في التفكير: "بالرغم من أن ملابسي صنعها حائك إنجليزي".

قلت له: "الملابس ليست كل شيء. لا يمكن أن ننكر يا بوارو أن لك شخصية تلفت الانتباه. كثيرًا ما أتساءل كيف أنها لا تعوقك في عملك".

تنهد بوارو.

"هذا بسبب الفكرة الخاطئة المغروسة في ذهنك أن المحقق يجب أن يكون رجلاً يضع ذقنًا مستعارة، ويختبئ خلف عمود! الذقن المستعار أصبح موضة قديمة، أما الاختباء فلا يفعله سوى أقل أبناء مهنتي مهارة. ولكن هيركيول بوارو يا صديقي لا يحتاج إلى شيء سوى أن يجلس على كرسي ويفكر".

"وهو ما يفسر سبب سيرنا في هذا الشارع شديد الحرارة في يوم حار جدًّا".

"هذا الجواب ذكي للغاية يا هاستنجز. أعترف بأنك فزت عليَّ هذه المرة".

وجدنا منزل ليتلجرين بمنتهى السهولة، ولكن كانت الصدمة تنتظرنا؛ عندما وجدنا لوحة: للإيجار أو البيع.

بينما كنا نحدق فيها، شد انتباهي نباح كلب.

كانت الشجيرات صغيرة في ذلك المكان فرأيت الكلب بسهولة. كان كلبًا من نوع تريز يغطي جسمه صوف خشن طويل للغاية وكأنه يرتدي معطفًا. كان يقف مباعدًا قدميه، يميل ناحية أحدهما قليلاً، وكان ينبح بفرحة واضحة من أدائه الخاص وكأن دوافع طيبة تدفعه لذلك.

بدا كأنه يقول: "كلب مراقبة جيد، ألست كذلك؟ اعذراني! هذه متعتي الوحيدة! وواجبي أيضًا. فقط ليعلم الجميع أن هناك كلبًا في المكان! يا له من صباح ممل للغاية. من الممتع أن أحظى بشيء أفعله. هل ستدخلان منزلنا؟ آمل ذلك. إنه كئيب للغاية. بإمكاني أن أدخل في مناقشة صغيرة".

قلت له وأنا ألوح بيدي: "مرحبًا يا صديقي".

مسح عنقه في السياج الذي تشممه في ريبة، ثم هز ذيله برفق، وهو ينبح بصورة متقطعة.

"بالطبع لم نتعرف بالشكل اللائق؛ فعلي أن أُبقي ذيلي هذا مرفوعًا! ولكنني أرى أنك تعرف الخطوات اللازم اتخاذها".

قلت له: "كلب طيب".

قال الكلب بود: "هوو، هوو".

قلت لبوارو بعدما فرغت من هذا الحوار: "حسنًا يا بوارو؟".

كان هناك تعبير غريب على وجهه ـ تعبير لم أفهمه تمامًا. بدا أفضل وصف له أنه نوع من الدهشة المكتومة التي تعمد عدم إظهارها.

تمتم قائلاً: "حادثة كرة الكلب، حسنًا، لدينا كلب هنا".

قال صديقنا الجديد: "هوو"، ثم جلس وتثاءب فاغرًا فاه وهو ينظر إلينا في أمل.

سألته: "ماذا بعد؟".

بدا الكلب كأنه يطرح السؤال نفسه.

"يا إلهي! إلى السيدين ـ ما هذا ـ السيدين جابلر وستريتشر".

وافقته القول: "يبدو هذا واضحًا".

عدنا أدراجنا من حيث أتينا، وصديقنا الكلب ينبح من خلفنا.

كان مكتب جابلر وستريتشر يقع في ميدان ماركيت. دخلنا مكتبًا خارجيًا مظلمًا؛ حيث استقبلتنا سيدة شابة تعاني زائدة أنفية ولها عينان باهتتان.

قال بوارو بأدب: "صباح الخير".

كانت السيدة الشابة تتحدث على الهاتف، فأشارت لبوارو بالجلوس. وعثرت أنا على كرسي آخر فسحبته للأمام.

تحدثت السيدة الشابة عبر الهاتف على نحو فارغ: "لا أستطيع أن أقول إنني متأكدة. لا، لست أعرف كم ستكون الأسعار... عذرًا؟ أوه، مياه أساسي، على ما أظن، ولكنني طبعًا لا يمكن أن أجزم بذلك... أنا غاية في الأسف، أنا واثقة... لا، إنه في الخارج... لا، لن أقول نعم، طبعًا سأسأله... نعم... ٨١٣٥؟ أخشى ألا أكون سمعته. أوه... ٨٩٣٥... ٣٩... أوه، ٥١٣٥... نعم، سوف أبلغه بأن يتصل بك... بعد السادسة... أو، عذرًا، قبل السادسة... شكرًا جزيلاً".

وضعت سماعة الهاتف، ودونت بسرعة رقم ٥٣١٩ على لوحة الكتابة، ثم التفتت إلينا تسأل بعدم اهتمام وهي تثبت ناظريها على بوارو.

بدأ بوارو في الحديث بسرعة.

"لاحظت أن هناك منزلًا للبيع في ضواحي المدينة ـ منزل ليتلجرين على ما أعتقد".

"عذرًا؟".

تحدث بوارو ببطء وعلى نحو واضح قائلاً: "منزل للإيجار أو البيع. منزل ليتلجرين".

قالت السيدة الشابة بغموض: "أوه، منزل ليتلجرين. قلت منزل *ليتلجرين*؟".

"هذا ما قلته".

قالت السيدة الشابة، وكأنها تبذل جهدًا ذهنيًا هائلاً: "*منزل* ليتلجرين. أو، عفوًا أظن السيد جابلر سوف يفيدك في ذلك".

"هل يمكنني مقابلة السيد جابلر؟".

قالت السيدة الشابة بضعف واضح: "إنه في الخارج". قالتها بشيء من الرضا وكأن لسان حالها يقول: "نقطة لصالحي".

"هل تعرفين متى سيعود؟".

قالت السيدة الشابة: "لا أستطيع أن أحدد ذلك".

قال بوارو: "هل فهمتني، أنا أتطلع إلى منزل في هذه المنطقة".

قالت السيدة الشابة دون أي اهتمام: "أوه، نعم".

"وأشعر بأن منزل ليتلجرين هو ما أريد. هل يمكنك أن تمديني بالتفاصيل؟".

بدت السيدة الشابة مندهشة وقالت: "تفاصيل؟".

"تفاصيل منزل ليتلجرين".

دون أدنى استعداد فتحت درجًا وأخرجت ملفًا يحتوي على كومة غير مرتبة من الأوراق.

ثم نادت قائلة: "جون".

نظر إليها شاب طويل وهزيل كان يجلس في أحد الأركان.

"نعم يا آنسة".

"هل لدينا أي تفاصيل عن ـــ ماذا قلت؟".

قال بوارو بوضوح: "منزل ليتلجرين".

قلت وأنا أشير إلى الحائط: "لديكم إعلان كبير له هنا".

نظرت إليَّ ببرود. وكأنها تقول اثنان لواحد، ليست طريقة عادلة للعب، ثم نادت مصدر دعم لها.

"أنت لا تعرف أي شيء عن منزل ليتلجرين، أليس كذلك يا جون؟".

"لا يا آنسة. يجب أن يكون في الملف".

قالت السيدة الشابة دون أن يبدو عليها أدنى درجات الأسف: "أنا آسفة. أعتقد أننا أرسلنا التفاصيل إلى الخارج".

قال لها بالفرنسية: "*هذا مؤسف*".

"عذرًا؟".

كرر كلامه بالإنجليزية: "هذا مؤسف".

"لدينا بيت صغير في هيميل إند، فيه سريران، وغرفة معيشة". كانت تتحدث دون حماسة، ولكنها بدت مستعدة للقيام بواجبها الذي أوكله لها صاحب العمل.

"لا، شكرًا لك".

"وغرفة منفصلة تضم صوبة زجاجية صغيرة. يمكنني أن أعطيك تفاصيل هذا المنزل".

"لا شكرًا لك. أردت أن أعرف الإيجار الذي تريدونه في منزل ليتلجرين".

قالت السيدة الشابة بعدما تخلت عن جهلها التام بكل شيء مرتبط بمنزل ليتلجرين أملاً في إحراز نقطة: "إنه ليس للإيجار"، ثم أردفت تقول: "إنه للبيع".

تقول اللوحة: "للإيجار أو البيع".

"لا أستطيع أن أقول ذلك؛ إنه للبيع فقط".

عند هذا الحد من المعركة انفتح الباب وخرج رجل شعره رمادي في منتصف العمر بسرعة. رمقنا الرجل بعينه العدائية اللامعة، ثم سأل مرءوسته سؤالاً بعينيه.

قالت السيدة الشابة: "إنه السيد جابلر".

فتح السيد جابلر باب خلوته بحماسة. وأشار إلينا بإيماءة متواضعة بالدخول: "تفضلا يا سادة"، ثم قادنا لكرسيين وجلس هو على المكتب قبالتنا.

"كيف يمكنني أن أخدمكما؟".

بدأ بوارو في أداء مهمته بجد من جديد.

"أريد بعض التفاصيل عن منزل ليتلجرين ــ".

لم يسمع المزيد؛ حيث أخذ السيد جابلر على الفور دفة الحديث:

"أها، منزل ليتلجرين ــ *ملكية* خاصة! صفقة رابحة. عُرض للبيع مؤخرًا. أستطيع أن أقول لكما يا سادة إننا لا نحظى كثيرًا بمنزل من هذا النوع بهذا السعر. الأذواق تغيرت كثيرًا؛ فالناس ملوا المنازل الرخيصة، وأصبحوا يبحثون عن منازل جيدة فخمة. ملكية جميلة ـ له طابع خاص ـ ملكي في كل شيء. هذا هو ما يريده الناس هذه الأيام ــ ذوق راق في كل شيء. منزل يستأجرونه لفترة وجيزة إذا كنت تفهم قصدي. أها، نعم، هذا المنزل لن يظل في السوق كثيرًا، سوف يُخطف خطفًا! لقد جاء أحد أعضاء البرلمان ليلقي نظرة عليه السبت الماضي. وقد أعجبه المنزل كثيرًا، وسوف يأتي مرة أخرى هذه الإجازة. كما أن رجلاً يعمل في البورصة يسعى لشرائه أيضًا. أصبح الناس ينشدون الهدوء عندما يأتون إلى الريف، يريدون أن يبتعدوا عن الطرق الرئيسية. هذا ما ينشده الناس، ولكننا نجذب عليّة القوم. وهذا هو ما يقدمه هذا المنزل. الطبقة! يجب أن تعترف، بأنهم عرفوا كيف يبنون لنبلاء هذه الأيام. نعم، لن يبقى منزل ليتلجرين في حوزتنا كثيرًا".

توقف السيد جابلر (التي تعني بالإنجليزية مشوش) عن الكلام ليلتقط أنفاسه، فكرت لأول مرة أنه اسم على مسمى فعلاً.

سأل بوارو: "هل تغير أصحابه كثيرًا في السنوات القليلة الأخيرة؟".

"على العكس. لقد ظل في حيازة عائلة واحدة لأكثر من خمسين عامًا. عائلة أروندیل؛ وهي عائلة لها مكانتها في البلدة ـ سيدات من عائلة مرموقة!".

نهض من مكانه وفتح الباب ونادى قائلاً:

"تفاصيل منزل ليتلجرين يا آنسة جينكينز. أحضريها بسرعة".

ثم عاد إلى مكتبه.

قال بوارو: "أنا أريد منزلاً يبعد هذه المسافة عن لندن. في الريف، دون أن يكون المكان هادئًا تمامًا، إذا فهمت ما أعنيه ــ".

"ممتاز ـ ممتاز. فالبقاء في الريف لفترة طويلة غير مُجْد. الخدم لا يحبون ذلك. هنا ستحظى بمزايا الإقامة في الريف دون عيوبه". قدمت الآنسة

جينكينز بسرعة حاملة ملفًا من الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة ووضعتها أمام رئيسها الذي صرفها بإشارة من يده.

قال السيد جابلر وهو يقلب الملف بسرعة معتادة: "ها نحن، منزل قديم له طابع خاص: أربع غرف استقبال، ثمانية أسرَّة ومزينات، ومكاتب معتادة وكل مستلزمات المطبخ، ومبانٍ ملحقة إضافية، وطاولات... إلخ. فيه مياه وحديقة قديمة، بحاجة لصيانة بسيطة، إجمالي المساحة بالحديقة ثلاثة أفدنة بالسقيفتين الصيفيتين... إلخ .. إلخ. ثمنه ٢٨٥٠ أو حوالي هذا السعر".

"أيمكنك أن تكتب لي طلبًا لألقي نظرة عليه".

"بالطبع يا سيدي"، ثم بدأ السيد جابلر في كتابة بعض البيانات: "اسمك وعنوانك؟".

فوجئت بأن بوارو أعطاه اسم السيد باروتي.

تابع السيد جابلر كلامه قائلاً: "لدينا ملكية أخرى أو اثنتان قد تعجبانك".

سمح له بوارو بإعطائه تفصيلة أخرى أو اثنتين.

سأل بوارو: "أيمكنني أن أرى منزل ليتلجرين في أي وقت؟".

"بالطبع يا سيدي. هناك خدم في المنزل، يمكنني أن أبلغهم بذهابك. سوف تذهب إلى هناك مباشرة؟ أم بعد الغداء؟".

"لعله من الأفضل أن يكون بعد الغداء".

"بالطبع ـــ بالطبع. سوف أتصل بهم وأبلغهم بزيارتك في الساعة الثانية. هل هذا الوقت يناسبك؟".

"شكرًا لك. قلت إن صاحبة المنزل تسمى الآنسة أروندیل، كما أظن؟".

"لوسون، الآنسة لوسون. إنه اسم المالكة الجديدة؛ فالآنسة أروندیل ـ يؤسفني أن أقول ـــ توفيت منذ فترة قصيرة. وبهذه الطريقة طرح المنزل للبيع. أؤكد لك أنه سوف يخطف خطفًا. ليس هناك شك في ذلك. بيني وبينك، إذا كنت تفكر في التقدم لشرائه، فإمكاني أن أتمم الصفقة بسرعة. كما أبلغتك، هناك اثنان يرغبان في شرائه بالفعل، وأتوقع أن أتلقى عرضًا لشرائه في أي يوم

من أحدهما. كل واحد منهما يعرف أن الآخر يرغب فيه، فهمتني. وقطعًا المنافسة تدفع الاثنين لشرائه. ها، ها! لا أريدك أن تصاب بالإحباط".

"أظن أن الآنسة لوسون حريصة على بيعه".

خفض السيد جابلر صوته وقال:

"هذا صحيح؛ فالمكان أكبر مما تريده ـ وهي سيدة في منتصف العمر تعيش بمفردها. إنها تريد أن تتخلص منه وتشتري منزلاً في لندن. هذا مفهوم تمامًا. لهذا السبب سعر المنزل زهيد للغاية".

"لعلها توافق على أحد العروض؟".

"هذه هي الفكرة يا سيدي. قدم عرضك وخذ فرصتك. ولكن خذها مني كلمة، لن تكون هناك صعوبة في الحصول على المكان بسعر قريب من السعر المحدد. لماذا؟ هذا سخيف! بناء منزل كهذا هذه الأيام سوف يكلفك ستة آلاف جنيه، ناهيك عن ثمن الأرض وواجهة المبنى".

"لقد توفيت الآنسة أروندیل فجأة، أليس كذلك؟".

"أوه، لا أقول ذلك؛ فقد بلغت من الكِبَر عتيًّا؛ حيث تجاوزت السبعين من عمرها. وظلت مريضة لفترة طويلة. كانت آخر من تبقى من عائلتها ـ لعلك تعرف شيئًا عن عائلتها؟".

"أعرف بعض الأشخاص بالاسم نفسه، لديهم أقارب في هذا الجزء من العالم. أظنها العائلة نفسها".

"محتمل جدًا؛ فقد كانت عائلة تتكون من أربع أخوات. تزوجت إحداهن في عمر متأخر، وظلت الأخوات الثلاث في المنزل. إنهن سيدات من عائلة مرموقة، كانت الآنسة إميلي آخر من تبقى منهن. كانت لها منزلة كبيرة في البلدة".

اتكأ للأمام وسلم بوارو طلب زيارة المنزل.

"سوف تأتي مرة أخرى وتطلعني على رأيك في المنزل، أليس كذلك؟ بالطبع قد يحتاج إلى لمسة من التحديث. هذا هو كل ما يحتاج إليه المنزل. ولكنني أقول دومًا، ما معنى إصلاح حمام أو اثنين؟ من السهل القيام بذلك".

هممنا بالانصراف، وكان آخر ما سمعناه هو صوت الآنسة جينكينز الفارغ وهي تقول:

"لقد اتصلت السيدة صامويل يا سيدي. تريدك أن تتصل بها ـ في هولندا على الرقم ٥٣٩١".

على ما أتذكر، لم يكن هذا هو الرقم الذي دونته الآنسة جينكينز على لوح الكتابة، أو الرقم الذي سمعته في نهاية حديثها على التليفون.

يبدو أن الآنسة جينكينز كانت تنتقم منه؛ لأنها اضطرت للبحث عن تفاصيل منزل ليتلجرين!

السابع

مقابلة في فندق جورج

بمجرد أن خرجنا إلى ميدان ماركيت، لاحظت أن السيد جابلر اسم على مسمى بعض الشيء وعندما أخبرت بوارو بذلك، وافقني الرأي بابتسامة عريضة على شفتيه.

قلت له: "سوف يحبط كثيرًا عندما لا تعود إليه. أظنه يعتقد أنه باعك هذا المنزل بالفعل".

"هذا صحيح فعلاً، هناك خدعة تنتظره في المستقبل".

"أعتقد أننا يجب أن نتناول الغداء هنا أيضًا قبل أن نعود إلى لندن، أم ترى أن نتناول الغداء في مكان أقرب ونحن في طريقنا للعودة؟".

"عزيزي هاستنجز، أنا لا أقول إننا سنترك ماركيت بيسينج بهذه السرعة. لم ننته بعد مما جئنا لأجله".

حدقت فيه.

"هل تعني ـــ ولكن يا صديقي العزيز، الأمر انتهى بوفاة السيدة العجوز".

"بالضبط".

جعلتني النبرة التي نطق بها هذه الكلمة أحدق فيه أكثر من ذي قبل. كان من الواضح أن هناك ما يفكر فيه كثيرًا بشأن هذا الخطاب غير المترابط.

قلت له بلطف: "ولكن إذا كانت قد ماتت يا بوارو، فما الهدف من ذلك؟ لن تستطيع أن تخبرك بأي شيء الآن. أيًا ما كانت المشكلة، لقد انتهى الأمر".

"أنت تتعامل مع الأمر بمنتهى الخفة والبساطة! دعني أخبرك بأنه *لن ينتهي* أي شيء حتى يكف هيركيول بوارو عن شغل نفسه به!".

كان عليَّ أن أعرف من خلال التجربة أن الجدال مع بوارو لا طائل منه أبدًا. ولكنني تابعت الجدال معه غير مكترث بذلك.

"ولكن بما أنها ماتت ـ".

"بالضبط يا هاستنجز. بالضبط ـ بالضبط ـ بالضبط... ما زلت تكرر النقطة المهمة غير مكترث أبدًا لأهميتها. ألا ترى أهمية هذه النقطة؟ الآنسة أروندیل *ماتت*".

"ولكن يا عزيزي بوارو، كان موتها طبيعيًا تمامًا وعاديًا! ليس هناك أي شيء غريب أو غير مفهوم في ذلك. وقد أكد السيد جابلر ذلك".

"لقد علمنا منه أن منزل ليتلجرين عرض للبيع بسعر مُغْرٍ وهو ٢٨٥٠ جنيهًا إسترلينيًا. هل ترى أن هذه بشارة طيبة أيضًا؟".

"بالطبع لا. لقد صدمت عندما علمت من جابلر أنه يسعى لشراء المنزل المعروض للبيع ـ لعله بحاجة لتحديث بالكامل. أقسم أنه ـ أو بالأحرى عميله ـ سوف يكون مستعدًا لقبول سعر أقل بكثير من ذلك؛ فهذه المنازل القديمة الضخمة التي تطل على الشارع مباشرة يجب التخلص منها بأقصى سرعة ممكنة".

قال له بوارو: "حسنًا، إذن. لا تقل "ولكن جابلر قال ذلك!" وكأنه رسول ملهم لا يكذب أبدًا".

كنت على وشك إبداء مزيد من الاعتراضات، ولكننا في تلك اللحظة دخلنا فندق جورج؛ حيث أنهى بوارو النقاش بكلمة واحدة حاسمة "يكفي!".

قادنا النادل لغرفة القهوة، وكانت غرفة مساحتها جيدة، نوافذها مغلقة بإحكام، تفوح منها رائحة طعام فاسد. فقدم إلينا نادلًا مسنًّا، يسير ببطء ويتنفس بصعوبة. لم يكن هناك غيرنا في المكان تقريبًا. طلبنا لحم ضأن ممتازًا، وبعض شرائح الكرنب المسلوق، وبعض البطاطس الباردة. تبعها عصير فاكهة لا طعم

له ولا رائحة وبعض الكاسترد. وبعد جبن الجورجونزولا، والبسكويت، أحضر لنا النادل كوبين من مشروب مشكوك فيه باعتباره قهوة.

في تلك اللحظة حدد بوارو طلباته ونادى النادل.

"نعم يا سيدي، أعرف أين توجد. منزل هيميل داون يبعد ثلاثة أميال عن هنا ـ على طريق ماتش بنهام ـ وهو مكان صغير للغاية. ومزرعة نيلور تبعد ميلاً تقريبًا. هناك ممر صغير لا يبعد كثيرًا عن منطقة كينجز هيد. أما بيسيت وراتج فلم أسمع به. بالنسبة لمنزل ليتلجرين فهو قريب من هنا، لا يحتاج إلا إلى دقائق قليلة من السير".

"آها، لقد رأيت المنزل من الخارج، أظن أنه أكثر منزل مناسب. أظن أنه في حالة جيدة، صحيح؟".

"آها، نعم يا سيدي. إنه في حالة جيدة؛ السطح والمواسير في حالة جيدة. طرازه قديم بالطبع، ولكن لم يتم عمل أي تحديث له بأية طريقة. وحديقته ممتازة؛ فقد كانت الآنسة أروندیل مغرمة بالحديقة كثيرًا".

"إنه ملك للآنسة لوسون كما أعرف".

"هذا صحيح يا سيدي، الآنسة لوسون كانت جليسة الآنسة أروندیل، وعندما توفيت السيدة العجوز، آل كل شيء إليها ـ المنزل وكل شيء".

"حقًا؟ أظن أنه لم يكن لديها أقارب تترك لهم المنزل؟".

"في الواقع، الأمر ليس كذلك يا سيدي؛ *فأبناء إخوتها* على قيد الحياة. ولكن الآنسة لوسون كانت معها طوال الوقت. كما أنها كانت سيدة عجوزًا، هكذا سار الأمر".

"على أية حال، أظن أنها لم تترك سوى المنزل، ولم يكن لديها كثير من المال؟".

كثيرًا ما لاحظت أنه عندما يفشل سؤال مباشرة في استجداء إجابة واضحة، يؤدي الافتراض الخاطئ إلى الحصول على معلومات فورية متناقضة.

"هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة يا سيدي. بعيد للغاية حقًا. لقد فوجئ الجميع بوفاة السيدة العجوز. لقد نُشرت الوصية في الصحف وكمية المال التي

تركتها وكل شيء. يبدو أنها لم تكن تعيش على المستوى نفسه الذي يكفله ا
دخلها؛ فقد تركت حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه".

صاح بوارو قائلاً: "لقد فاجأتني. وكأنها حكاية خرافية أليس كذلك؟ أصبح
صديقتها الفقيرة ثرية للغاية بين عشية وضحاها. ألا تزال شابة، أعني الآنسة
لوسون؟ هل ستعرف كيف تستمتع بالثروة الجديدة التي حصلت عليها؟".

"أوه، لا يا سيدي، إنها في منتصف العمر".

بدت طريقته في الحديث عنها مصطنعة للغاية. كان من الواضح أن الآنسة
لوسون ـــ الجليسة السابقة ـــ ليست لها مكانة بارزة في ماركيت بيسينج".

قال بوارو متسائلاً: "قطعًا كان الخبر محبطًا لأبناء إخوتها؟".

"أظن ذلك يا سيدي، بدا الأمر صادمًا بالنسبة لهم، وغير متوقع على
الإطلاق. ساد بلدة ماركيت بيسينج شعور بذلك. رأى البعض أنه من غير
الصحيح أن تترك أموالك لأحد ليس من لحمك ودمك. ولكن بالطبع هناك من
يرى أنه من حق المرء أن يفعل ما يحلو له بماله الخاص. وبالطبع هناك ما
يمكن أن يقال عن كلا الأمرين".

"لقد عاشت الآنسة أروندیل سنوات طويلة هنا، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدي، لقد عاشت هنا مع إخوتها والجنرال أروندیل الوالد من
قبلهم. أنا شخصيًا لا أذكره، ولكن أظن أنه كان يتمتع بشخصية قوية. كان يقاوم
الثورة الهندية".

"أكان لديه كثير من البنات؟".

"أذكر ثلاثًا منهن، أظن واحدة منهن فقط هي من تزوجت. نعم، الآنسة
ماتيلدا، والآنسة آجنس، والآنسة إميلي. توفيت الآنسة ماتيلدا في البداية، ثم
الآنسة آجنس، وأخيرًا الآنسة إميلي".

"حدث ذلك مؤخرًا؟".

"في أول مايو ـ أو ربما في نهاية أبريل".

"هل كانت مريضة؟".

"بين الحين والآخر ـ بين الحين والآخر. كانت أقرب للمرض. أظنها ظلت
تعاني الصفراء لعام كامل. كانت تبدو صفراء اللون منذ ذلك الوقت. نعم كانت
صحتها ضعيفة طوال السنوات الخمس الأخيرة من حياتها".

"أظن أن لديكم أطباء مهرة هنا؟".

"حسنًا، هناك دكتور جرينجر. ظل هنا طوال أربعين عامًا، وأغلب الناس
يذهبون إليه. إنه غريب بعض الشيء، كما أن له ميولًا خاصة، ولكنه طبيب ماهر،
أيضًا هناك طبيب أفضل منه. وله شريك شاب يدعى دكتور دونالدسون، وهو
طبيب عصري. بعض الناس يرون أنه طبيب أفضل، وهناك طبعًا دكتور هاردينج،
ولكنه لا يعمل كثيرًا".

"أظن أن دكتور جرينجر كان الطبيب الخاص للآنسة أروندیل؟".

"أوه، نعم. لقد أنقذها عدة مرات من وعكات صحية. إنه من ذلك النوع من
الأطباء الذين يدفعونك دفعًا للحياة، سواء كنت ترغب في ذلك أم لا".

أومأ بوارو برأسه.

قال بوارو: "المرء يحب أن يعرف القليل عن المكان الذي يريد العيش فيه.
والطبيب الجيد أحد أهم الأشخاص الذين يجب أن تعرفهم".

"هذا صحيح تمامًا يا سيدي".

ثم طلب بوارو فاتورته التي أضاف إليها إكرامية كبيرة.

"شكرًا لك يا سيدي. شكرًا جزيلاً لك. أتمنى أن تعيش هنا معنا".

فقال بوارو متصنعًا: "أتمنى ذلك أيضًا".

ثم تحركنا من فندق جورج.

سألت بوارو عندما خرجنا إلى الشارع: "هل اكتفيت من ذلك يا بوارو؟".

"ولا بأقل درجة يا صديقي".

ثم التفت في اتجاه غير متوقع.

"إلى أين ستتجه الآن يا بوارو؟".

"إلى دار العبادة يا صديقي. قد أجد هناك شيئًا مهمًّا ـ بعض اللوحات النحاسية، تذكارات قديمة". هززت رأسي في شك.

لم يتفحص بوارو دار العبادة من الداخل بدقة؛ فبرغم وجود لوحات جدارية ومعروفة هناك، فقد تم ترميمها بعناية في العصر الفيكتوري، ولم يصبح لها أي أهمية تذكر.

بعد ذلك، طرح بوارو بعض الأسئلة في ساحة دار العبادة بطريقة بدت لا طائل من ورائها عن بعض النقوش الموجودة على الأضرحة، وعلق على عدد الوفيات في أسر معينة، وهو يتعجب بين الحين والآخر من غرابة اسم معين.

إلا أنني لم أندهش عندما توقف أخيرًا أمام الأضرحة التي كنت واثقًا بأنه يهدف إليها من البداية:

كانت هناك كلمات مطموسة بشكل جزئي على أضرحة رخامية مهيبة كتب عليها:

إحياءً لذكرى
جون ليفيرتون أروندیل
الجنرال ٢٤ الذي قاوم الثورة الهندية
توفي في ١٩ مايو عام ١٨٨٨
في الـ ٦٩ من العمر
"خُض المعركة الصحيحة بكل ما أوتيت من قوة".

ماتيلدا آن أروندیل
توفيت في ١٠ من مارس ١٩١٢
"سوف تصعد روحي وأذهب لوالدي".

أيضًا
آجنس جورجينا ماري أروندیل
توفيت في ٢٠ من نوفمبر عام ١٩١٢
"سل وسوف تجاب".

وقفت هناك قطعة رخام جديدة، واضح أنها وضعت مؤخرًا:

أيضًا
إميلي هاريت لافيرتون أروندیل
توفيت في الأول من مايو ١٩٣٦
"الوصية نافذة"

وقف بوارو ينظر في الضريح لبعض الوقت.

ثم تمتم بصوت منخفض قائلاً:

الأول من مايو... الأول من مايو... وأتلقى خطابها اليوم؛ ٢٨ من يونيو. أفهمت، ألا توافقني الرأي يا هاستينجز أن هذا الأمر بحاجة لتفسير؟".

واهته الرأي.

بمعنى أنني رأيت أن بوارو كان مصرًا أن يجد تفسيرًا لهذا الأمر.

الثامن

بداخل منزل ليتلجرين

بعدما غادرنا ساحة دار العبادة، سار بوارو بسرعة في اتجاه منزل ليتلجرين. ففهمت أنه سوف يلعب هذه المرة دور المشتري المرتقب للمنزل. كان يمسك بطلبات الشراء المختلفة، واضعًا الطلب الخاص بمنزل ليتلجرين في المقدمة. فدفع البوابة، وسار مباشرة نحو الباب الأمامي.

في تلك اللحظة لم نرَ صديقنا الكلب التريـر، ولكننا سمعنا نباحه من داخل المنزل، رغم أنه كان قادمًا من مكان قريب ـ خمنت أنه المطبخ.

وعلى الفور، سمعنا وقع أقدام آتية من الردهة وانفتح الباب فظهرت سيدة وجهها يسر الناظرين ما بين الخمسين والستين من العمر، يبدو عليها أنها من ذلك النوع القديم من الخدم الذين نادرًا ما أصبحنا نراهم هذه الأيام.

قدم بوارو أوراقه.

"نعم يا سيدي، لقد اتصل وكيل المنزل. هلَّا دخلت من هذا الاتجاه يا سيدي؟".

كانت المصاريع التي لاحظتها في زيارتنا الأولى لدراسة المكان، مفتوحة على وسعها استعدادًا لزيارتنا. ولاحظت أن كل شيء أصبح نظيفًا تمامًا ومعتنى به. من الواضح أن مضيفتنا كانت سيدة مهتمة بأدق التفاصيل.

"هذه غرفة المعيشة الصباحية يا سيدي".

ألقيت نظرة استحسان على الغرفة. كانت غرفة جميلة لها نوافذ طويلة تطل على الشارع. كانت مفروشة بأثاث جيد وقوي، طرازه قديم، أغلبه ينتمي للعصر الفيكتوري، باستثناء خزانة للكتب من تصميم شيبندل، ومجموعة جذابة من الكراسي من تصميم هيبلوايت.

انصرفت أنا وبوارو بالطريقة المعتادة التي يتبعها الأشخاص وهم يتفرجون على المنازل. وقفنا في أماكننا بدون حراك، ننظر بعين الحيرة، ونقول بين الحين والآخر "جميل"، "غرفة لطيفة". غرفة المعيشة الصباحية، أليس كذلك؟".

قادتنا الخادمة عبر الردهة ومنها إلى الغرفة المقابلة في الجانب المقابل. كانت غرفة أكبر بكثير.

"غرفة الطعام يا سيدي".

كانت هذه الغرفة ذات طابع فيكتوري؛ حيث ضمت طاولة ثقيلة من خشب الماهوجني، وطاولة سفرة ضخمة من الماهوجني الضارب للون الأرجواني، عليها مجموعة هائلة من الفاكهة المنحوتة، وحولها كراسي مغطاة بالجلد. وعلى الحائط كانت هناك صور معلقة واضح أنها صور للعائلة.

واصل الكلب التريـر نباحه في مكان منفصل. والآن اشتد الصوت فجأة. ومع ازدياد نباحه سمعنا صوت ركضه وهو يسرع بالمجيء عبر الردهة.

كان من الواضح أنه يقول: "من الذي أتى إلى المنزل؟ سوف أقطع أوصاله".

وصل إلى المدخل وهو يتنفس بقوة وسرعة.

قالت له مضيفتنا: "أوه يا بوب، أنت كلب سيئ. لا تكترث له يا سيدي. لن يؤذيك".

وبالفعل بعدما تعرف بوب على الزوار، غير طريقته تمامًا؛ حيث دخل الغرفة وقدم نفسه إلينا بطريقة تنم عن الاستحسان.

نبح وهو يتشمم أرجلنا وكأنه يقول: "مسرور برؤيتكما، معذرة على الضوضاء، ولكنَّ لدي عملًا أقوم به. يجب أن أنتبه لكل من يدخل المكان كما تعرفان. ولكنها حياة مملة؛ لهذا أنا مسرور حقًا برؤيتكما. أظنني أروقكما؟" كان هذا السؤال الأخير موجهًا لي عندما انحنيت وربت ظهره.

قلت للسيدة: "كلب صغير لطيف. أظنه بحاجة لقص شعره قليلاً".

"نعم يا سيدي؛ فعادة ما نقصُّ شعره ثلاث مرات في العام"؟.

"هل هو كلب عجوز؟".

"أوه، لا يا سيدي، إنه لم يتجاوز السادسة. وأحيانًا يتصرف وكأنه جرو صغير، فيمسك بخف الطاهية ويجوب المنزل يتبختر به. إنه كلب لطيف للغاية رغم أنك قد لا تصدقني في ذلك. الشخص الوحيد الذي يخرج لاستقباله هو رجل البريد؛ فهو رجل مقدس بالنسبة له".

كان بوب يتشمم قدمي بنطال بوارو، وبعدما عرف كل ما يمكنه معرفته، أخذ نفسًا عميقًا (مممممممم، ليس سيئًا للغاية، ولكنه ليس شخصًا محبًا للكلاب") ثم عاد لي وهو يميل رأسه على أحد جانبيه وهو يتطلع في ترقب.

واصلت مضيفتنا كلامها قائلة: "لا أعرف لماذا تذهب الكلاب دومًا إلى رجال البريد".

فأجابها بوارو: "المسألة مسألة منطق؛ فالكلب كائن ذكي، ويصنع توقعاته وفقًا لوجهة نظره الخاصة. وهناك أشخاص قد يدخلون المنزل، وآخرون لا يدخلون المنزل ـ وهو الأمر الذي يتعلمه الكلب بسرعة. حسنًا، من الشخص الذي يحاول دومًا كسب القبول، ويدق الباب مرة أو مرتين كل يوم، ومع ذلك لا يسمح له أبدًا بهذه الفرصة؟ رجل البريد. واضح إذن أنه ضيف غير مرغوب فيه من وجهة نظر صاحب المنزل. ودائمًا ما يخرج لمتابعة عمله، ولكنه يعود دومًا ويحاول مرة أخرى. إذن مهمة الكلب واضحة، وهي المساعدة في التخلص من الشخص غير المرغوب فيه، بل وعضه إن لزم الأمر. أمر منطقي للغاية".

ثم ألقى نظرة على بوب والابتسامة تعلو شفتيه.

"وأظنه كلب غاية في الذكاء".

"أوه، إنه كذلك يا سيدي، إنه مثلنا تقريبًا، بالفعل بوب كذلك".

ثم فتحت باب غرفة أخرى.

"غرفة المعيشة يا سيدي".

كانت غرفة المعيشة تثير ذكريات الماضي. انبعثت منها رائحة خفيفة لمزيج من أوراق الورد المجففة. فرش مهترئ، وزخرفة الأزهار المرسومة عليها باهتة. كانت هناك مطبوعات على الحائط ولوحات مرسومة بالألوان المائية. وضمت الغرفة أيضًا قدرًا كبيرًا من الخزف الصيني، لرعاة وراعيات غنم. كانت هناك أرائك مصنوعة من الصوف، وصور باهتة موضوعة في أطر فضية راقية، وكثير من الصناديق وعبوات الشاي. ولكن أكثر ما أبهرني كان مجموعة من الصور المصنوعة من أوراق الزخارف الملونة موضوعة أسفل حاملة أكواب. إحداهما بمجلة دوارة، والأخرى لقطة جاثمة على ركبتيها.

أحاطتني أجواء زمن ماضٍ، زمن يتسم بكثرة وقت الفراغ، زمن الكياسة والذوقيات، زمن "علية القوم من الرجال والنساء". كانت بحق غرفة استقبال الضيوف. هنا كانت السيدات يجلسن ويقمن بأعمال التطريز، وإذا ما حدث ودخل أحد الحاضرين المفضلين من الذكور سيجارًا، يتم تنفيض الستائر وتهوية الغرفة جيدًا بعد تلك الواقعة!

ركزت انتباهي على بوب. كان جالسًا بجوار طاولة صغيرة أنيقة ذات درجين في توجه يعكس الانتباه الشديد.

وبمجرد أن لاحظ أنني أنظر إليه، نبح بصوت قصير وحزين، وأخذ ينظر إليَّ من جانب الطاولة.

سألت: "ما الذي يريده؟".

بدا واضحًا أن اهتمامنا ببوب كان يرضي مضيفتنا، التي كان من الواضح أنها معرمة به كثيرًا.

"إنها كرته يا سيدي. دائمًا ما توضع في هذا الدرج. لهذا السبب يجلس هناك ويسأل".

تغير صوتها عندما تحدثت مع بوب بصوت عال ومصطنع.

"لم تعد هناك يا حبيبي. كرة بوب في المطبخ. في المطبخ يا بوبي".

تحول بوب بنظره بسرعة إلى بوارو.

بدا كأنه يقول: "هذه السيدة حمقاء، أما أنت فتبدو ذكيًا. الكرات توضع في أماكن محددة، وهذا الدرج أحد هذه الأماكن. لطالما كنا نضع الكرة هنا. قطعًا الكرة في هذا الدرج. هذا التفكير منطقي، أليس كذلك؟".

قلت له: "إنها لم تعد هناك يا صديقي".

نظر إليَّ في ريبة. وعندما خرجنا من الغرفة تبعنا بطريقة غير المقتنع.

ألقينا نظرة على دواليب مختلفة، وحجرة الإيداع في الطابق السفلي، وغرفة صغيرة للمؤن؛ "هنا اعتادت السيدة أن تهذب الورود يا سيدي".

سألها بوارو: "بقيت مع سيدتك لفترة طويلة؟".

"اثنان وعشرون عامًا يا سيدي".

"وأنت تعتنين بالمنزل بمفردك؟".

"أنا والطاهية يا سيدي".

"هل أمضت هي الأخرى فترة طويلة مع الآنسة أروندیل؟".

"أربع سنوات يا سيدي ـــ بعدما توفيت الطاهية القديمة".

"على فرض أنني سأشتري المنزل، هل أنت مستعدة للبقاء فيه؟".

احمر وجهها قليلاً.

"هذا لطف كبير منك يا سيدي، ولكنني سوف أتقاعد من الخدمة. لقد تركت لي سيدتي مبلغًا جيدًا من المال، وسوف أذهب إلى أخي. سوف أظل هنا كرفيقة للآنسة لوسون حتى يباع المكان ـ لأعتني بكل شيء".

أومأ بوارو برأسه.

في ذلك الصمت اللحظي سمع صوتًا ما.

"بوم، بوم، بوم".

تزايد صوت واضح وبدا كأنه قادم من أعلى.

قالت مبتسمة: "إنه بوب يا سيدي. لقد حصل على كرته وهو يقذفها الآن على السلالم. إنها لعبته المفضلة".

بمجرد أن وصلنا إلى بداية السلم، وصلتنا كرة مطاطية سوداء أصبح صوتها مكتومًا عندما استقرت في مكانها الأخير. أمسكت بالكرة ونظرت لأعلى. كان بوب واقفًا أعلى درجات السلم، مباعدًا مخالبه، وهو يهز ذيله. فقذفت الكرة إليه، وأمسكها على نحو جيد، ومضغها للحظة أو اثنتين بسعادة واضحة. ثم وضعها بين مخالبه ودفعها للأمام بأنفه حتى سقطت على درجات السلم درجة درجة، وهو يهز ذيله بحماسة وهو يتابع تقدمها.

"سوف يظل على هذا النحو لساعات يا سيدي؛ فهي لعبته المعتادة، التي لا يملها أبدًا ولو ظل كذلك طوال اليوم. يكفي هذا الآن يا بوب. السادة لديهم أمور أخرى أهم من اللعب معك".

شجعنا الكلب على الدخول في حديث ذي طابع ودي. فساعدنا اهتمامنا ببوب وحبنا إياه على كسر جمود الخادمة الطيبة الذي كان طبيعيًا. وعندما صعدنا الطابق العلوي متجهين إلى غرف النوم، كانت مضيفتنا تتحدث معنا بطلاقة وهي تعطينا تقريرًا مفصلاً عن فطنة بوب الرائعة. وظلت الكرة متروكة أسفل السلم. وعندما مررنا عليه، رمقنا بوب بنظرة تنم عن ازدراء شديد وسار متبخترًا بطريقة مهيبة لكي يستعيدها. وعندما نظرنا ناحية اليمين، رأيته يأتي من جديد ممسكًا إياها بفمه، يسير وكأنه رجل عجوز للغاية أجبره شخص لا يفكر على أن يقوم بمهمة ليست من واجبه.

بعدما أخذنا جولتنا في غرف النوم، بدأ بوارو في استدراج مضيفته للحديث.

سألها: "كانت آنسات عائلة أروندیل الأربع يعشن هنا، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح يا سيدي، ولكن ذلك كان قبل مجيئي إلى هنا. عندما أتيت لم أجد سوى الآنسة آجنس والآنسة إميلي فقط، وتوفيت الآنسة آجنس بعد ذلك بفترة قصيرة. كانت أصغر أفراد العائلة. بدا غريبًا أن تقضي نحبها قبل أختها".

"أظنها لم تكن قوية مثل أختها؟".

"لا يا سيدي. العكس هو الصحيح. الغريب أن الآنسة إميلي هي التي كانت ضعيفة الصحة. طوال حياتها وهي تذهب كثيرًا إلى الأطباء. أما الآنسة آجنس فكانت قوية ونشيطة دومًا، ولكنها توفيت قبل أختها. وعاشت الآنسة إميلي

التي كانت ضعيفة منذ طفولتها حياة أطول من كل أفراد أسرتها. غريبة للغاية الطريقة التي تسير عليها الأمور".

"الغريب أن هذا الأمر يحدث كثيرًا".

اختلق بوارو (أنا واثق من ذلك) حكاية طويلة عن عم مزيف لن أشغل نفسي بتكرارها هنا. يكفي أن أقول إنها تركت أثرها هنا؛ فحوارات الموت ومثل هذه الأمور كفيلة بأن تحرر لسان المرء أكثر من أي موضوع آخر. فبدأ بوارو في طرح أسئلة كان سينظر إليها بعين الشك قبل عشرين دقيقة فقط.

"هل استمر مرض الآنسة أروندیل لفترة طويلة؟".

"لا، لا أستطيع أن أقول ذلك يا سيدي. ظلت معتلة إذا كنت تفهم قصدي، لفترة طويلة، قبل شتاءين. وأصبحت في حالة سيئة للغاية؛ حيث أصيبت بالصفراء؛ فاصفر وجهها، كذلك عيناها".

"أها، نعم، صحيح ـــ" ذكره ذلك بابن عم بوارو الذي كان تجسيدًا لمرض الصفراء).

"هذا صحيح ـ كما تقول يا سيدي. كانت مريضة للغاية، عزيزتي المسكينة، لم تستطع الحفاظ على صحتها. إن سألتني سأقول لك إن دكتور جرينجر لم يظن أنها ستصمد طويلاً. ولكنه كان يتبع معها طريقة رائعة؛ فقد كان يستأسد عليها، ويقول لها دومًا: "لك مطلق الحرية بأن تستلقي وتطلبي ضريحك الخاص؟". فكانت تجيبه قائلة: "ما زلت أتمتع بشيء من المقاومة يا دكتور"؛ فكان يجيبها: "جميل، هذا هو ما أحب أن أسمعه منك". استعنا بممرضة من المستشفى، وكانت تظن أن الأمر انتهى بالنسبة للآنسة أروندیل؛ بل إنها قالت للطبيب ذات مرة إنها ترى أنها تفضل ألا تضغط على سيدتها العجوز وتجبرها على تناول الطعام، ولكن الطبيب هاجمها قائلاً: "هراء. اضغطي عليها؟ يجب أن تستأسدي عليها لتأخذ جرعة المكملات الخاصة بها". أعطيها مرق اللحم في الساعة كذا وكذا، وملعقة صغيرة من عقار كذا. ولا أنسى أبدًا أنه كان يختتم كلامه أغلب الأحيان بقوله: "أنت صغيرة يا فتاتي. أنت لا تعرفين كم يكون عنصر الصمود قويًا في السن المتقدمة. الشباب هم من يسقطون ويلقون نحبهم لأنهم غير مهتمين بالدرجة الكافية التي تمكنهم من الصمود ومواصلة الحياة. أرني أي

شخص تجاوز السبعين من عمره، وسوف تجدين أنه مقاتل: شخص لديه الإرادة لمواصلة الحياة. وهذا صحيح يا سيدي؛ فدائمًا ما نتعجب من روعة كبار السن حيويتهم والطريقة التي يحافظون بها على قدراتهم ـ ولكن كما كان الطبيب يقول إن هذا هو السبب الذي يجعلهم يعيشون لفترة طويلة ويصلون إلى هذه السن".

"ما تقولينه صحيح جدًا، صحيح للغاية! وهل كانت الآنسة أروندیل من أولئك الناس ـ تنبض بالحياة، شغوفة بالحياة؟".

"أوه، نعم يا سيدي. كانت صحتها ضعيفة، ولكن عقلها كان نشيطًا للغاية. وكما كنت أقول، تغلبت على مرضها، وفاجأت الممرضة. وقفت من جديد تتباهى بشبابها، مرتدية ثيابها ذات الياقات والأكمام المنتصبة، وعادت تصدر أوامرها بإعداد الشاي طوال الوقت".

"تعافت بشكل جيد".

"هذا صحيح يا سيدي. طبعًا كان على الآنسة أن تتبع نظامًا غذائيًا دقيقًا في البداية، فلم تكن تتناول سوى الأطعمة المسلوقة والمطهوة على البخار، دون زبوت أو دهون، ولم يكن مسموحًا لها بأن تتناول البيض أيضًا. كان أمرًا مملاً للغاية بالنسبة لها".

"ولكن تبقى النقطة المهمة أنها استعادت عافيتها".

"نعم يا سيدي. طبعًا كانت تمر ببعض الوعكات، التي كنت أسميها نوبات الصفراء. لم تكن دومًا حريصة على طعامها، ولكنها أيضًا لم تكن خطيرة للغاية حتى النوبة الأخيرة التي انتابتها".

"هل كانت مثل المرض الذي أصابها قبل عامين؟".

"نعم، النوع نفسه يا سيدي. تلك الصفراء اللعينة، ذلك اللون الأصفر البغيض، والمرض الشديد الذي أصابها وتبعاته. أخشى أن تكون هي من جلبته على نفسها، عزيزتي المسكينة؛ فقد تناولت الكثير من الأطعمة التي ليس عليها تناولها. ذات مساء، تناولت الكاري على العشاء، وكما تعرف يا سيدي فإن الكاري غني ودسم بعض الشيء".

"جاء مرضها بشكل مفاجئ إذن؟".

"حسنًا، بدا الأمر كذلك، ولكن دكتور جرينجر قال إن المرض كان يتطور منذ فترة. فضلاً عن برودة الجو ـــ فقد كان الجو متقلبًا للغاية ـــ هذا إلى جانب إسرافها في تناول الأطعمة الدسمة".

"طبعًا كان بإمكان جليستها ـــ الآنسة لوسون؛ أليس كذلك؟ ـ أن تثنيها عن تناول الأطباق الدسمة؟".

"أوه، لا أظن أن الآنسة لوسون كان تملك من الأمر شيئًا؛ فالآنسة أروندل لم تكن تتقبل أوامر من أي شخص".

"هل كانت الآنسة لوسون معها في مرضها الأخير؟".

"لا، لقد جاءت بعده. ظلت معها طوال عام تقريبًا".

"أظن أنه كان لديها أصدقاء قبل ذلك؟".

"أوه، إلى حد ما يا سيدي".

قال بوارو مبتسمًا: "لم يبق رفاقها معها بقدر ما بقي خدمها".

احمر وجه المرأة.

"حسنًا يا سيدي. الأمر مختلف. لم تكن الآنسة أروندل تخرج كثيرًا، وبسبب كثرة انشغالها ـ". توقفت عن الكلام.

نظر إليها بوارو للحظة ثم قال:

"أتفهم عقلية السيدات المسنات. إنهن يَتُقْنَ للتجديد، أليس كذلك، لعلهن يعتدن الشخص بكل ما فيه".

"حسنًا، هذا ذكاء كبير منك يا سيدي. لقد أصبت. عندما كانت سيدة جديدة تأتي، كانت الآنسة أروندل مهتمة دومًا بأن تحدثها عن حياتها وطفولتها وأين كانت، ورأيها في مختلف الأمور. وبعد ذلك عندما تعرف كل شيء عنها، أظنها، حسنًا، أظن أن كلمة تمل هي الكلمة الأنسب لوصف الوضع".

"بالضبط، وبيني وبينك، هؤلاء السيدات اللاتي كن يصاحبنها، لم يكن في العادة مثيرات، أو ممتعات للغاية، أليس كذلك؟".

"لا، بالفعل يا سيدي. أغلبهن كن مخلوقات يحببن الحياة. كن حمقاوات أغلب الوقت. وكانت الآنسة أروندل تفهمهن بسرعة، ثم كانت تجري تغييرًا واستعين بشخص آخر".

"قطعًا كانت مرتبطة بالآنسة لوسون بشكل استثنائي".

"أوه، لا أعتقد ذلك يا سيدي".

"ألم تكن الآنسة لوسون لافتة للنظر بأي طريقة؟".

"لا أستطيع أن أقول ذلك يا سيدي؛ فقد كانت عادية في كل شيء".

"لقد أحببتها، أليس كذلك؟".

هزت السيدة كتفيها قليلاً.

"الأمر لا علاقة له بالحب أو عدم الحب. كانت تهتم بأدق التفاصيل، خادمة عجوز عادية، مهتمة بذلك الهراء عن الأرواح".

بدا بوارو منتبهًا: "*أرواح؟*".

"نعم، الأرواح يا سيدي. كانت تجلس على طاولة مستديرة في غرفة مظلمة وبأيها أشخاص ميتون ويتحدثون إليها. أجد هذا الأمر أبعد ما يكون عن الدين، فكما نعرف يجب أن ترقد الأرواح التي غابت عنا في مكانها الصحيح، وألا نتركه".

"والآنسة لوسون كانت تؤمن بالأرواح! هل كانت الآنسة أروندل تؤمن بها أيضًا؟".

أجابته الأخرى بسرعة وقالت: "كانت الآنسة لوسون تريدها أن تكون كذلك"، كانت هناك نبرة سخرية في صوتها.

قال بوارو مستوضحًا: "ولكنها لم تكن كذلك؟".

"كانت السيدة عاقلة للغاية. ولكنني لم أقل إنها لم تكن *تسليها*؛ فقد كانت تقول لها إنها مستعدة لأن تقتنع بما تقوله. ولكنها كثيرًا ما كانت تنظر إلى الآنسة لوسون وكأنها تقول لها: "عزيزتي المسكينة، كم أنت مسكينة لتصدقي ذلك لهذه الدرجة!".

"فهمت، لم تكن تؤمن بذلك، ولكن هذه الحكايات كانت مصدر متعة بالنسبة لها".

"هذا صحيح يا سيدي. كنت أتساءل أحيانًا عما إذا كانت تستمتع بهذه الحكايات، أعني تحرك الطاولة، وغيرها من الأمور الخارقة للعادة. وكان البقية يتعاملون بجدية شديدة مع هذه الأمور".

"البقية؟".

"الآنسة لوسون، والآنستان تريب".

"هل كانت الآنسة لوسون من المؤمنين بمخاطبة الأرواح؟".

"كانت تؤمن بها إيمانًا راسخًا يا سيدي".

"وكانت الآنسة أروندیل مرتبطة كثيرًا بالآنسة لوسون بالطبع".

كانت المرة الثانية التي يطرح فيها بوارو هذا السؤال تحديدًا، ويتلقى الإجابة نفسها.

"حسنًا، من الصعب أن أقول ذلك يا سيدي".

قال بوارو: "ولكن طبعًا بما أنها تركت لها كل شيء. فإنها قطعًا كانت تحبها، أليس كذلك؟".

وهنا طرأ تغيير فوري؛ حيث اختفت الإنسانة، وعادت الخادمة لرشدها، فتوقفت عن الحديث وقالت بصوت لا لون له لا يخلو من استنكار:

"لا يجوز لي أن أتحدث عن المال الذي تركته السيدة لخادمتها؛ فهذا ليس من شأني يا سيدي".

شعرتُ بأن بوارو أفسد عمله؛ فبعدما كسب المرأة بطريقة ودية، كان في طريقه الآن لخسارة الميزة التي اكتسبها. ولكنه كان ذكيًا بالدرجة التي تمنعه عمل أي محاولة فورية لاستعادة الميزة التي خسرها. وبعد ملاحظة عادية عن حجم وعدد غرف النوم، اتجه ناحية أعلى السلالم.

كان بوب قد اختفى، ولكن بمجرد أن ذهبت أعلى السلالم، تعثرت وكدت أسقط، ولكنني تشبثت بالدرابزين كي أقف مرة أخرى، وعندما نظرت حولي أدركت أنني وضعت قدمي على كرة بوب التي ظلت متروكة أعلى السلالم.

اعتذرت السيدة بسرعة.

"أنا آسفة يا سيدي. إنه خطأ بوب؛ فهو يترك كرته هناك. وليس بإمكانك أن تراها من تحت السجادة القاتمة. سوف تودي بحياة شخص ما في مرة من المرات. لقد سقطت سيدتي المسكينة بسببها ذات مرة. لعله السبب الذي أودى بحياتها".

وقف بوارو فجأة على السلالم.

"قلت إنها مرت بحادثة؟".

"نعم يا سيدي، ترك بوب كرته هناك، مثلما يفعل كثيرًا، وخرجت السيدة من غرفتها وسقطت على السلالم مباشرة. كان من الممكن أن يودي ذلك بحياتها".

"هل تأذت كثيرًا".

"ليس كما تعتقد. كانت محظوظة للغاية كما قال دكتور جرينجر؛ فقد جُرح رأسها قليلاً، والتوى ظهرها، وطبعًا عانت بعض الكدمات. ناهيك عن الصدمة المروعة. ظلت في سريرها ما يقرب من أسبوع، ولكن وضعها لم يكن خطيرًا".

"هل كان ذلك منذ فترة طويلة".

"قبل أسبوع أو اثنين من وفاتها".

انحنى بوارو ليستعيد شيئًا كان قد أسقطه.

"عذرًا _ قلمي الحبر سقط مني، ها هو".

ثم وقف مرة أخرى.

قال: "إنه طائش، أعني الكلب".

قالت السيدة بصوت متساهل: "آها، حسنًا، ليس بإمكانه عمل شيء يا سيدي. ومن الممكن أن يرتكب أي إنسان مثل هذه الغلطة. لم تكن السيدة تنام جيدًا بالليل، وكانت كثيرًا ما تستيقظ وتتجول في المنزل دون أن يرافقها أحد".

"كانت تفعل ذلك كثيرًا؟".

"أغلب الليالي. ولكن لم تكن الآنسة لوسون أو أي شخص يصاحبها".

التفت بوارو ناحية غرفة المعيشة مرة أخرى.

قال: "هذه الغرفة جميلة، أتساءل عما إذا كانت هناك مساحة في هذه الغرفة لخزانة كتبي؟ ما رأيك يا هاستنجز؟".

بتفكير مشوش قلت بحذر إنه من الصعب البت في هذا الأمر.

"نعم المقاسات خداعة. من فضلك خذ مسطرتي الصغيرة وقس عرضها وسوف أدونه".

أخذت المسطرة المثنية التي أعطاني إياها بوارو وأخذت مقاييس مختلفة تحت إشراف بوارو وأخذ هو يدونها على ظهر مظروف.

تساءلت عن السبب الذي دفعه لاتباع هذه الطريقة غير المرتبة والغريبة بدلاً من أن يكتب في مفكرة جيبه عندما أعطاني المظروف وهو يقول:

"هذا صحيح، أليس كذلك؟ لعل من الأفضل أن تتأكد بنفسك".

لم تكن هناك أرقام على المظروف. بل كتب عليه:

"عندما نصعد لأعلى مرة أخرى، تظاهر بأنك تذكرت موعدًا وسل عما إذا كان بإمكانك إجراء اتصال هاتفي. دع السيدة تنزل معك، وأخّرها قدر استطاعتك".

قلت له وأنا أمسك المظروف: "هذا جيد، أظن أن الخزانتين ستكونان مناسبتين تمامًا في المكان".

"ولكن من الأفضل أن نتأكد من ذلك. أظن أنه ليست هناك مشكلة في ذلك، أريد أن ألقي نظرة أخرى على غرفة النوم الرئيسية. أنا لست متأكدًا من مساحة الحائط هناك".

"بالطبع يا سيدي، ليست هناك أي مشكلة".

صعدنا الطابق العلوي مرة أخرى. قاس بوارو عرض الحائط، وكان يتحدث عن الأوضاع الممكنة للسرير، والدولاب المناسب وطاولة الكتابة، عندما نظرت إلى ساعتي وأبديت دهشة مبالغة وقلت:

"يا إلهي! هل تعرف أن الساعة الآن الثالثة؟ ما الذي سيظنه أندرسون؟ يجب أن أتصل به"، ثم التفتُّ إلى السيدة وقلت لها: "أتساءل هل بإمكاني أن أستخدم هاتفك إذا كان لديك هاتف".

"لماذا، طبعًا يا سيدي. إنه في الغرفة الصغيرة الموجودة في الردهة. سوف أدلك إلى الطريق".

نزلت معي وأرتني مكان الهاتف، ثم دفعتها لمساعدتي في البحث عن رقم هاتف في الدليل. في النهاية اتصلت بالسيد أندرسون في حي هارشستر. لحسن الحظ أنه كان في الخارج وتمكنت من ترك رسالة قلت له فيها إن الأمر غير مهم، وأنني سوف أتصل به في وقت لاحق!

عندما خرجت من الغرفة، وجدت بوارو نزل الطابق السفلي واقفًا في الردهة. كانت عيناه تلمعان بعض الشيء، ولكنني لم أفهم سبب حماسته، ولكنني أدركت أنه متحمس.

قال بوارو:

"بالطبع سَبَّبَ سقوط سيدتك من أعلى درجات السلم صدمة كبيرة لها. هل بدت منزعجة من بوب وكرته بعد ذلك؟".

"من الغريب أن تقول ذلك يا سيدي. لقد أقلقها هذا الأمر كثيرًا. كانت متحمسة للغاية حتى وهي تحتضر، وكثيرًا ما كانت تهذي وتتحدث عن بوب وكرته، وتذكر شيئًا متعلقًا بصورة موارية".

قال بوارو مفكرًا: "صورة موارية".

"بالطبع هذا غير منطقي يا سيدي، ولكنها كانت تهذي".

"لحظة، يجب أن أذهب إلى غرفة المعيشة مرة أخرى".

أخذ بوارو جولة في الغرفة يتفحص الديكورات والزخارف. وركز على وجه الخصوص على زهرية كبيرة عليها غطاء جذبت انتباهه كثيرًا. لا أظنها كانت مصنوعة من الخزف الجيد. قطعة تنتمي للعصر الفيكتوري؛ عليها صورة بسيطة لكلب بلدج يجلس خارج باب أمامي وعلى وجهه تعبير حزين، كتب تحتها: *في الخارج طوال الليل بدون مفتاح.*

بدا بوارو ـ الذي لطالما كنت أعرف أنه يتمتع بذوق برجوازي سيئ للغاية ـ معجبًا بها كثيرًا.

تمتم قائلاً: "*في الخارج طوال الليل بدون مفتاح*، هذه القطعة رائعة! هل هذا ينطبق على السيد بوب؟ هل يبقى أحيانًا في الخارج طوال الليل؟".

"في بعض الأحيان يا سيدي. في بعض الأحيان. إنه كلب رائع يا سيدي، كلب رائع حقًا".

"أنا واثق أنه كذلك، ولكن حتى أفضل الكلاب ــ".

"أوه، هذا صحيح تمامًا يا سيدي، مرة أو مرتين خرج ولم يعد إلى المنزل حتى الساعة الرابعة صباحًا، ثم جلس أمام المنزل ينبح حتى سُمح له بالدخول".

"ومن الذي كان يفتح له الباب ــ الآنسة لوسون؟".

"حسنًا، أي شخص يسمعه يا سيدي. كانت الآنسة لوسون هي من فعلت ذلك آخر مرة. كان ذلك ليلة الحادث الذي تعرضت له السيدة. وجاء بوب إلى المنزل في الساعة الخامسة. فأسرعت الآنسة لوسون لتفتح له الباب قبل أن يحدث ضجة. كانت تخشى أن يوقظ السيدة ولم تخبرها بأن بوب لم يكن في المنزل حتى لا تقلقها".

"فهمت. ظننت أنه من الأفضل ألا تخبر الآنسة أروندیل بالأمر؟".

"هذا ما قالته يا سيدي. قالت بالحرف: "بالطبع سيعود؛ فدائمًا ما يفعل ذلك، ولكنها قد تقلق عليه، ولا يجب أن يحدث ذلك"، لذلك لم نقل أي شيء".

"هل كان بوب مغرمًا بالآنسة لوسون؟".

"حسنًا، كان يزدريها بعض الشيء إذا كنت تفهم ما أعنيه يا سيدي؛ فالكلاب قد تفعل ذلك. كانت طيبة معه، وتصفه بأنه كلب طيب ولطيف، ولكنه كان يزدري طيبتها ولم يكن يلقي بالاً على الإطلاق لما كانت تخبره بعمله".

أومأ بوارو برأسه وقال: "فهمت".

وفجأة فعل شيئًا أدهشني كثيرًا.

أخرج خطابًا من جيبه، الخطاب الذي تلقاه هذا الصباح.

قال لها: "إلين، هل تعرفين أي شيء عن هذا الخطاب؟"

طرأ تغيير ملحوظ على وجه إلين.

فتحت فاها وحدقت في بوارو وعلى وجهها تعبير بدا مضحكًا للغاية يعكس الحيرة والارتباك.

صرخت قائلة: "حسنًا، لا أعرف شيئًا عنه!".

لعل ملاحظتها كانت تفتقد الترابط، ولكنها لم تترك مجالاً للشك فيما أعنيه إلين.

بعدما استجمعت فطنتها قالت ببطء:

"هل أنت الرجل الذي وُجه الخطاب له إذن؟".

"نعم، أنا هيركيول بوارو".

كأغلب الناس، لم تنظر إلين إلى الاسم الذي كان مكتوبًا على الطلب الذي قدمه إليها عند قدومه إلى المنزل. أومأت برأسها ببطء.

قالت: "هذا صحيح هيركيولس بواروت". أضافت س على الاسم الأول ونطقت حرف التاء الوارد في الاسم الأخير.

قامت متعجبة: "يا إلهي! سوف تفاجأ الطاهية".

قال بوارو بسرعة:

"لعله من الأفضل أن نذهب إلى المطبخ، وهناك بصحبة صديقتك بإمكاننا أن نناقش الأمر؟".

"حسنًا، إن لم تكن تمانع يا سيدي".

بدت إلين حائرة بعض الشيء. بدا واضحًا أن هذا المأزق الاجتماعي كان جديدًا عليها. ولكن طريقة بوارو المباشرة طمأنتها واتجهنا على الفور إلى المطبخ؛ حيث شرحت إلين الموقف برمته إلى سيدة جميلة المحيا كانت ترفع الغلاية من على موقد الغاز.

"لن تصدقي ذلك يا آني. في الحقيقة هذا الرجل هو الذي أُرسل إليه الخطاب ــ أعني الخطاب الذي وجدته في نشافة الورق".

قال بوارو: "تعرفان أنني يجب أن أظل محجوبًا عن الصورة". لعلك تخبرينني كيف وصلني الخطاب في ذلك التاريخ المتأخر؟".

"حسنًا يا سيدي، في الحقيقة، لم أعرف ماذا عليَّ أن أفعل. لم يعرف كلانا ماذا نفعل، أليس كذلك؟".

أكدت الطاهية كلامها: "فعلاً، لم نعرف".

"أرأيت يا سيدي. عندما بدأت الآنسة لوسون في تنظيف المنزل بعد وفاة السيدة، تم اكتشاف الكثير من الأشياء أو التخلص منها. وكان من بينها نشافة الورق الصغيرة تلك، أظنهم يسمونها نشافة الورق. كانت جميلة للغاية، عليها زنبقة جميلة، كانت السيدة تستخدمها دومًا عندما تكتب وهي على السرير. حسنًا، لم ترد الآنسة لوسون أن تعطيها لي مع غيرها من الأشياء الصغيرة وقالت إنها ملك للسيدة. فوضعتها في أحد الأدراج، ولم أخرجها منها سوى البارحة. كنت سأضع بعض أوراق التنشيف الجديدة فيها حتى تكون جاهزة لاستخدامها. كان هناك جيب داخلها فأدخلت يدي فيه لأجد خطابًا بخط يد السيدة مطويًا فيها.

حسنًا، كما قلت لم أعرف التصرف الصحيح الذي عليَّ عمله. كان مكتوبًا بخط السيدة، ورأيت أنها كتبته ووضعته هناك تنتظر أن ترسله في اليوم التالي، ولكنها نسيت أن تفعل. الأمر الذي كانت معتادة أن تفعله كثيرًا، عزيزتي المسكينة. لقد نسيت ذات مرة إرسال أمر دفع أرباح الأسهم إلى البنك، ولم يعرف أي منا مكانه، حتى وجدناه أخيرًا في صندوق الرسائل الموجود على المكتب".

"هل كانت غير مرتبة؟".

"أوه، لا يا سيدي، العكس هو الصحيح. كانت تضع أشياءها دومًا في مكانها وتنظفها باستمرار. كان ذلك يمثل نصف المشكلة؛ فلو كانت تترك أشياءها حيث تستخدمها، لكان ذلك أفضل. ولكن ترتيبها لها ونسيانها كان أمرًا دائم الحدوث منها".

سألها بوارو وعلى وجهه ابتسامة: "أشياء مثل كرة بوب على سبيل المثال؟".

دخل الكلب التريير الذكي متبخترًا من الخارج وحيَّانا مرة أخرى بطريقة ودودة للغاية.

"بالفعل يا سيدي. بمجرد أن ينهي بوب اللعب بكرته، كانت تعيدها لمكانها. ولكن لم تكن هناك مشكلة في ذلك؛ لأنه كان هناك مكان مخصص لها ـ في الدرج الذي أريتك إياه".

"فهمت، آسف لمقاطعتك، أكملي كلامك. اكتشفت الخطاب في نشافة الورق؟".

"نعم يا سيدي، اكتشفته بهذه الطريقة، وسألت آني عما يجب أن أفعله. لم أرد أن أحرقه، وبالطبع لم يكن باستطاعتي أن أفتحه، ولم أرَ أنا ولا آني أنه يخص الآنسة لوسون بعدما ناقشنا الأمر قليلاً، فوضعت طابعًا عليه وركضت بسرعة إلى صندوق البريد وأرسلته".

التفت بوارو إليَّ وتمتم قائلاً بالفرنسية:

"*أرأيت*".

لم أستطع أن أمنع نفسي أن أقول له بعداء:

"كم من الممكن أن يكون التفسير بسيطًا لهذا الحد!".

ظننته بدا مكتئبًا بعض الشيء، وتمنيت لو لم أتسرع بقول ذلك.

التفت إلى إلين مرة أخرى:

"كما يقول صديقي: كم من الممكن أن يكون التفسير بسيطًا! عندما تلقيت خطابًا بتاريخ مضى منذ شهرين، اندهشت بعض الشيء".

"نعم، أظنك يجب أن تندهش يا سيدي. لم نفكر في ذلك".

"وأيضًا"، سعل بوارو ثم تابع كلامه: "أنا في مأزق صغير. هذا الخطاب، مهمة ائتمنتني عليها الآنسة أروندیل . مسألة شخصية للغاية". ثم تنحنح بقوة وقال: "والآن بعد وفاة الآنسة أروندیل يساورني بعض الشك عن الكيفية التي يجب أن أتصرف من خلالها. هل كانت الآنسة أروندیل ستريدني أن أقوم بهذه المهمة في هذه الظروف أم لا؟ هذا صعب، صعب للغاية".

نظرت كلتا السيدتين إليه باحترام.

"أظنني كنت سأستشير محامي الآنسة أروندیل. كان لديها محام، أليس كذلك؟".

أجابته إلين بسرعة:

"أوه، نعم يا سيدي، السيد بيرفيس بهارشستر".

The Ghost

"هل يعرف كل شئونها؟".

"أعتقد ذلك يا سيدي. كان يقوم بكل شيء من جانبها على حد ما أذكر. كما أنها أرسلت في طلبه بعد الحادثة التي حدثت لها".

"حادثة سقوطها من على السلم؟".

"نعم يا سيدي".

"متى حدث ذلك بالضبط؟".

دخلت الطاهية في الحديث مباشرة:

"كان ذلك بعد عطلة عيد الربيع الرسمية. أذكر ذلك جيدًا؛ فقد بقيت في المنزل يوم العطلة الرسمية لألبي احتياجات الضيوف الذين كانوا في المنزل وأخذت إجازتي يوم الأربعاء بدلاً من ذلك".

أخرج بوارو من جيبه تقويمًا صغيرًا.

"بالضبط، بالضبط. كان يوم عطلة عيد الربيع في الثالث عشر هذا العام. وكتب لي هذا الخطاب بعد ذلك بثلاثة أيام. من المؤسف أنه لم يُرسل. إلا أن الأوان لم يفت بعد ــ". توقف عن الكلام للحظة، ثم أردف يقول: "أتصور أن ــ مممم ــ المهمة التي كانت تريدني أن أقوم بها مرتبطة بأحد ــ مممم ــ الضيوف الذين ذكرتهم منذ قليل".

قوبل هذا القول ـ الذي كان مجرد محاولة لا أمل فيها ـ باستجابة فورية. فقد ظهرت نظرة ذكاء سريعة على وجه إلين؛ فالتفتت إلى الطاهية التي أعطتها هي الأخرى نظرة إجابة.

قالت: "إنه السيد تشارلز".

فقال بوارو: "فقط لو تخبرينني بمن كانوا بـ ــ".

"دكتور تانيوس وزوجته السيدة بيلا، والآنسة تريزا والسيد تشارلز".

"جميعهم أبناء عمومة؟".

"هذا صحيح يا سيدي. ولكن دكتور تانيوس بالطبع لم يكن من أقاربهم. في الواقع كان أجنبيًا، يونانيًا أو شيئًا من هذا القبيل على ما أظن. لقد تزوج

السيدة بيلا، ابنة أخت الآنسة أروندیل. أما السيد تشارلز والآنسة تريزا فهما أخ وأخت".

"آها، فهمت. كان حفلاً عائليًا. ومتى غادروا المنزل؟".

"أوه، صباح يوم الأربعاء يا سيدي. وجاء دكتور تانيوس والسيدة بيلا مرة أخرى في إجازة الأسبوع التالي؛ لأنهما كانا قلقين على الآنسة أروندیل".

"وماذا عن السيد تشارلز والآنسة تريزا؟".

"قدما في العطلة الأسبوعية التالية، التي سبقت وفاتها".

شعرت بأن فضول بوارو كان لا ينتهي أبدًا. لم أرَ هدفًا من استمراره في هذه الأسئلة. لقد وجد تفسيرًا للغز الذي كان يبحث عن إجابة له، وكنت أرى أنه كلما توقف مبكرًا عن هذه الأسئلة كان ذلك أفضل.

بدت الفكرة كأنها انتقلت من عقلي إلى عقله.

قال: "حسنًا. لقد أفادتني المعلومات التي زودتني بها كثيرًا. يجب أن أستشير السيد بيرفيس، أظن الاسم صحيح؟ شكرًا جزيلاً على مساعدتكما".

انحنى وربت بوب.

"كلب شجاع! لقد أحببت سيدتك كثيرًا".

استجاب بوب بتواضع لهذا الثناء، وأملاً منه في قليل من اللعب، ذهب وأحضر قطعة كبيرة من الفحم. الأمر الذي وُبخ عليه وأخذت منه قطعة الفحم. فرمقني بنظرة تبحث عن العطف.

بدا وكأنه يقول: "هاتان السيدتان، تقدمان لي الكثير من الطعام، ولكنهما لا يمتلكان بروح رياضية!".

التاسع

إعادة تمثيل حادثة الكلب

قلت وبوابة منزل ليتلجرين تنغلق من خلفنا: "وبعد يا بوارو، آمل أن تكون قد ارتحت الآن!".

"نعم يا صديقي، ارتحت".

"حمدًا لله على ذلك! تكشفت كل الألغاز. لقد تجددت أسطورة الرفيدة الشريرة والسيدة العجوز الغنية. كما أن تأخر الخطاب وحتى حادثة كرة الكلب الشهيرة اتضحت بلونها الحقيقي. كل شيء اتضح الآن على نحو مُرضٍ كما يقول الكتاب!".

سعل بوارو سعالًا جافًا ثم قال:

"لن أستخدم كلمة *مُرضٍ* يا هاستنجز".

"لقد قلت ذلك منذ لحظات".

"لا، لا، لم أقل إن الأمر مُرضٍ، بل قلت إن فضولي الشخصي أصبح *راضيًا* أعرف حقيقة حادثة كرة الكلب".

"وقد كان هذا الأمر أيضًا غاية في البساطة!".

قال بوارو وهو يومئ برأسه عدة مرات: "ليس بالبساطة التي تتخيلها يا هاستنجز"، ثم أردف يقول: "أنا أعرف شيئًا صغيرًا لا تعرفه".

سألته بشيء من التشكك: "وما هو؟".

"*أعرف أن هناك مسمارًا دق في حافة الحائط أعلى السلالم*".

حدقت فيه، فوجدت وجهه جادًا للغاية.

قلت بعد دقيقة أو اثنتين: "حسنًا، لماذا لا يجب أن يكون هناك؟".

"السؤال يا هاستنجز هو لماذا يجب أن يكون هناك مسمار".

"وكيف لي أن أعرف. لعله سبب متعلق بأصحاب المنزل. هل هذا مهم؟".

"طبعًا مهم. وأظن أنه ليس هناك سبب لدق مسمار في حافة الحائط أعلى السلالم. كما تم دهنه بعناية أيضًا، لكي لا يظهر".

"ما الذي ترمي إليه يا بوارو؟ هل تعرف السبب؟".

"أستطيع أن أتخيله بمنتهى السهولة. إذا أردت أن تشد خيطًا أو سلكًا قويًا أعلى درجات السلم تبعد قدمًا عن الأرض، بإمكانك أن تربطها على أحد جانبي الدرابزين، ولكن من الداخل ستحتاج إلى شيء كالمسمار لتربطه فيه".

صمت قائلاً: "بوارو، أفصح عما تعنيه مباشرة بالله عليك؟".

"*صديقي العزيز*، أنا أعيد تمثيل *حادثة كرة الكلب*! هل تريد أن تسمع تمثيلي إياها؟".

"تفضل".

"*حسنًا*، ها هو. لقد لاحظ شخص ما عادة بوب بترك كرته أعلى درجات السلالم، وهذا الأمر غاية في الخطورة، قد يؤدي لحادثة". توقف بوارو عن الكلام للحظة، ثم قال بنبرة مختلفة بعض الشيء: "إذا أردت أن تقتل شخصًا ما يا هاستنجز، فكيف تبدأ في ذلك؟".

"أنا ـــ في الواقع ـــ لست أدري. أخترع *دافعًا*، أو شيئًا ما على ما أظن".

"اتخاذ أي إجراء ـ أؤكد لك ـ أمر صعب وخطير. ولكنك لست قاتلاً حذرًا يمنع بدم بارد. ألم يخطر ببالك أن أسهل طريقة لإزاحة شخص ما من طريقك،

هو الاستفادة من حادثة؟ فالحوادث تحدث طوال الوقت. وأحيانًا يا هاستنجز فإنها يتم دفعها للحدوث!".

توقف للحظة ثم أردف يقول:

"أظن أن كرة الكلب التي تركت مصادفة أعلى السلالم أوحت للقاتل بفكرة ما. كانت الآنسة أروندیل معتادة الخروج من غرفتها ليلاً والتجول في المنزل وبصرها لم يكن قويًا؛ فمن المحتمل جدًا أن تتعثر فيها وتسقط مباشرة على السلالم. ولكن أي قاتل حذر لا يترك الأمور للصدفة. مجرد شد خيط أعلى درجات السلم سوف يكون أفضل بكثير. فمن شأنه أن يوقعها على أم رأسها مباشرة. وبعد ذلك عندما يأتيها أهل البيت مسرعين، يكون سبب الحادث واضحًا للجميع؛ وهو كرة بوب!".

صحت قائلاً: "كم هذا مروع!".

قال بوارو بجدية واضحة:

"نعم، هذا مروع... ولكن الفكرة لم تنجح... فلم تصب الآنسة أروندیل بأذى كبير رغم أنه كان من السهل أن تنكسر رقبتها بمنتهى السهولة ـ الأمر الذي كان محبطًا للغاية لصديقنا المجهول! ولكن الآنسة أروندیل كانت سيدة عجوزًا ذكية للغاية. أخبرها الجميع بأنها انزلقت على الكرة التي كانت موجودة فعلاً كدليل دامغ؛ ولكنها عندما استرجعت الحادثة علمت أن الحادثة كانت لسبب آخر. علمت أنها لم تنزلق على الكرة. كما أنها تذكرت شيئًا آخر؛ فقد *تذكرت أنها سمعت نبأ بوب لكي يتم السماح له بالدخول إلى المنزل في الساعة الخامسة صباح اليوم التالي*".

"أعترف بأن هذا مجرد تخمين لما حدث، ولكنني موقن أنني محق. فقد *وضعت كرة بوب بنفسها الليلة الماضية في درجها*. وبعد ذلك خرج ولم يعد إلى المنزل. في هذه الحالة *ليس بوب* هو من ترك هذه الكرة أعلى السلالم".

اعترضت على كلامه بقولي: "كل هذا مجرد تخمين يا بوارو".

اعترض قائلاً:

"ليس بالضبط يا صديقي؛ فلدينا الكلمات المهمة التي ذكرتها الآنسة أروندیل عندما كانت تهذي ـــ شيء ذكرته عن كرة بوب "وصورة مائلة". فهمت ما أعنيه، أليس كذلك؟".

"مطلقًا".

"غريب. أنا أعرف اللغة الإنجليزية جيدًا حتى أفهم أن المرء لا يتحدث عن صورة بوصفها مواربة؛ فالباب هو الذي يكون مواربًا. ولكن وصف صورة بهذه الهيئة أمر غريب".

"أو مائلة ببساطة".

"أو مائلة ببساطة كما تقول. لذلك أدركت على الفور أن إليين أخطأت فهم الكلمات التي سمعتها. إنها كانت تتحدث عن صورة ما. وعندما ألقيت نظرة أخرى على غرفة المعيشة، وجدت زهرية بارزة من الخزف الصيني. وعندما تذكرت هذا الهدايا نهضت وألقيت نظرة عليها عن كثب، فوجدت أن *عليها صورة لكلب كان في الخارج طوال الليل*. أفهمت تسلسل أفكار السيدة المحمومة؟ كان بوب مثل الكلب الموجود في الصورة على الزهرية ـ *في الخارج طوال* الليل ـ *وبهذا فإنه ليس من ترك الكرة على السلالم*".

صحت بصوت عال؛ فقد كنت أشعر بإعجاب رغمًا عني.

"يا لك من داهية يا بوارو! كيف تفكر في كل هذه الأمور!".

"أنا لا أفكر فيها، ولكنها هناك ـ واضحة ـ لأي شخص لكي يراها. حسنًا، أفهمت الوضع؟ أصبحت الآنسة أروندیل، وهي مستلقية على سريرها بعد تلك الحادثة، متشككة. وقد يكون هذا التشكك الذي شعرت به خياليًا وسخيفًا، ولكنه ظل قائمًا، كما كتبت بالحرف: "*منذ حادثة كرة الكلب، انتابني الشك وشعرت بخطر متزايد*"، ثم كتبت خطابًا لي، ومن حظها العاثر أنه لم يصلني الخطاب حتى مر شهران على وفاتها. أخبرني الآن، ألا تجد خطابها متفقًا مع هذه الحقائق؟".

اعترف قائلاً: "بلي، هو متفق تمامًا".

تابع بوارو كلامه:

"هناك نقطة أخرى مهمة يجب وضعها في الاعتبار. أليس من المفترض أن يصل قلق الآنسة لوسون البالغ من حقيقة وجود بوب خارج المنزل طوال الليل لمسمع الآنسة أروندیل".

"أظنها كانت ___".

"أظن أن هذه الحقيقة يجب التفكير فيها بروية".

قلبت الأمر في رأسي للحظة أو اثنتين.

قلت له أخيرًا وأنا أتنهد: "حسنًا، الأمر كله مثير للاهتمام، تدريب ذهني جيد. اسمح لي أن أرفع القبعة تحية لك. كان تمثيلاً متقنًا للحادث. من المؤسف حقًا أن السيدة العجوز توفيت".

"مؤسف حقًا. لقد كتبت تقول لي إن شخصًا ما حاول قتلها (فهذا ما كانت ترمي إليه في النهاية) وبعد وقت قصير للغاية، توفيت".

قلت له: "نعم، الشيء الذي سبب خيبة أمل كبيرة لك أنها توفيت بشكل طبيعي، أليس كذلك؟ هيا، اعترف بذلك".

هز بوارو كتفيه.

قلت له بنبرة لا تخلو من شر: "أو لعلك تظن أنها قتلت بالسم".

هز بوارو رأسه بشكل ينم عن إحباطه.

اعترف قائلاً: "قطعًا يبدو كأن الآنسة أروندیل توفيت لأسباب طبيعية".

قلت له: "لهذا سوف نعود إلى لندن ونحن نجر من ورائنا أذيال الخيبة".

"عذرًا يا صديقي، ولكننا لن نعود إلى لندن".

صحت قائلاً: "ماذا تعني يا بوارو".

"إذا رأى كلب أرنبًا يا صديقي، فهل يعود إلى لندن؟ لا، بل يدخل جحر الأرنب".

"ماذا تعني؟".

"الكلب يصطاد الأرانب. وهيركيول بوارو يصطاد القتلة. لدينا قاتل هنا، صحيح أن جريمته من الممكن أن تكون قد فشلت، ولكنه يظل قاتلاً. وأنا يا صديقي سوف أدخل الجحر وأتعقبه، أو أتعقبها لست أدري".

التفت بسرعة ناحية البوابة.

"إلى أين ستذهب يا بوارو؟".

"إلى الجحر يا صديقي. إنه منزل دكتور جرينجر الذي لازم الآنسة أروندیل في مرضها الأخير".

كان دكتور جرينجر رجلاً في الستين من عمره تقريبًا. وجهه نحيف تبرز عظامه، وذو ذقن حاد، وحاجبين كثيفين، وعينين ذكيتين. انتقل بناظريه مني إلى بوارو.

سأل بسرعة: "حسنًا، ماذا يمكنني أن أفعل لكما؟".

بدأ بوارو في الكلام بطريقة مصطنعة للغاية.

"يجب أن أعتذر يا دكتور جرينجر على هذا التطفل. يجب أن أصارحك على الفور بأنني ما جئتك في استشارة طبية".

قال دكتور جرينجر على نحو جاف:

"سعيد بسماع ذلك. تبدو سليمًا معافى!".

تابع بوارو كلامه قائلاً: "دعني أشرح سبب زيارتي. حقيقة الأمر أنني أؤلف كتابًا عن حياة الجنرال أروندیل الذي أعرف أنه عاش في ماركيت بيسينج لسنوات قبل وفاته".

بدا الطبيب مندهشًا بعض الشيء.

"نعم لقد عاش جنرال أروندیل هنا حتى وفاته؛ في منزل ليتلجرين، الواقع أعلى الطريق بجوار البنك، لعلك ذهبت إلى هناك؟"، فأومأ بوارو برأسه. "ولكنك تعرف أن هذا كان قبل مجيئي إلى هنا بفترة؛ فقد جئت إلى هنا عام ١٩١٩".

"ولكنك كنت تعرف ابنته الآنسة أروندیل؟".

"لقد عرفت إميلي أروندیل جيدًا".

"أتعرف، كانت مفاجئة قوية أن أعرف أن الآنسة أروندیل توفيت مؤخرًا".

"نعم في نهاية أبريل".

"علمت ذلك؛ فقد كنت آمل أن تعطيني تفاصيل شخصية عن ذكرى والدها".

"مفهوم مفهوم. ولكنني لا أعرف ما الذي بوسعي أن أقدمه لك".

فسأله بوارو:

"ليس للجنرال أروندیل أي أبناء أو بنات على قيد الحياة؟".

"لا؛ فقد قضى الجميع نحبه".

"كم كان عددهم؟".

"خمسة: أربع بنات، وولد".

"وفي الجيل التالي؟".

"تشارلز أروندیل وأخته تريزا. بإمكانك أن تصل إليهم. ولكنني لا أعرف ما إذا كان ذلك سيفيدك أم لا؛ فالجيل الأصغر ليس مهتمًا كثيرًا بجده. أيضًا هناك السيدة تانيوس، ولكنني أشك أنك ستعرف منها الكثير أيضًا".

"لعل بحوذتهم أوراقًا خاصة بالأسرة _ مستندات؟".

"ربما، ولكنني أشك في ذلك؛ فقد تم التخلص من قدر كبير من الأوراق وحرقه بعد وفاة الآنسة إميلي. أنا أعرف ذلك".

تأوه بوارو بشكل ينم عن خيبة أمل.

نظر إليه جرينجر بفضول، ثم قال له:

"لماذا أنت مهتم بالسيد أروندیل؟ لم أسمع يومًا أنه كان مهمًا بأي حال من الأحوال؟".

لمعت عينا بوارو من الدهشة لما سمعه ثم قال له: "سيدي العزيز، أليست هناك حكمة تقول إن التاريخ لا يعرف شيئًا عن أعظم رجاله؟ وقد خرجت مؤخرًا بعض الأوراق إلى النور والتي تلقي ضوءًا مختلفًا تمامًا عن موضوع الثورة الهندية بالكامل. هناك سر تاريخي في هذه الثورة. وقد لعب جون أروندیل دورًا كبيرًا في ذلك السر؛ فالهند والسياسة الإنجليزية المتعلقة بها أصبحت موضوع الساعة".

قال الطبيب: "مممم. لقد سمعت أن المرحوم الجنرال أروندیل كان يتحدث باستفاضة عن موضوع الثورة. في الواقع، كان يعتبر موسوعة في هذا الموضوع".

"من أخبرك بذلك. الآنسة بيبودي، بالمناسبة يمكنك أن تتصل بها. فهي أقدم [illegible] في هذه البلدة، وكانت تعرف عائلة أروندیل عن قرب. كما أن القيل والقال هو متعة حياتها. وهي في حد ذاتها تستحق أن تراها، من حيث الشخصية".

"شكرًا لك، إنها فكرة رائعة. لعل بإمكانك أيضًا أن تعطيني عنوان السيد أروندیل الصغير، حفيد الجنرال أروندیل".

"تشارلز؟ نعم، بإمكاني أن أعطيك العنوان، ولكنه شيطان صغير غير مهتم بمثل هذه الأمور؛ فتاريخ العائلة لا يعني له أي شيء".

"هل هو صغير للغاية؟".

قال الطبيب وهو يغمز بعينه: "من الممكن أن يصفه رجل كبير مثلي بأنه فتى، في بداية الثلاثينات _ ذلك النوع من الشباب الذين يولدون ليمثلوا مشكلة وعبئًا على أسرهم. كل ما يتمتع به هو سحر الشخصية، دون أي شيء آخر. لقد سافر إلى كل أنحاء العالم، ولم يفلح في أي مكان تقريبًا".

بادر بوارو بقول: "قطعًا كانت خالته مغرمة به؟ فكثيرًا ما يكون الأمر كذلك".

"مممم، لست أدري. فإميلي أروندیل لم تكن غبية. وعلى حد علمي لم يسبح أبدًا في الحصول على أي مال منها. كانت سيدة قوية. لقد أحببتها، كما قد أحترمها أيضًا. كانت محاربة قديمة بكل ما تعنيه الكلمة".

"هل كان موتها مفاجئًا".

"نعم بشكل ما. ضع في اعتبارك أن صحتها كانت ضعيفة منذ سنوات. ولكنها ربحت في تجاوز بعض الوعكات الصحية".

"لقد سمعت قصة؛ أعتذر عن تكرار الشائعات ___" مد بوارو يده في استنكار ___"شجارها مع عائلتها؟".

قال دكتور جرينجر ببطء: "لم *تتشاجر* معهم بالضبط، لم يكن هناك شجار واضح على حد علمي".

"معذرة. لعلي لم أحسن الحكم على ما سمعت".

"لا، لا؛ فهذه المعلومات ملك للجميع".

"وقد حرمت عائلتها كل أموالها، كما علمت؟".

"نعم، تركتها لجليسة مروعة كانت تتملقها دومًا. أمر غريب أن تفعل ذلك لم أفهمه شخصيًا، لم تكن كعادتها".

قال بوارو متأملاً: "آها، حسنًا. يمكن للمرء أن يتخيل حدوث ذلك. سيدة عجوز ضعيفة ومعتلة. تعتمد كثيرًا على الشخص الذي يرعاها ويعتني بها. أي سيدة ذكية تتمتع بشيء من سحر الشخصية بإمكانها أن تسيطر عليها إلى حد كبير".

بدت كلمة سيطرة كأنها كانت بمثابة علم أحمر رآه ثور.

ضحك دكتور جرينجر ضحكة تنم عن ازدراء شديد:

"سيطرة؟ سيطرة؟ لا شيء من ذلك! كانت إميلي أروندیل تعامل ميلي لوسون معاملة أسوأ من المعاملة التي توليها لكلبها. وهي سمة ذلك الجيل! على أية حال، السيدات اللاتي يكسبن قوتهن بالعمل جليسات عادة ما يكن حمقاوات. فلو كن يتمتعن بعقل لتمكنَّ من عيش حياة أفضل. كانت إميلي أروندیل تتحمل الحمقاوات بكل سعادة. كانت عادة ما تهلك سيدة مسكينة مرة كل عام. سيطرة! لا شيء من هذا القبيل!".

تعجل بوارو بدخول أرض لا يعرف مداها.

اقترح قائلاً: "هذا ممكن، لعل هناك خطابات أو مستندات تخص الأسرة في حوزة الآنسة ـــ إيبه ـــ لوسون؟".

وافقه جرينجر الرأي قائلاً: "ربما، عادة ما تكون هناك أشياء كثيرة محجوبة في مكان ما في منزل سيدة عجوز. لا أظن أن الآنسة لوسون وصلت ولو لنصفها".

نهض بوارو من مكانه.

"شكرًا جزيلاً لك دكتور جرينجر. لقد كنت كريمًا معي للغاية".

قال الطبيب: "لا تشكرني. آسف لأنني لم أفعل أي شيء مفيد. الآنسة بيبودي هي أفضل فرصة أمامك. وهي تعيش في مورتون مانور؛ التي تبعد ميلاً خارج المدينة".

تشمم بوارو باقة أزهار كبيرة على طاولة الطبيب.

تمتم قائلاً: "جميلة".

"نعم، أظن ذلك. لا أستطيع أن أشمها بنفسي؛ فقد فقدت حاسة الشم عندما أصبت بالأنفلونزا منذ أربع سنوات. اعتراف لطيف بالنسبة لطبيب، أليس كذلك؟" "داو نفسك أيها الطبيب". هراء. لم أعد أستمتع بالتدخين مثلما كنت من قبل".

"أسوء الحظ. بالمناسبة. سوف تعطيني عنوان أروندیل الصغير؟".

قادنا إلى الردهة وهو يقول: "سوف أعطيه لكما"، ثم نادى قائلاً: "دونالدسون".

ثم قال لنا موضحًا: "إنه شريكي. وهو خطيب أخت تشارلز؛ تريزا".

ثم نادى مرة أخرى: "دونالدسون".

خرج شاب من غرفة في نهاية المنزل. كان متوسط الطول له مظهر يخلو من أي لون تقريبًا. وكان يتصرف على نحو حسن. كان صورة معاكسة تمامًا للدكتور جرينجر.

فشرح الآخر ما يريده.

رمقنا دكتور دونالدسون بعينيه الزرقاوين الشاحبتين اللتين كانتا جاحظتين قليلاً وكأنه يحاول *قراءتنا*. كان يتحدث بطريقة جافة ودقيقة.

"لا أعرف بالضبط أين تجدان تشارلز. بإمكاني أن أعطيكما عنوان الآنسة تريزا. قطعًا ستوصلكما بأخيها".

أكد له بوارو أن هذا يفي بالغرض تمامًا.

كتب الطبيب عنوانًا على ورقة قطعها من مفكرته، ثم أعطاها لبوارو، فشكره بوارو وودع الطبيبين. وبينما كنا على وشك الخروج من الباب لاحظت وقوف الدكتور دونالدسون في الردهة وهو يمعن النظر فينا وعلى وجهه نظرة اندهاش بعض الشيء.

العاشر

زيارة إلى الآنسة بيبودي

سألت بوارو ونحن نخرج من المنزل: "هل من المهم أن تلجأ لهذه الأكاذيب بهذه الصورة يا بوارو؟".

هز بوارو كتفيه.

"إذا كان المرء سيكذب من الأساس، ولقد لاحظت بالمناسبة أن طبيعتك بعيدة كل البعد عن الكذب، ولكنها بالنسبة لي أمر في منتهى السهولة ــ".

قلت له: "لاحظت ذلك".

"كما قلت، *إذا* كان المرء سيكذب من الأساس، وقد تكون أيضًا كذبة فنية، أو كذبة رومانسية ــ كذبة مقنعة!".

"هل تعتبر هذه كذبة مقنعة؟ هل تظن أن دكتور دونالدسون اقتنع بهذه الكذبة؟".

اعترف بوارو قائلاً: "هذا الرجل متشكك بطبيعته".

"لقد نظر إليَّ في شك كبير".

"لا أعرف لماذا يجب أن يكون كذلك؛ فهناك بُلهاء يكتبون عن حياة غيرهم من البلهاء كل يوم. وهذا أمر منه كما تقول".

قلت وأنا أبتسم ابتسامة استهزاء: "هذه المرة الأولى التي أسمعك تصف نفسك بالأبله".

قال بوارو ببرود: "أستطيع أن ألعب دورًا، كأي شخص آخر. أنا آسف جدًا أنك لم تعجب بالقصة الصغيرة التي اختلقتها. أنا شخصيًا راضٍ تمام الرضا عن نفسي".

غيرت الموضوع بقولي:

"ماذا نفعل بعد ذلك؟".

"هذا سهل. نركب سيارتنا ونذهب إلى مورتون مانور".

اتضح أن مورتون مانور منزل كبير قبيح ينتمي للعصر الفيكتوري. استقبلنا كبير الخدم العجوز بشيء من التشكك ثم عاد على الفور ليسأل "عما إذا كان هناك موعد".

قال بوارو: "من فضلك أخبر الآنسة بيبودي بأننا من طرف دكتور جرينجر".

بعد انتظار دام بضع دقائق انفتح الباب ودخلت سيدة قصيرة سمينة الغرفة. كان شعرها الأبيض الخفيف مفروقًا بعناية من المنتصف. كانت ترتدي ثوبًا أرجوانيًا قاتم اللون، ووبرُه مُزال تمامًا من عدة أماكن، وحول رقبتها أنشوطة مربوطة بشكل جميل عليها دبوس زينة مُطعم بحجر كريم.

دخلت الغرفة وهي تنظر إلينا بطريقة تدل على ضعف بصرها. وعكست أول ملامحها شيئًا من الدهشة.

"ألديكما شيء للبيع؟".

قال بوارو: "لا يا سيدتي".

"أكيد؟".

"نعم، أكيد".

"ليست لديكما مكانس كهربية؟".

"لا".

"جوارب؟".

"لا".

"سجاجيد؟".

"لا".

قالت الآنسة بيبودي وهي تجلس على كرسي: "حسنًا، هذا جيد. بإمكاننا الجلوس".

جلسنا إذعانًا لأمرها.

قالت الآنسة بيبودي بطريقة تنم عن اعتذار: "اعذراني. يجب أن أتوخى الحذر. أنتما لا تتصوران الأشخاص الذين يأتون إلى هنا. الخدم ليس لهم أي نفع، ولا يستطيعون تحديد هوية الحاضرين. ولا يمكنني لومهم أيضًا، فهم يستخدمون أصواتًا مناسبة، ويرتدون ملابس مناسبة، ويذكرون أسماء صحيحة. فكيف يمكنهم أن يعرفوا؟ القائد ريدجواي، السيد سكوا إدرجتون، كابتن أرسي فيتزربيرت، أشخاص حسنو المظهر، بعضهم يكون كذلك. ولكن قبل أن تعرف أين أنت تجد لديك ماكينة إعداد الكريمة".

قال بوارو متحدثًا بجد:

"أؤكد لك يا سيدتي أنه ليست لنا علاقة بشيء من هذا النوع".

قالت الآنسة بيبودي: "قطعًا تفهمان سخافة ذلك".

انهمك بوارو في سرد قصته، والآنسة بيبودي تسمعه دون أن تبدي أي تعليق وهي تغمض عينيها الصغيرتين مرة أو مرتين، ثم قالت في النهاية:

"سوف تؤلف كتابًا، ها؟".

"نعم".

"بالإنجليزية؟".

"طبعًا بالإنجليزية".

"ولكنك أجنبي، أليس كذلك. هيا، اعترف، أنت أجنبي، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

ثم اتجهت بناظريها نحوي.

"أظنك السكرتير الخاص به؟".

قلت بتشكك: "إرر، نعم".

"هل تستطيع أن تكتب إنجليزية جيدة؟".

"أمل ذلك".

"ممم، ما المدرسة التي تخرجت فيها؟".

"إيتون".

"إذن لن تستطيع ذلك".

اضطررت لأن أتخلى عن الدفاع عن نفسي من اتهام هذه السيدة العجوز في جودة التعليم الذي تلقيته؛ حيث عادت الآنسة بيبودي للنظر إلى بوارو مرة أخرى.

"سوف تكتب عن حياة جنرال أروندیل، صحيح؟".

"نعم، كنت تعرفينه على حد علمي".

"نعم عرفت جون أروندیل. كان يسرف في الشرب".

ساد صمت للحظات، ثم تابعت الآنسة بيبودي كلامها متأملة:

"الثورة الهندية، ها؟ يبدو الأمر لي بمثابة ضرب حصان ميت لإجباره على السير بسرعة، ولكن هذا شأنكما".

"لعرفين يا سيدتي أن هناك اتجاهًا لمثل هذه الكتابات. والهند أصبحت موضة العصر".

"ربما، ولكن الأمور تتغير، كما هي سنة الحياة".

التزمنا الصمت.

قالت الآنسة بيبودي: "دائمًا ما تكشف الثورات عن وجهها القبيح". ثبتت ناظرها على بوارو، ثم قالت له: "والآن، ما الذي تريد أن تعرفه؟".

أشاح بوارو بيديه وقال:

"أي شيء! تاريخ الأسرة، الإشاعات. حياتهم المنزلية".

قالت الآنسة بيبودي: "لا أستطيع أن أخبرك أي شيء عن الهند. في الواقع أنا أَمَلُّ الاستماع لحكايات الرجال الكبار المملة. كان رجلاً غبيًا للغاية، ولكنني أستطيع أن أقول كلمة واحدة في حق الجنرال. لطالما سمعت أن الذكاء غير مهم في الجيش. كل ما عليك هو أن تهتم بزوجة الكولونيل وأن تستمع باحترام إلى الضباط الذين يعلونك في الرتبة، وسوف تنجح، هذا ما كان والدي يقوله".

تعامل بوارو مع هذا الرأي العابر باحترام، ثم صمت للحظة أو اثنتين قبل أن يقول:

"كنت تعرفين عائلة أروندیل عن قرب، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة بيبودي: "أعرفهم جميعًا. كانت ماتيلدا أكبرهم، تغطي وجهها حبوب. كانت معلمة في مدرسة سانداي الدينية. وكانت مغرمة بأحد رجال الدين هناك. تصغرها إميلي التي كانت تحسن ركوب الأحصنة. كانت الوحيدة التي بإمكانها أن تفعل أي شيء مع والدها عندما تعتريه إحدى نوباته؛ فقد كان يسرف في الشراب، وكان يتم إخراج الكثير من الزجاجات من المنزل. كانوا يدفنونها بالليل. وبعد ذلك ـ دعني أتذكر من الأكبر؛ أرابيلا أم توماس؟ توماس على ما أظن. لطالما كنت أشعر بالحزن من أجله. رجل واحد وأربع بنات. فهذا يجعل أي رجل يبدو أحمق. كان توماس أشبه بسيدة عجوز. لم يظن أي شخص أنه سوف يتزوج؛ فكان زواجه صدمة للجميع".

ضحكت الآنسة بيبودي ضحكة قديمة ثرية.

كان واضحًا أن الآنسة بيبودي مستمتعة للغاية. لدرجة أنها نسيت وجودها تمامًا، وغرقت في ذكريات الماضي.

"ثم ولدت أرابيلا التي كانت فتاة بسيطة. وجهها أشبه بكعكة رقيقة، ورغم كونها أقل أبناء عائلتها جمالاً، فإنها تزوجت على الفور من أستاذ بجامعة كامبريدج. كان رجلاً عجوزًا للغاية، قطعًا كان في الستين من عمره. وقد قدم سلسلة من المحاضرات هنا؛ أظنها كانت عن عجائب الكيمياء الحديثة. لقد زرتهما ذات مرة، كان يتكلم بطريقة غير واضحة على حد ما أذكر. بسبب لحيته لم أستطع أن أسمع مزيدًا مما يقول. كانت أرابيلا معتادة أن تبقى في المؤخرة وتطرح أسئلة. لم تكن جبانة بطبيعتها. قطعًا كانت على مشارف الأربعينات

آه، حسنًا، لقد توفي الاثنان الآن. كان زواجًا سعيدًا. هناك شيء يقال عن الزواج من سيدة عادية؛ حيث تعرف أسوأ ما فيها على الفور، كما أنها تكون مسئولة. وأخيرًا آجنس. كانت أصغرهم، وأجملهم. كنا نظنها ولدًا؛ فقد كانت سريعة الغارة! هذا غريب، غريب أن تتذكر أنه لو كانت إحدى الأخوات ستتزوج لكانت آجنس، ولكنها لم تتزوج. توفيت بعد وقت قصير من الحرب".

تمتم بوارو قائلاً:

"قلت إن زواج السيد توماس كان غير متوقع".

أطلقت الآنسة بيبودي تلك الضحكة من أعماقها مرة أخرى.

"غير متوقع؟ قطعًا كان كذلك، وقد تسبب في فضيحة كبيرة. لم نتصور أبدًا أنه سوف يتزوج؛ ذلك الشاب الهادئ الخجول، المنكمش على نفسه، والمخلص لأخواته".

توقفت عن الكلام للحظة.

"أذكر قضية أحدثت ضجة في أواخر التسعينات؟ السيدة فارلي؟ كان من المعتقد أنها سممت زوجها بالزرنيخ. كانت سيدة حسنة المظهر. لقد أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة. وتم تبرئتها من هذا الاتهام. حسنًا لقد فقد توماس أروندیل عقله. كان معتادًا شراء كل الصحف وقراءة كل الأخبار المتعلقة بالقضية وقص صور السيدة فارلي. أتصدق، عندما انتهت المحاكمة ذهب إلى لندن وطلب الزواج منها؟ توماس! توماس الهادئ الذي طالما كان يحب البقاء في المنزل! لا يستطيع أي شخص قراءة الرجال، أليس كذلك؟ كما أنهم عرضة للانفجار دومًا".

"وماذا حدث؟".

"أوه، لقد تزوجته".

"كانت صدمة كبيرة لأخواته؟".

"أظن ذلك! لم يكن يستقبلنها. لا أستطيع أن ألومهن في ذلك. لقد أساء توماس لنفسه على نحو قاتل. سافر ليعيش في جزر القنال ولم يسمع أي شخص عنه شيئًا بعد ذلك. لا نعرف ما إذا كانت زوجته سممت زوجها الأول. ولكنها لم

تسمم توماس؛ فقد ظل على قيد الحياة بعد وفاتها ثلاث سنوات، وقد أنجب منها طفلين، ولدًا وبنتًا، حسنا المظهر يشبهان والدتهما".

"أظنهما كانا يأتيان إلى عمتهما كثيرًا؟".

"لم يحدث ذلك إلا بعد وفاة والديهما؛ فقد ظلا في كنف والديهما. كانا يأتيان في الإجازات. كانت إميلي بمفردها في العالم في ذلك الوقت، وكانت بيلا بيجز الوحيدة من أقاربها التي كانت تقيم معها".

"بيجز؟".

"ابنة أرابيلا. فتاة كئيبة، تكبر تريزا ببضع سنوات. ولكنها جعلت من نفسها أضحوكة. فقد تزوجت من شخص أسباني خريج الجامعة، طبيب يوناني، رجل ذي مظهر مروع، ولكنني يجب أن أعترف بأنه يتمتع بأخلاقيات ساحرة. حسنًا لا أظن أن بيلا المسكينة أتيحت لها الكثير من الفرص. قضت وقتها تساعد والدها أو تمسك الصوف لوالدتها التي كانت غريبة. ولكنها راقتها".

"هل زواجها سعيد؟".

"لا أحب أن أجزم بحالة *أي* زيجة! *يبدو* أنهما سعيدان للغاية. ولديهما طفلان شاحبان، يعيشان في سميرنا".

"ولكنهما في إنجلترا الآن، أليس كذلك؟".

"نعم جاءوا في مارس. أظن أنهما سيعودان عما قريب".

"هل كانت الآنسة إميلي أروندیل مغرمة ببنت أختها؟".

"مغرمة ببيلا؟ أوه، فعلاً. إنها سيدة كئيبة، غارقة مع أطفالها وشئون منزلها".

"هل وافقت على زواجها؟".

ضحكت الآنسة بيبودي.

"لم *توافق* عليه، ولكنني أظنها كانت تحب هذا الوغد الذي يتمتع بعقل كبير. إذا سألتني عن رأيي سأقول لك إنه كان يتملقها بلطف. كان يضع عينيه على المال".

م بوارو، ثم تمتم قائلاً: "أفهم أن الآنسة أروندیل توفيت وهي ثرية؟".

اعتدلت الآنسة بيبودي في جلستها وجلست في وضع مريح على كرسيها.

"نعم، هذا هو ما سبب كل المشكلات! فلم يحلم أي شخص بأنها كانت ثرية لهذه الدرجة. فكيف جمعت كل هذه الثروة. لقد ترك جنرال أروندیل دخلاً صغيرًا لها، قسم بالتساوي بين ابنه وبناته. وقد أعيد استثمار بعض هذا المال، وأظن أن كل الاستثمارات سارت على نحو جيد. كانت لديهم أسهم ثابتة في شركة فورتولد. والآن بالطبع حصل توماس وأرابيلا على نصيبهما بعد زواجهما. وعاش الإخوة الثلاثة هنا، ولم ينفقا عشر دخلهما المجمع، كان كله يعاد استثماره من جديد. وعندما توفيت ماتيلدا، قسمت أموالها بين إميلي وآجنس، وعندما توفيت آجنس، تركت أموالها إلى إميلي. وظلت إميلي لا تنفق سوى أقل القليل. ونتيجة لذلك، توفيت سيدة ثرية، وحصلت المرأة المدعوة لوسون على كل هذا المال!".

أخرجت الآنسة بيبودي الجملة الأخيرة بنبرة انتصار، لا تخلو من شماتة.

"هل فاجأك هذا الأمر يا آنسة بيبودي؟".

"كي أصدقك القول، فاجأني فعلاً! فقد صرحت إميلي عدة مرات قبيل وفاتها بأن أموالها سوف تقسم بين ابن وابنة أخيها وابنة أختها. وكان من المفترض أن يسير الأمر على هذا النحو من الأساس. فتترك جزءًا للخدم، ثم تقسم باقي الأموال بالتساوي بين تريزا وتشارلز وبيلا. يا إلهي! حدث *لغط* كبير بعد وفاتها عندما اكتشفنا أنها صنعت وصية جديدة توصي فيها بترك كل أموالها إلى الآنسة لوسون المسكينة!".

"هل كتبت الوصية قبل وفاتها؟".

رمقته الآنسة بيبودي بنظرة حادة.

"أتظن أنها كانت تحت تأثير معين. لا، أخشى ألا يكون الوضع كذلك. ولا أظن أن لوسون المسكينة لديها عقل أو أعصاب لتحاول عمل أي شيء من هذا القبيل. كي أصدقك القول، لقد بدت مندهشة تمامًا كأي شخص آخر — أو قالت إنها كذلك!".

ابتسم بوارو من إضافتها الأخيرة.

تابعت الآنسة بيبودي كلامها قائلة: "لقد كتبت الوصية قبل وفاتها بعشرة أيام. ويقول المحامي إنها صحيحة. حسنًا، قد تكون كذلك".

مال بوارو للأمام وقال: "أتعنين ــ".

قالت الآنسة بيبودي: "أقول إن هناك خدعة في الأمر. هناك شيء تفوح منه رائحة نتنة".

"ما الذي تعنينه بالضبط؟".

"ألم تراودك فكرة كهذه! كيف لي أن أعرف أين الخدعة في ذلك؟ أنا لست محامية، ولكنَّ هناك شيئًا غريبًا في الأمر، تذكر كلامي".

قال بوارو ببطء:

"هل فكر أي شخص في الطعن في الوصية؟".

"أخذت تريزا رأي مستشار، على ما أظن. أرى أن استشارة كثير من المحامين أمر مفيد! فماذا يكون رأي تسعة محامين من أصل عشرة؟ لقد كنت في موقف مماثل؛ نصحني خمسة محامين بعدم اتخاذ أي إجراء، فماذا فعلت؟ لم أهتم بكلامهم، وتقدمت بقضية، وربحتها أيضًا. وضعوني على منصة الشهود وحاول شاب ذكي من لندن أن أجعلني أبدو وكأنني أناقض نفسي. ولكنه لم ينجح في ذلك. قال لي: "لا يمكنك تحديد هذه الأنسجة بسهولة؛ فليس هناك علامة توضح صانعها".

"قلت: "قد يكون الأمر كذلك، ولكن هناك رتقًا في البطانة، ولا يمكن لأي شخص هذه الأيام أن يصنع رتقًا كهذا، أنا واثقة من ذلك". فانهار الشاب تمامًا".

ضحكت الآنسة بيبودي من أعماقها.

قال بوارو بحذر: "أظن أن ــ إرر ــ هناك عاطفة قوية بين الآنسة لوسون وأفراد عائلة الآنسة أروندیل".

"ماذا تتوقع؟ أنت تعرف الطبيعة البشرية ــ دائمًا ما تثير مشكلات بعد الوفاة. ومن الصعب أن يبرد أي رجل أو امرأة في كفنه قبل أن يؤذي أغلبُ من هم في حداد عليه بعضهم بعضًا".

انهد بوارو.

"صحيح جدًا".

قالت الآنسة بيبودي بتسامح: "هذه هي الطبيعة البشرية".

انتقل بوارو لموضوع آخر.

"هل صحيح أن الآنسة أروندیل كانت تؤمن بالجلسات الروحية؟".

رمقته الآنسة بيبودي بعينها الثاقبة بحدة شديدة.

قالت: "إذا كنت تظن أن روح جون أروندیل عادت للحياة وأمرت إميلي أن تترك أموالها لميني لوسون وأن إميلي أطاعت الأمر؛ فأؤكد لك أنك مخطئ للغاية. فإميلي ليست بهذه السذاجة. إن سألتني عن رأيي، أظنها كانت تجد الجلسات الروحية أفضل من لعب الألعاب الورقية. أرأيت الأختين تريبس؟".

"لا".

"إن فعلت، لأدركت مدى سخافة الأمر. سيدتان مزعجتان. دائمًا ما تعطياني رسائل من أحد أقاربك، ودائمًا ما تكون هذه الرسائل متضاربة. ولكنهما تصدقان هذه الرسائل، وهكذا كانت ميني لوسون. أوه، أظن أن طرق تمضية الأمسيات لديهن واحدة دومًا".

لجأ بوارو لخيط آخر.

"أظنك تعرفين تشارلز أروندیل الصغير؟ أي نوع من الأشخاص تجدينه؟".

"عديم النفع، فتى ساحر، في حالة عوز مستمرة، كما أنه مدين على الدوام، دائمًا ما يعود من رحلاته مثل القرش المعيب الذي يعود لصاحبه دومًا. إنه يعرف كيف يتحايل على السيدات ويدخل لهن من المدخل الصحيح". ضحكت ثم أردفت تقول: "لقد رأيت شبابًا كثيرًا مثله تتهافت النساء عليه! من المضحك أن ينجب توماس ابنًا مثله. كان رجلاً رصينًا وقورًا، نموذجًا للاستقامة. صحيح أن العرق دساس، ولكنني رغم ذلك أحب هذا الوغد، ولكنه من ذلك النوع الذي يفتل جدته للحصول على شلن أو اثنين. ليست لديه أي أخلاقيات. غريب أن يولد بعض الناس بلا أخلاق بهذا الشكل".

"وماذا عن أخته؟".

"تريزا؟". هزت الآنسة بيبودي رأسها وقالت ببطء: "لا أعرف. إنها مخلوقة غريبة. غير عادية. وهي مخطوبة لذلك الطبيب الضعيف الذي يعيش هنا. لعلك رأيته؟".

"دكتور دونالدسون".

"نعم، يقولون إنه بارع في مهنته. ولكن هذا الرجل النحيف تنقصه أشياء كثيرة. ليس من نوع الشباب الذين كانوا يعجبونني في شبابي. ولكن تريزا لها تجاربها الخاصة ـــ أنا واثقة من ذلك".

"ألم يكن دكتور دونالدسون يتابع حالة الآنسة أروندیل الصحية؟".

"كان يفعل ذلك في عطلات دكتور جرينجر".

"ولكنه لم يفعل ذلك في مرضها الأخير".

"لا أعتقد ذلك".

قال بوارو وهو يرسم ابتسامة على شفتيه:

"أظنك يا آنسة بيبودي لا تعترفين به كطبيب؟".

"لم أقل ذلك أبدًا، بل إنك مخطئ في الحقيقة. إنه ذكي للغاية، كما أنه بارع في عمله، ولكنه ليس من النوع الذي يعجبني. على سبيل المثال، في الأيام الماضية عندما كان أي طفل يسرف في تناول التفاح الأخضر كان يصاب بنوبات صفراء، وكان الطبيب يصفها بذلك، وتعود لمنزلك ويرسل لك بعض فواتير الجراحة. ولكن هذه الأيام، تسمع أن الطفل يعاني ارتفاع الأحماض، وأنه يجب أن يتبع نظامًا غذائيًا خاصًا، وتحصل على الأدوية نفسها، ولكن على شكل أقراص بيضاء مغلقة بشكل جيد يصنعها لك كيميائيون وتكلفك حوالي ثلاثة أضعاف التكلفة! دونالدسون ينتمي لهذه المدرسة، وضع في اعتبارك أن أغلب الأمهات الصغيرات يفضلن هذه الطريقة؛ لأنها تبدو أفضل. ولكن هذا الشاب لن يظل في مكانه يرعى مرضى الحصبة ونوبات الصفراء. ولكنه يضع عينيه على لندن، وهو طموح، وبحاجة لأن يتخصص".

"في أي فرع؟".

"علم المداواة باللقاحات. أظنني نطقتها بشكل صحيح. الفكرة أنك تخضع لعقن تحت الجلد بغض النظر عما تشعر به، خشية أن تصاب بمرض ما. ولكنني شخصيًا لست مقتنعة بهذه الحقن القذرة".

"هل يجري دكتور دونالدسون أي تجارب معملية على مرض معين؟".

"لا تسألني، كل ما أعرفه هو أن عمله كممارس عام ليست مناسبة له؛ فهو يريد أن يقطن في لندن، ولكنه ليفعل ذلك يجب أن يحصل على مال، ولكنه فقير للغاية".

تمتم بوارو قائلاً:

"من المؤسف حقًا أن تعاق موهبة حقيقية بسبب نقص المال. بينما نجد على الصعيد الآخر أشخاصًا لا ينفقون ربع دخلهم".

قالت الآنسة بيبودي: "كانت إميلي أروندیل من ذلك النوع. لقد فوجئ كثير من الناس عندما فتحت الوصية؛ فقد كان كمية المال أقل بكثير مما كان عليه".

"أتعتقدين أنها كانت مفاجئة لأفراد عائلتها؟".

قالت الآنسة بيبودي وعيناها تعكسان قدرًا كبيرًا من المتعة: "لا أقول نعم، ولا أقول لا. كان لدى أحدهم فكرة قوية عن الأمر".

"أيهم؟".

"السيد تشارلز. قام ببعض الحسابات على حسابه الخاص. تشارلز هذا ليس غبيًا أبدًا".

"ولكنه وغد، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة بيبودي بوحشية: "ولكنه ليس رجلاً ضعيفًا".

التزمت الصمت للحظة ثم سألت قائلة:

"هل ستتصل به؟".

أجابها بوارو برزانة: "أنوي ذلك. أظن أنه من الممكن أن تكون لديه أوراق متعلقة بجده؟".

"أغلب الظن أنه أحرقها؛ فهذا الشاب لا يكن أي احترام لمن هم أكبر منه".

قال بوارو بإيجاز: "على المرء أن يطرق كل الأبواب".

قالت الآنسة بيبودي بطريقة جافة: "هذا صحيح".

لمعت عيناها الزرقاوان للحظة بطريقة بدت لا تسره؛ فنهض من مكانه.

"لا أريد أن أضيع وقتك أكثر من ذلك يا سيدتي. أنا ممتن للغاية لما أخبرتني به".

قالت الآنسة بيبودي: "لقد بذلت وسعي. يبدو أننا ابتعدنا كثيرًا عن الثورة الهندية، أليس كذلك؟".

قالت ذلك وهي تصافحنا.

ثم قالت لنا ونحن على الباب: "أبلغاني بموعد صدور الكتاب. أنا مهتمة كثيرًا بقراءته".

كان آخر ما سمعناه ونحن نغادر الغرفة ضحكة ثرية من أعماقها.

الحادي عشر

زيارة إلى الآنستين تريب

قال بوارو ونحن ندخل مرة أخرى السيارة: "والآن، ماذا سنفعل بعد ذلك؟".

كنت قد تعلمت من التجربة، لذلك لم أكرر اقتراح العودة إلى البلدة مرة أخرى. وعلى أية حال، إذا كان بوارو يستمتع بنفسه بطريقته الخاصة، فلماذا أعترض على ذلك.

اقترحت أن نتناول بعض الشاي.

"شاي يا هاستنجز؟ يا لها من فكرة! ضع الوقت في اعتبارك".

"لقد وضعته في اعتباري، أعني أنني نظرت إلى الساعة. الساعة الخامسة والنصف. إنه الوقت المناسب لاحتساء الشاي".

تنهد بوارو.

"أنتم الإنجليز حريصون على احتساء الشاي بعد الظهيرة! لا يا صديقي، ليس هناك وقت للشاي. لقد قرأت في كتاب عن قواعد السلوك وعلمت منه أن المرء لا يجب أن يذهب لأي زيارة بعد الساعة السادسة؛ فالقيام بذلك خطأ كبير في قواعد السلوك؛ لهذا أمامنا نصف ساعة نقوم فيها بمهمتنا".

"كم أصبحت اجتماعيًّا اليوم يا بوارو! إلى أين سنذهب الآن؟".

"إلى الآنستين تريب".

"هل ستؤلف كتابًا عن الجلسات الروحية الآن، أم أنك ستواصل البحث في حياة الجنرال أروندیل؟".

"سيكون الأمر أبسط من ذلك بكثير يا صديقي. ولكننا يجب أن نعرف أين تقطنان".

كانت التعليمات واضحة ومباشرة بالقدر الكافي، ولكن كانت لها طبيعة محيرة بعض الشيء؛ فقد احتوت على كلمات تتحمل أكثر من معنى. اتضح أن الآنستين تريب تقيمان في كوخ جميل، ولكنه قديم للغاية، فبدا كأنه سوف ينهار في أي لحظة.

فتحت الباب فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تقريبًا، اعتصرت نفسها بشق الأنفس في الحائط لتسمح لنا بدخول الكوخ.

بدا المنزل من الداخل غنيًّا بعوارض قديمة من البلوط، وكان هناك موقد كبير مفتوح، ونافذة صغيرة للغاية جعلت من الصعب أن نرى بوضوح. كان الأثاث كله ذا طبيعة مصطنعة تبدو بسيطة ـ مصنوعًا من شجر البلوط القديم يناسب ساكني الكوخ القديم ـ كان هناك قدر كبير من الفاكهة في طبق خشبي، وعدد كبير من الصور، لاحظت أن أغلبها لسيدتين اثنتين في أوضاع مختلفة ـ تحملان باقات من الزهور دومًا تضمانها إلى صدريهما أو ترتديان قبعتين كبيرتين من القش.

قالت لنا الطفلة التي فتحت لنا الباب بصوت خافت شيئًا ما ثم اختفت، ولكن صوتها كان مسموعًا بشكل واضح من الطابق العلوي.

"هناك سيدان يرغبان في رؤيتك يا آنسة".

سمعت أصواتًا أنثوية أشبه بزقزقة العصافير، وعلى الفور نزلت سيدة درجات السلم محدثة قدرًا كبيرًا من الصرير والهفيف، واقتربت منا بسماحة.

كانت أقرب إلى الخمسين منها إلى الأربعين، وكان شعرها مفروقًا من المنتصف بشكل يوحي بالحشمة والوقار، وكانت عيناها بنيتين جاحظتين بعض الشيء. كانت ترتدي ثوبًا قطنيًّا مشجرًا يعطيك انطباعًا أنها ترتدي ملابس تنكرية.

تقدم بوارو للأمام وبدأ في الحديث بطريقة منمقة للغاية:

"يجب أن أعتذر أولاً على المجيء بهذه الطريقة يا آنسة، ولكنني أواجه مشكلة. لقد جئت إلى هنا بحثًا عن سيدة معينة، ولكنها غادرت ماركيت بيسينج وقيل لي إنك تعرفين عنوانها".

"حقًّا؟ ومن هي هذه السيدة؟".

"الآنسة لوسون".

"أوه، ميني لوسون. طبعًا! إننا أعز الأصدقاء. اجلس يا سيد ـــ إررر ـــ ؟".

"باروتي يا عزيزي، وهذا كابتن هاستنجز".

تعرفت الآنسة تريب عليهما ثم أحدثت بعض الضجة. "اجلس هنا، من فضلك ـــ لا، أرجوك ـــ تفضل. دائمًا ما أفضل الجلوس على كرسي مستقيم. والآن، أواثق أنك مرتاح هناك؟ عزيزتي الآنسة لوسون ـــ أوه، ها هي أختي".

سمعنا المزيد من الصرير والهفيف، ثم انضمت إلينا سيدة أخرى، ترتدي ثوبًا قطنيًا آخر يناسب فتاة في السادسة عشرة من العمر.

"أختي إيزابيل ـــ السيد ـــ إررر ـــ باروت ـــ و ـــ إررر ـــ كابتن هاستنجز. عزيزتي إيزابيل، هذان الرجلان أصدقاء ميني لوسون".

كان جسد الآنسة إيزابيل تريب أقل امتلاءً من أختها، بل إنه من الممكن أن توصف بأنها نحيفة. وكان شعرها فاتح اللون، ربطت قدرًا كبيرًا منه لأعلى في خصلات مبعثرة. وكانت تتصرف كأنها فتاة صغيرة، فأدركنا على الفور أنها صاحبة القدر الأكبر من الصور التي رأيناها مع باقات الأزهار.

"كم هذا رائع! عزيزتي ميني! هل رأيتها مؤخرًا؟".

قال بوارو: "لم أرها منذ سنوات؛ فقد فقدنا الاتصال ببعضنا تقريبًا. كنت خارج البلاد، لهذا فوجئت وسررت عندما علمت أنها ورثت ثروة كبيرة من صديقة قديمة".

"هذا صحيح. وهي تستحقها للغاية! ميني تتمتع بروح طيبة ـ بسيطة للغاية ـ ومخلصة جدًّا".

صاحت إيزابيل: "جوليا".

"نعم يا إيزابيل؟"

"كم هذا غريب. أتذكرين إصرار آلة الكتابة على كتابة حرف ب الليلة الماضية. زائر من وراء البحار يبدأ اسمه بالحرف ب".

وافقتها جوليا الرأي قائلة: "هذا صحيح فعلاً".

نظرت كلتا السيدتين إلى بوارو وكأنها سرحتا في عالم آخر، وعلى وجهيهما دهشة تنم عن فرحة.

قالت الآنسة جوليا: "إنها لا تخطئ أبدًا".

"هل أنت مهتم يا سيد باروت بالتنجيم والجلسات الروحية؟".

"لدي تجربة بسيطة معها يا آنسة، ولكنني مثل أي شخص سافر كثيرًا إلى الشرق، يجب أن أعترف أن هناك الكثير من الأمور التي لا يفهمها المرء ولا يمكن تفسيرها بطرق طبيعية".

قالت جوليا: "هذا صحيح. صحيح جدًا".

تمتمت إيزابيل قائلة: "الشرق ـ منبع التبصر الروحي والتنجيم".

على حد علمي، لم يسافر بوارو إلى الشرق سوى في رحلة إلى سوريا امتدت إلى العراق، استمرت بضعة أسابيع تقريبًا. ولكن مظهره الحالي يجعل المرء يقسم أنه قضى معظم حياته في الأدغال والحانات، وتحدث كثيرًا مع الدراويش والدجالين والزعماء الروحيين.

على حد ما خمنت، كانت الآنستان تريب نباتيتين، تحملان الجنسية الإنجليزية، محبتان لتأمل حكمة الله، تؤمنان بالعلوم الدينية والروحية، عاشقتين لتصوير الهواة.

قالت جوليا وهي تتنهد: "أحيانًا يشعر المرء، بأن ماركيت بيسينج مكان يستحيل العيش فيه؛ فليس هناك أي جمال، وليس فيه روح. والمرء يجب أن تكون له روح، ألا توافقني الرأي يا كابتن هوكينز؟".

قلت وأنا محرج بعض الشيء: "طبعًا، أوه، طبعًا".

قالت إيزابيل وهي تتنهد: "*حيثما تختفي الرؤيا، يموت الناس*. كثيرًا ما حاولت أن أناقش بعض الأمور مع رجال الدين، ولكنني لم أصل إلى نتيجة حتى الآن".

أردفت أختها تقول: "والأمر كله غاية في البساطة حقًا؛ فكما نعرف جيدًا، كل ما نحتاج إليه هو البهجة والحب!".

قال بوارو: "كما تقولان، كما تقولان. كم من المؤسف أن تنشب مشكلات ناجمة عن سوء فهم ونزاعات؛ خاصة إذا كانت متعلقة بالمال".

تنهدت جوليا قائلة: "المال مفسدة كبيرة".

قال بوارو: "أظن أن الراحلة الآنسة أروندیل كانت تهتدي بكلامكما؟".

نظرت الأختان لبعضهما.

قالت إيزابيل: "لست أدري".

قالت جوليا: "لم نتأكد من ذلك أبدًا. كانت تبدو مقتنعة تمامًا في لحظة معينة، ثم كانت تقول شيئًا بذيئًا للغاية".

ثم أردفت تقول: "أها، ولكنك تذكرين التجسد الأخير". ثم التفتت محدثة بوارو: "كان أمرًا ملحوظًا للغاية. كان ذلك ليلة وفاة الآنسة العزيزة أروندیل. ذهبت أنا وأختي بعد العشاء وأقمنا جلسة هناك؛ نحن الأربعة فقط. أتعرف رأينا ـ رأينا نحن الثلاثة ـ بوضوح *شديد*، شيئًا أشبه *بهالة* يحيط برأس الآنسة أروندیل".

"نعم، كان أشبه بضباب منير". ثم التفتت لأختها وأردفت تقول: "أليس هذا هو الوصف الأنسب يا إيزابيل؟".

"نعم، نعم، إنه الوصف الأنسب. ضباب منير أحاط تدريجيًا برأس الآنسة أروندیل ـــ هالة من نور باهت. كانت *علامة* ـــ عرفنا ذلك الآن ـــ علامة على أنها على حافة الموت والانتقال إلى العالم الآخر".

قال بوارو بصوت مبهور: "أمر غير عادي. كانت الغرفة مظلمة، صحيح؟".

"أوه، نعم، دائمًا ما نحقق نتائج أفضل في الظلام، وكانت ليلة دافئة؛ فلم نحتج أيضًا إلى إشعال المدفأة".

قالت إيزابيل: "تحدثت إلينا روح مثيرة للغاية. كانت تدعى فاطيمة. قالت لنا إنها قضت نحبها أيام الحروب الصليبية. أتتنا برسالة جميلة".

"تحدثت إليكم فعلاً؟".

"لا، لم يكن صوتًا مباشرًا، ولكنها تحدثت بصوت عال وبسرعة وقالت: الحب، الأمل، الحياة. كلمات جميلة".

"وكانت الآنسة أروندیل مریضة فعلاً في أثناء الجلسة؟".

"بل مرضت بعدها. أحضرنا بعض الشطائر والشراب، وقالت الراحلة الآنسة أروندیل إنها لن تتناول أي شيء لأنها ليست على ما يرام. كان ذلك بداية مرضها. الحمد لله أنها لم تتحمل الكثير من المعاناة".

قالت إيزابيل: "لقد توفيت بعد ذلك بأربعة أيام". ثم أردفت تقول بحماسة: "وحصلنا بالفعل على رسائل منها. تقول إنها سعيدة للغاية، وإن كل شيء جميل وأنها تتمنى أن يكون هناك حب وسلام بين كل من أحبت".

سعل بوارو.

"هذا ـــ إرر ـــ أخشى ألا يكون الأمر كذلك؟".

قالت إيزابيل: "لقد تصرف أقاربها بشكل مهين مع ميني المسكينة". احمر وجهها من شدة الغضب.

وافقتها جوليا الرأي وقالت: "ميني تتمتع بروح ليس لها *مثيل على الأرض*".

"مضى الناس في الكلام عنها بطريقة *قاسية* للغاية ـ أنها *خططت* للحصول على المال الذي تركته لها!"

"متى كانت دهشتها *الكبرى* ـــ".

"لم تصدق *أذنيها* عندما قرأ المحامي الوصية ـــ".

"لقد قالت لي ذلك بنفسها، قالت لي، "عزيزتي جوليا، لقد فوجئت كثيرًا. تركت بعض المال للخدم، وسأترك منزل ليتلجرين وما تبقى من أموالي لفيلهلمينيا لوسون". كانت مندهشة للغاية وكانت تتحدث بصعوبة. وبعدما تمالكت نفسها، سألت عن التركة ـ كانت تظن أنها بضعة آلاف ـ ولكن السيد بيرفيس بعدما همهم، وتلعثم وتحدث عن أمور محيرة مثل الإجمالي، والصافي، قال إنها ستكون خمسة وسبعين ألفًا وثلاثمائة جنيه. فسقطت ميني المسكينة مغشيًا عليها. كما قالت لنا".

كررت الأخت الأخرى كلامها: "لم تكن لديها أية فكرة. لم يخطر على بالها أبدًا حدوث أمر كهذا!".

"هذا ما قالته لكما، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم، كررت هذا الكلام مرات عديدة؛ وهذا هو ما جعل إصرار عائلة أروندیل على اتهامها شيئًا *كريهًا* للغاية ـ كانوا يتعاملون معها بلا مبالاة ويعاملونها بربية شديدة؛ فعلى كُلٍ، نحن في بلد حر ـــ".

تمتم بوارو قائلاً: "يبدو أن الإنجليز يخطئون فهم هذه العبارة".

"أتمنى أن يتمكن *كل إنسان* من ترك أمواله كما يختار بالضبط! أظن أن الآنسة أروندیل تصرفت بحكمة شديدة. واضح أنها لم تكن تثق بأقاربها، وقطعًا كانت لديها أسبابها الخاصة".

مال بوارو ناحية الأمام باهتمام شديد وقال: "أها؟ فعلاً؟".

شجع هذا الاهتمام الزائف إيزابيل على مواصلة كلامها.

"نعم صحيح. فالسيد تشارلز أروندیل ـ ابن أخيها ـ شخص سيئ للغاية. هذا معروف تمامًا! أظن أنه مطلوب للعدالة أيضًا في بعض الدول الخارجية. ليس شخصية محبوبة على الإطلاق. وبالنسبة لأخته، حسنًا في الحقيقة لم *أحدث* شخصيًا معها، ولكنها تبدو فتاة غريبة للغاية. عصرية جدًا، وتكثر من استخدام مساحيق التجميل. منظر فمها يجعلني أشعر بالغثيان. يبدو مثل *الدم*. وأشك أيضًا أنها تتعاطى مخدرات؛ فقد كانت تتصرف على نحو غريب في بعض الأحيان. وهي مخطوبة بالمناسبة لذلك الشاب اللطيف دكتور دونالدسون، ولكنني أشعر أحيانًا بأنه يشمئز منها في بعض الأحيان. طبعًا تصرفاتها جذابة، ولكنني آمل أن يعود لصوابه ويتزوج من فتاة إنجليزية لطيفة مغرمة بالحياة الريفية والذهاب لأماكن مفتوحة".

"وقريبتها الأخرى؟".

"حسنًا، ها قد عدنا من جديد ـ غير جذابة على الإطلاق. ليس لدي شيء أقوله عن السيدة تانيوس ـ فهي سيدة لطيفة للغاية ـ ولكنها غبية جدًا، كما أنها خاتم في إصبع زوجها. أظنه تركي. من المروع أن تتزوج فتاة إنجليزية من

رجل *أجنبي*، على ما أظن، ألا توافقني الرأي؟ فهذا يعكس قدرًا كبيرًا من عدم القدرة على حسن *الاختيار*. طبعًا السيدة تانيوس أم طيبة للغاية، ولكنَّ طفليها غير جذابين أبدًا، مخلوقات صغيرة مسكينة".

"وهذا يجعلك تظنين أن الآنسة لوسون أكثر جدارة منهم بأن تحصل على ثورة الآنسة أروندیل؟".

قالت جوليا بهدوء:

"ميني لوسون سيدة *طيبة* للغاية. روحها ليس لها *مثيل على الأرض*. وهي لم *تفكر* أبدًا في المال. كما أنها لم تكن طماعة أو جشعة *أبدًا*".

"ولكنها لم تفكر أبدًا في رفض قبول التركة؟".

تراجعت إيزابيل قليلاً: "أوه، حسنًا، من الصعب على المرء أن *يفعل* ذلك".

ابتسم بوارو.

"لا، ربما لا...".

أسرعت جوليا تقول: "أتدري يا سيد باروت، إنها تعتبر التركة رمز ثقة ــ ثقة كبيرة توسمتها فيها الآنسة أروندیل، ويجب أن تكون عند حسن ظنها".

وأتبعتها إيزابيل تقول: "وهي مستعدة تمامًا لعمل أي شيء تساعد به السيدة تانيوس وأطفالها الصغار. ولكنها لا *تريده* أن يحصل على هذا المال".

"بل إنها قالت إنها تفكر في ترك جزء من المال لتريزا".

"وأظن أن هذا كرم بالغ منها ـ رغم الطريقة المهينة التي عاملتها بها الفتاة".

"فعلاً يا سيد باروت؛ فميني إنسانة كريمة للغاية. طبعًا أنت أكثر الناس معرفة بها!".

قال بوارو: "نعم، أعرفها. ولكنني ما زلت لا أعرف عنوانها".

"طبعًا! كم أنا غبية! هل أكتبه لك".

"أستطيع أن أكتبه".

أخرج بوارو مفكرته من جيبه.

"١٧ كلارنرويدين مانجونز، لا يبعد كثيرًا عن وايتليز. أبلغها سلامنا وتحياتنا، فماذا فعلت؟ لم نسمع عنها شيئًا مؤخرًا".

نهض بوارو من مكانه ففعلت مثله.

قال لهما: "أشكركما شكرًا جزيلاً، على هذا الحديث الممتع والمشوق، وأيضًا على مساعدتكما لي أنا وصديقي بإعطائي عنوان صديقتي".

قالت إيزابيلا متعجبة: "أتساءل لماذا لم يعطوه لك في المنزل. قطعًا إلين فعلت ذلك! الخدم *يغارون* كثيرًا، كما أن عقولهم ضيقة. كانوا يتعاملون بوقاحة شديدة مع ميني في بعض الأحيان".

صافحته جوليا على طريقة *الهوانم*.

قالت له: "لقد استمتعنا بزيارتك. أتساءل ـ ".

رمقت أختها بنظرة تساؤل.

احمر وجه إيزابيل قليلاً: "لعل بإمكانك ــ" هلا بقيت وشاركتنا وجبة العشاء؟ وجبة بسيطة للغاية ــ بعض الخضراوات المقطعة، والخبز البني والزبد والفاكهة".

قال بوارو بسرعة: "تبدو شهية، ولكن يا إلهي! يجب أن أعود أنا وصديقي إلى لندن".

تصافحنا مرة أخرى وتبادلنا الرسائل التي سننقلها للآنسة لوسون، بعد ذلك خرجنا من الكوخ على الفور.

الثاني عشر

بوارو يناقش القضية

قلت بحماسة شديدة: "حمدًا لله يا بوارو، أنك أخرجتنا من كوخ هاتين السيدتين غير الناضجتين! إنهما سيدتان مروعتان!".

"*أحضر لنا شريحة لحم* ـ مع بطاطس مقلية ـ وزجاجة من عصير طبيعي طازج. ترى ماذا كنا سنشرب هناك؟".

أجبته وأنا أهز كتفي: "حسنًا، أظننا كنا سنشرب الماء. أو شراب تفاح خال من الكحول؛ فهما من هذا النوع! أراهن أنه ليس لديهما حوض استحمام أو أدوات صحية، لا شيء سوى حوض متواضع في الحديقة!".

قال بوارو بتأمل: "من الغريب أن تستمتع سيدتان بعيش حياة غير مريحة. الفقر لا يكون السبب وراء ذلك دومًا، رغم أنهما تحسنان العيش في أحلك الظروف".

سألته، وأنا أخرج من آخر حارة جانبية، إلى الشارع الرئيسي لبلدة ماركيت بيسينج: "بماذا تأمر السائق الآن؟ إلى أين سنذهب الآن؟ أم أننا سنعود إلى فندق جورج ونسأل النادل المصاب بالربو مرة أخرى؟".

"سوف تسعد يا هاستنجز عندما تعرف أننا انتهينا من بلدة ماركيت بيسينج ـــ".

"رائع".

"في الوقت الراهن فحسب. سوف أعود إلى هناك!".

"هل ستستمر في تتبع القاتل الفاشل؟".

"بالضبط".

"هل خرجت بشيء من الكلام الفارغ الذي كنا نسمعه للتو؟".

قال بوارو بالضبط:

"كانت هناك نقاط معينة تستحق الانتباه. بدأت مختلف الشخصيات في الدراما الخاصة بنا تتكشف بوضوح أكبر. ألا تشبه ـ بشكل ما ـ الروايات القصيرة القديمة؟ الجليسة المتواضعة ـ التي كانت تعامل بازدراء من قبل ـ أصبحت غنية وتلعب الآن دور السيدة الكريمة المعطاءة".

"أرى أن تصرفًا كهذا يثير بالضرورة غضب وحنق الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للتركة!".

"كما تقول يا هاستنجز. هذا صحيح للغاية".

قدنا السيارة في صمت لبضع لحظات، حتى خرجنا من بلدة ماركيت بيسينج وعدنا مرة أخرى إلى الطريق الرئيسي. كنت أدندن لنفسي بصوت رقيق لحن أغنية: "أيها الرجل؛ لقد مررت بيوم مزدحم".

سألته بعد فترة صمت: "هل استمتعت بوقتك يا بوارو؟".

قال بوارو ببرود:

"لا أعرف بالضبط ما تعنيه بعبارة "استمتعت بوقتي يا هاستنجز".

قلت له: "حسنًا، أعني عملك خلال عطلتك!".

"ألا تعتقد أنني جاد؟".

"أوه، أنت جاد بالقدر الكافي. ولكن يبدو أن هذا العمل غير عملي. أنت تفعل ذلك لترضي نفسك على المستوى الذهني. أعني أن هذا ليس حقيقيًا".

"*على العكس*، إنه حقيقي للغاية".

"لقد أسأت التعبير عما أعنيه. ما أريد قوله هو أنه إذا كان هناك مجال *لمساعدة* سيدتنا العجوز، أو حمايتها من هجوم آخر ـ حسنًا ستكون هناك بعض المتعة. ولكن في الوضع الذي نحن فيه، لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير أنها ماتت، فلماذا نشغل أنفسنا بها؟".

"في هذه الحالة يا صديقي، لن يحقق المرء في أي قضية قتل أبدًا!".

"لا، لا، لا، هذا أمر آخر، أعني أنه في تلك الحالة ستكون لديك جثة... اللعنة!".

"لا تغضب نفسك يا صديقي. أفهم جيدًا ما تعنيه. أنت تتحدث عن وجود جثة قتيل، وجثة شخص ميت. افترض على سبيل المثال أن الآنسة أروندیل توفيت جراء عنف مفاجئ ومباغت وليس نتيجة مرض استمر معها لفترة، هل ستظل غير مكترث بجهودي لاكتشاف الحقيقة؟".

"بالطبع لا".

"الأمر واحد، لقد حاول شخص ما أن يقتلها؟".

"نعم، ولكنه لم ينجح. هذا هو ما يحدث كل الفارق".

"أليس لديك فضول أبدًا في الرغبة في معرفة من حاول قتلها؟".

"حسنًا، لحد ما".

قال بوارو مفكرًا: "لدينا دائرة محدودة للغاية. ذلك الخيط ـ ".

قاطعتُه قائلًا: "الخيط الذي استنتجت وجوده لوجود مسمار في حافة الحائط! لماذا، لعل هذا المسمار كان موجودًا هناك من سنوات!".

"لا، فالطلاء كان جديدًا".

"حسنًا، ما زلت مقتنعًا أن هناك عدة تفسيرات لهذا الأمر".

"أعطني تفسيرًا واحدًا".

في تلك اللحظة لم أستطع أن أفكر في أي شيء معقول بالقدر الكافي، فاستغل بوارو صمتي لكي يكمل حديثه.

"نعم، الدائرة المشتبه بهم محدودة. ذلك الخيط تم شده أعلى درجات السلم بعد نوم كل من في المنزل. لهذا *ليس أمامنا سوى سكان المنزل*. وهذا يعني أن الجريمة لا تخرج عن سبعة أشخاص؛ دكتور تانيوس، والسيدة تانيوس. وتريزا وتشارلز أروندیل. والآنسة لوسون، وإلين، والطاهية".

"طبعًا ستخرج الخدم من دائرة المشتبه بهم".

"لقد نالوا نصيبًا من التركة يا صديقي، وقد تكون هناك أسباب أخرى ـ ضغينة ـ شجار ـ اختلاف ـ لا يمكن أن نجزم بذلك".

"أجد هذه الأسباب غير مرجحة".

"على غير العادة، أوافقك الرأي في ذلك. ولكن على المرء أن يضع كل الاحتمالات في اعتباره".

"في هذه الحالة، يجب أن تفكر في شخص ثامن، وليس سبعة فقط".

"عمن تتحدث؟".

شعرت بأنني أوشك أن أحرز نقطة لصالحي.

"يجب أن تضع في اعتبارك *الآنسة أروندیل* نفسها. كيف تعرف أنها لم تشد ذلك الخيط عبر السلالم لكي تسقط أحد أفراد المنزل أرضًا؟

هز بوارو كتفيه وقال:

"من *الحماقة* أن تقول ذلك يا صديقي؛ فلو كانت هي من نصب هذا الفخ، لكانت ستتوخى الحذر ولما سقطت من على السلالم. تذكر أنها هي من سقطت من على السلالم".

تابع بوارو كلامه بطريقة تنم عن تفكير عميق:

"تسلسل الأحداث واضح تمامًا ـ السقوط ـ الخطاب المرسل لي ـ زيارة المحامي ـ ولكن هناك نقطة تثير الريبة. هل امتنعت الآنسة أروندیل عن إرسال الخطاب لي عن عمد، أم أنها ترددت في إرساله؟ أم أنها افترضت أنه تم *إرساله* بمجرد كتابتها له؟".

قلت له: "لا يمكننا البت في ذلك. كل ما يمكننا عمله هو أن نخمن. أنا شخصيًا أتصور أنها افترضت أنه تم إرساله. قطعًا تعجبت من عدم تلقيها أي رد..." كانت أفكاري مشغولة في اتجاه آخر.

سألته: "هل تظن أن هذا الهراء الروحي مهم بأي حال؟ أعني، هل تعتقد ـ رغم سخرية الآنسة بيبودي من الاقتراح ـ أن هناك أمرًا صدر في إحدى هذه *الجلسات الروحية*، أنها يجب أن تغير وصيتها وتترك أموالها إلى الآنسة لوسون؟".

هز بوارو رأسه في تشكك.

"هذا الافتراض لا يتناسب مع الانطباع العام الذي كونته عن شخصية الآنسة أروانديل".

قلت وأنا غارق في أفكاري: "تقول الأختان تريب إن الآنسة لوسون فوجئت تمامًا عند قراءة الوصية".

وافقني بوارو الرأي وقال: "هذا ما قالته لهما، صحيح".

"ولكنك لا تصدق ذلك؟".

"*صديقي العزيز*، أنت تعرف طبيعتي الشكاكة! أنا لا أصدق أي شيء يقوله أي شخص حتى يتم تأكيده أو إثباته".

قلت له بحب: "هذا صحيح يا صديقي. طبيعة دقيقة شديدة التشكك".

"هو يقول"، "هي تقول"، "هم يقولون"، أف! ماذا يعني ذلك؟ لا شيء على الإطلاق. قد تكون هذه الأقوال حقيقية تمامًا، وقد تكون محض افتراء. أنا لا آخذ سوى *بالحقائق*".

"وما الحقائق؟".

"أن الآنسة أروانديل سقطت من على السلالم، لا جدال في ذلك. وكانت السقطة غير طبيعية، بل كان مخططًا لها".

"الدليل على ذلك هو أن هيركيول بوارو قال ذلك!".

"هذا غير صحيح. الدليل هو وجود المسمار، وأيضًا خطاب الآنسة أروانديل لي. الدليل أن الكلب كان خارج المنزل في تلك الليلة. الدليل كلمات الآنسة

أروانديل عن الزهرية والصورة الموجودة عليها، وكرة بوب. كل هذه الأمور *حقائق*".

"أتني بالحقيقة التالية من فضلك".

"الحقيقة التالية هي الإجابة عن سؤالنا المعتاد. من المستفيد من وفاة الآنسة أروانديل؟ أجب ـ الآنسة لوسون".

"جليستها الشريرة! على الصعيد الآخر، كان أفراد عائلتها يعتقدون أنهم سيستفيدون من وفاتها. وأنهم سوف يستفيدون من الحادثة".

"بالضبط يا هاستنجز. لهذا السبب هم جميعًا في دائرة الشك. وهناك أيضًا حقيقة صغيرة، وهي أن الآنسة لوسون كلفت نفسها عناء منع الآنسة أروانديل من أن تعرف أن بوب كان خارج المنزل طوال الليل".

"هل ترى هذا الأمر مثيرًا للريبة أيضًا؟".

"أبدًا، ولكنها مجرد ملاحظة. قد يكون خوفًا طبيعيًا أن تقلق سيدتها العجوز. حتى الآن، هذا هو أكثر تفسير محتمل".

نظرت إلى بوارو من الجانب. كان حائرًا للغاية.

قلت له: "لقد أعربت الآنسة بيبودي عن رأيها بأن هناك "خدعة" في الوصية. ما الذي تعنيه بذلك في رأيك؟".

"أظن أنها طريقة خاصة بها في التعبير عن مختلف الأمور غير الواضحة وتساؤلاتها المثيرة للشك".

قلت بتفكير عميق: "يمكننا بذلك استبعاد وجودها تحت تأثير أمر غير مشروع. ومن الواضح أيضًا أن إميلي أروانديل كانت أعقل من أن تصدق سخافات مثل جلسات تحضير الأرواح".

"ما الذي يجعلك تقول إن جلسات تحضير الأرواح سخافات يا هاستنجز؟".

حدقت فيه في دهشة.

"عزيزي بوارو، هاتان السيدتان المروعتان ــ".

ابتسم.

"أوافقك الرأي في تقييمك للأختين تريب. ولكن مجرد حقيقة أن الأختين تريب نباتيتان متحمستان للعلوم الدينية، تؤمنان بحكمة الله والأمور الروحية لا يعني عدم أخذ كلامهما على محمل الجد! فسيدة حمقاء قد تخبرك بالكثير من الهراء عن جعران مزيف أخرجته من حقيبة تاجر وغد، ولكن هذا لا يجعلنا نذكر موضوع علوم الآثار المصرية برمته!".

"هل تؤمن بالجلسات الروحية يا بوارو؟".

"أتعامل بعقل مفتوح مع الموضوع. لم أدرس أي من هذه الجلسات بنفسي ولكنني يجب أن أتقبل أن كثيرًا من رجال العلم والمعرفة أكدوا وجود ظواهر لا يمكن تفسيرها لما نسميه خرافات الأختين تريب؟".

"إذن أنت تؤمن بمسألة ظهور هالة من نور حول رأس الآنسة أروندیل؟".

أشاح بوارو بيده.

"كنت أتحدث في العموم ـ أسخر من توجهك المتشكك دون منطق. بإمكاني أن أقول إنني بعدما كونت رأيًا قاطعًا عن الأختين تريب، فعليَّ أن أدرس بعناية أي حقيقة قدمتاها لي. فالسيدات الحمقاوات يا *صديقي العزيز* حمقاوات، سواء تحدثن عن الجلسات الروحية، أو السياسة أو الاقتصاد أو البوذية".

"ولكنك استمعت لما ذكرتاه بعناية بالغة".

"كانت هذه مهمتي لهذا اليوم، أن أستمع ـ أن أستمع لرأي الجميع في الأشخاص السبعة المتهمين، وطبعًا بالأخص، الأشخاص الخمسة المستفيدين. ونحن بالطبع نعرف حقائق معينة عن هؤلاء الأشخاص. خذ الآنسة لوسون على سبيل المثال، لقد عرفنا من الأختين تريب أنها كانت مخلصة، غير أنانية، لا مثيل لها على الأرض، شخصية جميلة بشكل عام. وعلمنا من الآنسة بيبودي أنها كانت حمقاء، غبية، ليس لها عقل أو أعصاب لتخطط لأي جريمة. وعلمنا من دكتور جرينجر أنها كانت تداس بالأقدام، وأن منصبها كان مؤقتًا وأنها "دجاجة مذعورة، خائفة" على حد ما أتذكر. وتحدث عنها النادل واصفًا إياها بأنها مجرد "شخص"، وعلمنا من إلين أن بوب الكلب يحتقرها! الجميع يراها من زاوية مختلفة ـــ الأمر نفسه ينطبق على البقية، كما أن الجميع اتفق على أن أخلاق تشارلز ليست حميدة، وبالرغم من ذلك، تغيرت طريقتهم في الحديث

عنه. فدكتور جرينجر وصفه بأنه "شيطان صغير غير مهتم بشئون عائلته"، بينما قالت الآنسة بيبودي إنه قد "يقتل جدته للحصول على شلن أو اثنين"، والأمر واضح أنها تحب الشاب الوغد أكثر مما تحب "ذلك العصا". لم تشر الآنسة تريب إلى أنه قد يرتكب جريمة، بل إنه فعل ذلك مرة أو أكثر. هذه المعلومات الغرضية مفيدة ومهمة للغاية؛ فهي تقودنا إلى النقطة التالية".

"وما هي؟".

"أن نكوّن حكمنا الخاص يا صديقي".

الثالث عشر

تريزا أروندِيل

في صباح اليوم التالي اتخذنا الطريق المؤدي إلى العنوان الذي أعطاه لنا دكتور دونالدسون.

اقترحتُ على بوارو أن زيارة السيد بيرفيس المحامي قد تكون فكرة طيبة، ولكن بوارو عارض الفكرة بقوة.

"لا يا صديقي. ماذا سنقول له ـ ما الذي سنتقدم به إليه طلبًا لمعلومات؟".

"عادة ما تكون الأسباب حاضرة لديك يا بوارو! أي كذبة قديمة قد تفي بالغرض، أليس كذلك؟".

"على العكس يا صديقي، "فأي كذبة قديمة" كما قلت *لن* تفي بالغرض. لن تنطلي على محام. يجب أن نكون ـ ما التعبير الذي تستخدمه ـ لا يجب أن نسكب النار على البنزين".

قلت له: "حسنًا، لا تجعلنا نخاطر *بذلك*!".

هكذا ـ وكما قلت ـ بدأنا في رحلتنا وقصدنا شقة تريزا أروندِيل.

كانت الشقة المعنية تقع في مبنى بـ تشلسي مطل على النهر. كانت مفروشة بأحد الأثاث، تحتوي على بدروم لامع وسجاجيد سميكة عليها تصميمات هندسية بديعة.

ظللنا ننتظر بضع لحظات حتى دخلت الغرفة فتاة نظرت إلينا في تساؤل.

كانت تريزا أروندِيل تبدو في الثامنة أو التاسعة والعشرين من العمر. كانت طويلة ونحيفة للغاية، وكانت تبدو أشبه بلوحة مبالغ فيها مرسومة باللونين الأبيض والأسود. كان شعرها أسود كالفحم، تغطي وجهها مساحيق تجميل بكثرة، وكانت شاحبة لدرجة الموت، يعطيك حاجباها المرسومان بشكل غريب إحساسًا بمفارقة ساخرة. وكانت شفتاها منبع اللون الوحيد على وجهها؛ فقد كانتا أشبه بجرح قرمزي اللون في وجهها الأبيض. تعطيك تقاسيم وجهها انطباعًا بأنها ليست بالحياة مرتين على الأقل أكثر من غالبية الناس؛ فقد كانت تصرفاتها غير مكترثة إلى حد ممل، لسبب لا أعرفه بالضبط. وكأنها تتمتع بطاقة وحيوية مكبوتة بفعل سوط لف حول رقبتها.

بنظرة استفسار بارد، انتقلت بناظرها مني إلى بوارو.

بدافع الملل (تمنيت ذلك) من اللجوء للغش والخداع، قدم بوارو لصاحبة المنزل بطاقته الخاصة. كانت تمسكها بين أصابعها، تقلبها بينها.

قالت: "أفترض أنك السيد بوارو؟".

انحنى بوارو بأفضل طريقة ممكنة لديه.

"تحت أمرك يا آنستي. أتسمحين لي بالدخول وأخذ بضع لحظات من وقتك الثمين؟".

أجابته بطريقة تحاكي طريقته:

"مذهل يا سيد بوارو. اجلس من فضلك".

جلس بوارو بحذر شديد على مقعد مربع منخفض. بينما جلست أنا على مقعد مستقيم من الكروم. وجلست تريزا بإهمال على مقعد منخفض لا ظهر له موضوع أمام المدفأة. عرضت علينا سجائر، فرفضنا فأشعلت لنفسها واحدة.

"لعلك تعرفين اسمي يا آنسة؟".

أومأت برأسها.

"صديق من شرطة إسكوتلاند يارد، صحيح؟".

أظن أن بوارو لم يستمتع بهذا الوصف؛ فقال بشيء من الأهمية:

"أنا أشغل نفسي بالجرائم يا آنسة".

قالت تريزا أروندیل بصوت ينم عن السأم: "كم هذا مخيف، مع الأسف أضعت دفتر التوقيعات الخاص بي!".

تابع بوارو كلامه قائلاً: "المسألة التي أعمل عليها الآن هي أنني تلقيت البارحة خطابًا من عمتك".

انفتحت عيناها الطويلتان المسحوبتان بعض الشيء قليلاً. ثم نفثت قدرًا كبيرًا من الدخان.

"من عمتي يا سيد بوارو؟".

"هذا ما قلته يا آنسة".

تمتمت قائلة:

"أنا آسفة أن أفسد حفلتكما بأي طريقة، ولكن لم تعد لدي أية عمات! فكل عماتي توفين والحمد لله. آخرهن توفيت منذ شهرين".

"الآنسة إميلي أروندیل؟".

"نعم، الآنسة إميلي أروندیل. أنت لا تتلقى خطابات من جثث أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

"أحيانًا أفعل يا آنسة".

"كم هذا مخيف!".

بدا شيء جديد في صوتها، نبرة انتباه وحذر مفاجئ.

"وماذا قالت عمتي يا سيد بوارو؟".

"هذا يا آنسة ما لا أستطيع أن أطلعك عليه الآن؛ فهذه ــ". سعل بوارو ثم واصل كلامه ــ "مسألة حساسة".

عَمَّ الصمت المكان للحظة أو اثنتين. دخنت تريزا أروندیل السيجارة ثم قالت:

"الأمر كله يبدو سريًا للغاية. ولكن ما شأني أنا به؟".

"أمل يا آنستي أن توافقي على الإجابة عن بعض الأسئلة".

"أسئلة؟ عن ماذا؟".

"أسئلة عائلية بعض الشيء".

اتسعت عيناها مرة أخرى.

"كلامك يبدو مبهمًا للغاية! أرجو مزيدًا من الدقة".

"طبعًا. هل يمكنك أن تعطيني عنوان أخيك تشارلز الحالي؟".

ضاقت عيناها من جديد، وكأن مستوى طاقتها تراجع بشكل واضح.

"أخشى أنه لا يمكنني أن أفعل؛ فنحن لا نتراسل كثيرًا، أظنه غادر إنجلترا".

"فهمت".

لزم بوارو الصمت للحظة أو اثنتين.

"هل هذا كل ما أردت معرفته؟".

"أوه، لدي أسئلة أخرى. هل أنت راضية عن الطريقة التي وزعت عمتك بها ثروتها؟ السؤال الثاني، منذ متى وأنت مخطوبة للدكتور دونالدسون؟".

"أنت تتنقل في عدة موضوعات، ألا ترى ذلك؟".

"حسنًا؟".

"حسنًا ــ بما أننا لا نعرف بعضنا، فإجابتي عن سؤاليك هي أن هذا ليس من شأنك!"، ثم رددت كلامها باللغة الفرنسية، "*هذا ليس من شأنك يا سيد هيركيول بوارو*".

فحصها بوارو للحظة أو اثنتين عن كثب. ودون أن تبدو عليه أية علامة إعياء، نهض من مكانه.

"إذن الأمر كذلك! حسنًا لعل هذا ليس غريبًا. اسمحي لي يا آنسة بأن أهنئك على لغتك الفرنسية. وأتمنى لك صباحًا جميلاً. هيا يا هاستنجز".

وصلنا إلى الباب عندما تحدثت الفتاة. خطر على بالي مرة أخرى صورة السوط الذي يحيط برقبتها. لم تتحرك من وضعها ولكنها تفوهت بكلمة كانت كضربة سوط.

قالت: "عدا".

أطاعها بوارو بهدوء. جلس من جديد ونظر إليها مستفسرًا.

قالت له: "لنتوقف عن التظاهر بالحماقة؛ فمن الممكن أن تكون مفيدًا بالنسبة لي يا سيد هيركيول بوارو".

"يسعدني ذلك يا آنسة، وكيف ذلك؟".

قالت بهدوء واعتدال شديدين بعدما نفثت دخان السيجارة:

"أخبرني كيف أكسر تلك الوصية".

"بالطبع أي محام ــ".

"نعم، محام، ربما لو كنت أعرف محاميًا مناسبًا. ولكن كل المحامين الذين أعرفهم أشخاص محترمون! وقد قالوا إن الوصية صحيحة من الناحية القانونية وإن أي محاولة للطعن فيها ستكون تكلفة لا طائل منها".

"ولكنك لا تصدقين هذا الكلام".

"أعرف أنه دائمًا ما تكون هناك طريقة لعمل الأشياء، إذا كنت لا تمانع استخدام أساليب تتنافى مع الضمير، وكنت مستعدًا للدفع. حسنًا، *أنا مستعدة لأن أدفع*".

"وأنت واثقة أنني مستعد لأن أستخدم وسائل تتنافى مع الضمير إذا ما دفعت لي؟".

"وجدت ذلك ينطبق على أغلب الناس! ولا أرى سببًا يستثنيك منهم. ولكن الناس يتباهون دومًا في البداية بنزاهتهم واستقامتهم".

"هذا صحيح، هذا جزء من اللعبة، إيه؟ ولكن على فرض أنني كنت مستعدًا لاستخدام وسائل تتنافى مع الضمير، ما الذي تظنين أن بإمكاني أن أفعله؟".

"لست أدري. ولكنك رجل ذكي. الجميع يعرف ذلك. بإمكانك أن تفكر في خطة ما".

"مثل؟".

هزت تريزا أروندیل كتفيها.

"هذا عملك. اسرق الوصية أو ضع وصية مزيفة. اخطف لوسون وهددها بأنك سوف تقول إنها هددت العمة إميلي لكي تفعل ذلك. اصنع وصية أخرى وارها إميلي العجوز وهي على فراش الموت".

"خيالك الخصب يخيفني كثيرًا يا آنسة".

"حسنًا، ما رأيك؟ لقد كنت صريحة بالقدر الكافي. إذا كنت ترفض ذلك، فالباب من هناك".

قال بوارو: "أنا أرفض العرض ــ ولكن ــ".

ضحكت تريزا أروندیل ونظرت إليَّ.

قالت له: "صديقك يبدو مصدومًا. هلا نخرجه ونعطيه الفرصة لكي يلعب في الخارج؟".

التفت بوارو إليَّ وهو غاضب بعض الشيء وقال:

"أرجو أن تتمالك نفسك؛ فطبيعتك جميلة ونزيهة يا هاستنجز. أرجو أن تعذري صديقي يا آنسة؛ فهو نزيه كما رأيت. كما أنه مخلص أيضًا. وولاؤه لي مطلق. على أية حال، دعيني أؤكد هذه النقطة" ـ نظر إليها بصعوبة شديدة ـ "أيًا كان ما نوشك على القيام به، سيكون قانونيًا".

رفعت حاجبيها قليلاً.

قال بوارو مفكرًا: "القانون. فيه ثغرات كثيرة".

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت: "فهمت. حسنًا هذا مفهوم. هل تحب أن نناقش نصيبك من الغنيمة، إذا ما أصبحت هناك غنيمة؟".

"هذا أيضًا مفهوم. شيء من الفتات، هذا كل ما أطلبه؟".

قالت تريزا: "أمرك نافذ".

مال بوارو ناحية الأمام.

"اسمعي الآن يا آنسة، في تسع وتسعين من إجمالي مائة قضية أتخذ في العادة جانب القانون. ولكن في القضية المائة، المسألة تكون مختلفة بعض الشيء. فعلى جانب تكون مربحة للغاية... ولكن يجب تنفيذ الأمر بهدوء شديد،

أتفهمينني ـ بهدوء شديد للغاية: فسمعتي لا يجب أن تتأثر. يجب أن أتوخى الحذر".

أومأت تريزا برأسها.

"ويجب أن أُلمَّ بكل الحقائق الخاصة بالقضية! يجب أن أعرف الحقيقة. تعرفين أنه بمجرد أن يعرف المرء الحقيقة يصبح من السهل أن يعرف الأكاذيب التي عليه استخدامها!".

"كلام معقول جدًا".

"حسنًا، ممتاز. والآن في أي تاريخ كتبت الوصية؟".

"في ٢١ من أبريل".

"والوصية السابقة؟".

"كتبت العمة إميلي وصية سابقة قبل خمس سنوات".

"لصالح ــــ؟".

"بعد ترك جزء من المال لـ إلين وطاهية سابقة، تقسم كل التركة بين ابْنَي أخيها توماس، وابنة أختها أرابيلا".

"هل هناك حجوزات على هذه الأموال؟".

"لا؛ فهي ملك لنا".

"والآن انتبهي جيدًا. هل الجميع يعرفون بنود هذه الوصية؟".

"أوه، نعم أنا وتشارلز نعرفها، وبيلا أيضًا تعرفها. لم تخفها العمة إميلي علينا. في الحقيقة، عندما كان أحدنا يطلب منها قرضًا، كانت تقول له: "سوف تحصل على كل أموالي عندما أموت. اسعد بهذه الحقيقة".

"هل كانت ترفض إقراضكم بعض المال في حالة المرض أو ظهور أي ضرورة ملحة؟".

قالت تريزا ببطء: "لا، لا أظنها كانت تفعل ذلك".

"ولكنها كانت ترى أن كلاً منا لديه ما يكفيه؟".

"نعم، كانت ترى ذلك".

قالت هذه العبارة بمرارة واضحة.

"ولكنك لم تَرَيْ ذلك؟".

انتظرت تريزا لحظة أو اثنتين قبل أن تتحدث. ثم قالت:

"لقد ترك والدي لكل واحد منا ثلاثين ألف جنيه. فوائد هذا المبلغ ـ فوائد آمنة ـ كانت تصل إلى اثني عشر ألفًا في العام. فتقتطع ضرائب الدخل جزءًا من هذا المبلغ، ويتبقى لنا دخل صغير نتدبر به شئوننا على نحو مرضٍ. ولكنني" ـ غيرت صوتها، وانتصبت قامتها، وأرجعت رأسها للخلف، ظهرت كل الحيوية التي استشعرتها فيها بوضوح شديد ـ "ولكنني أردت شيئًا أفضل من ذلك لحياتي! أردت الأفضل! أفضل طعام، أفضل ملابس ـ ملابس فخمة ـ جمالًا ـ وليس مجرد عيشة مناسبة بالطريقة المعتادة. أردت أن أعيش وأستمتع ـ أن أذهب للبحر المتوسط وأسبح في مياه البحر الدافئة ـ أن أجلس حول طاولة وأراهن بمبالغ كبيرة ـ أن أقيم حفلات ـ جامحة، غريبة، فخيمة، أردت كل شيء في هذا العالم المتعفن ـ ولم أرده في يوم ما ـ أردت كل ذلك الآن!".

كان صوتها مثيرًا ودافئًا ومفعمًا بالحيوية على نحو رائع.

كان بوارو يفحصها بانتباه شديد.

"أظنك كنت تستمتعين بهذه الحياة؟".

"نعم يا هيركيول ـ حصلت عليها!".

"وكم تبقى من الثلاثين ألفًا؟".

ضحكت على نحو مفاجئ.

"مائتان وواحد وعشرون جنيهًا، وأربعة عشر بنسا. هذا هو حسابي بالضبط. أعني أنني لن أدفع لك ثمن خدماتك إلا إذا وجدت نتائج ملموسة. بدون نتائج ـ لن تحصل على أتعاب".

قال بوارو بطريقة عملية للغاية: "في هذه الحالة. قطعًا ستكون هناك نتائج".

"أنت رجل صغير رائع يا هيركيول. أنا سعيدة بلقائنا".

تابع بوارو حديثه بطريقة عملية .

"هناك أشياء قليلة من الضروري للغاية أن أعرفها. هل تتعاطين المخدرات؟".

"لا، أبدًا؟".

"كحوليات؟".

"بكثرة، ولكن ليس حبًا فيها. ولكن رفاقي يشربونها فأشربها معهم، ولكن بإمكاني أن أقلع عنها غدًا".

"هذا مرض للغاية".

ضحكت.

"ولكن لا تظن يا هيركيول أن إسرافي في الشراب سيجعلني أكشف لك كل أوراقي".

تابع بوارو كلامه:

"علاقات صداقة؟".

"كثيرة في الماضي".

"والحاضر؟"

"ريكس فقط".

"أتعنين دكتور دونالدسون؟".

"نعم".

"يبدو بشكل ما غريبًا للغاية عن الحياة التي تحدثت عنها".

"نعم، هذا صحيح".

"ومع ذلك تهتمين به. ترى ما السبب؟".

"أوه، ما السبب؟ لماذا أحبت جوليت روميو؟".

"مع كل احترامي لشكسبير، كان أول رجل في حياتها".

قالت تريزا ببطء:

"ريكس لم يكن أول رجل رأيته ـ ليس منذ فترة طويلة". ثم أردفت تقول بصوت منخفض: "ولكنني أعتقد ـــ أشعر ـــ بأنه سيكون آخر رجل أراه".

"وهو رجل فقير يا آنسة".

أومأت برأسها.

"وهو أيضًا يحتاج إلى المال؟".

"بشدة، ولكن لأسباب تختلف عن أسبابي؛ فهو لا يريد الثراء ـ أو الجمال ـ أو المتعة ـ أو أي شيء من هذا القبيل. فهو لا يجد غضاضة في ارتداء بدلة واحدة حتى تتمزق، وأن يتناول قطعة مجمدة من اللحم كل يوم على الغداء بسعادة كبيرة، وأن يغتسل في حوض استحمام مكسور. ولكنه إن حصل على المال سيوجهه كله لشراء أنابيب اختبار ومعمل بكل مستلزماته. إنه طموح. عمله يعني له كل شيء، حتى إنه يجده أهم مني".

"كان يعرف أنك ستحصلين على المال بوفاة الآنسة أروندیل؟".

"أخبرته بذلك. أوه! بعد خطبتنا. إنه لن يتزوجني للحصول على مالي إذا كان هذا ما ترمي إليه".

"هل ما زالت خطبتكما قائمة؟".

"طبعًا".

لم يجب بوارو. بدا صمته كأنه أقلقها.

كررت كلامها بحدة: "طبعًا ما زلنا مرتبطين"، ثم أردفت تقول: "هل رأيته؟".

"رأيته البارحة في ماركيت بيسنج".

"لماذا؟ ماذا قلت له؟".

"لم أقل له أي شيء. سألته فقط عن عنوان أخيك".

تحدثت بصوت حاد من جديد: "تشارلز؟ ماذا تريد منه؟".

"تشارلز؟ من يريد تشارلز؟".

كان صوتًا جديدًا، صوت رجل مبتهج.

دخل شاب برونزي اللون ذو ابتسامة محبوبة الغرفةَ متبخترًا.

سأل: "من يتحدث عني. سمعت اسمي في الردهة، ولكنني لم أكن أسترق السمع؛ فهم حريصون للغاية على عدم استراق السمع في مدرسة بورستال. والآن يا تريزا، ماذا يحدث؟ أخبريني".

الرابع عشر

تشارلز أروندیل

يجب أن أعترف بأنني منذ الوهلة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه، تسلل إلى قلبي إعجاب بتشارلز أروندیل. كان فيه شيء مبهج وسعيد يخلو من أي هم. عيناه تلمعان بطريقة محبوبة ومبهجة، وكان يتمتع بابتسامة لم أرَ مثيلاً لها تجردك من أي سلاح تحمله ضده.

دخل الغرفة وجلس على ذراع أحد الكراسي الضخمة المنجَّدة.

سأل قائلاً: "ما الذي يحدث هنا يا فتاة؟".

"إنه السيد هيركيول بوارو يا تشارلز. إنه مستعد لـ ـــ إرر ـــ عمل بعض الألاعيب القذرة مقابل حصة صغيرة من التركة".

صاح بوارو: "أعترض، ليست ألاعيب ـ دعينا نقل خداعًا بسيطًا لا ضرر منه ولا ضرار ـ وهكذا تنفذ النية الأساسية لصاحبة الوصية؟ دعينا نقل ذلك".

قال تشارلز موافقًا: "قلها بالطريقة التي تحلو لك. أتساءل عما جعل تريزا تفكر فيك؟".

قال بوارو بسرعة: "لم تفعل، جئت إلى هنا بملء إرادتي".

"تعرض خدماتك؟".

"ليس بالضبط. كنت أسأل عنك. وقالت لي أختك إنك سافرت للخارج".

قال تشارلز: "تريزا أختي حريصة للغاية. نادرًا ما ترتكب أي خطأ. في الحقيقة إنها متشككة لأقصى درجة".

ابتسم لأخته في حنو، ولكنها لم تبادله التبسم في وجهه، بل بدت قلقة مستغرقة في التفكير.

قال تشارلز: "طبعًا، يبدو أن الوضع أصبح معكوسًا؟ أليس السيد بوارو معروف بتعقبه المجرمين؟ طبعًا لا يساعدهم ولا يشجعهم على جرائمهم؟".

قالت تريزا بحدة: "نحن لسنا مجرمين".

قال تشارلز بعطف: "ولكننا مستعدان لأن نكون. أنا شخصيًا فكرت في التزوير ـ هذا هو أسلوبي المعتاد. لقد طردت من جامعة أوكسفورد لسوء تفاهم بسيط متعلق بشيك. كان هذا الأمر صبيانيًا للغاية ـ مجرد مسألة إضافة صفر. ثم دخلت في شجار آخر صغير مع العمة إميلي والبنك المحلي. طبعًا كانت حماقة من جانبي. ولكن هذه المشكلات كانت على مبالغ صغيرة ـ فئة الخمسة أو العشرة. ولكن طرح شخص على فراش الموت مخاطرة كبيرة. علينا أن نسيطر على إلين التي تتسم بالتصلب والجمود ـ هل كلمة نغريها بإدلاء شهادة زور هي الكلمة الصحيحة؟ على أية حال، نغريها بأن تقول إنها شهدت ذلك. قد يحتاج ذلك منا إلى بعض الأمور. وأخشى أن أضطر للزواج منها حتى لا تستطيع أن تتقدم بأي دليل ضدي بعد ذلك".

نظر لبوارو وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

قال له: "أنا واثق بأنك زرعت مسجل صوت سريًا وأن قسم شرطة إسكوتلاند يارد يستمع إلينا الآن".

قال بوارو بلمسة توبيخ في صوته: "مشكلتك تهمني. طبيعي ألا أخطط لأي شيء غير قانوني. ولكن هناك طرقًا أخرى من ـــ". توقف عن الكلام على نحو جاد.

هز تشارلز أروندیل كتفيه العريضتين.

قال مصدقًا على كلامه: "ليس لدي أي شك أن هناك طرقًا منحرفة قانونية أيضًا. الجميع يعرفون ذلك".

"من الذي شهد على الوصية ـ أعني الوصية التي كتبت في ٢١ من أبريل؟".

"أحضر بيرفيس كاتبه، وكان الشاهد الثاني هو البستاني".

"إذن وَقَّعت في حضور السيد بيرفيس؟".

"نعم".

"أظن أن السيد بيرفيس له مكانته المرموقة؟".

قال تشارلز: "بيرفيس، بيرفيس، تشارلزورث وبيرفيس مرة أخرى محترم ولا غبار عليه تمامًا مثل بنك إنجلترا".

قالت تريزا: "لم تعجبه كتابة الوصية. بل إنني أظن أنه حاول أن يثني العمة إميلي عن كتابتها".

قال تشارلز بحدة:

"هل أخبرك بذلك يا تريزا؟".

"نعم، ذهبت لرؤيته مرة أخرى بالأمس".

"لا طائل من ذلك يا عزيزتي ـ يجب أن تتذكري ذلك، ولكن هذه الزيارات ستكلفك مزيدًا من النقود".

هزت تريزا كتفيها.

قال بوارو:

"سوف أطلب منك أن تزوديني بمزيد من المعلومات عن الأسابيع الأخيرة في حياة الآنسة أروندیل. الآن، أعرف أنك وأخاك وأيضًا دكتور تانيوس وزوجته مكثتم هناك في عيد الربيع".

"نعم فعلنا".

هل حدث أي شيء مهم خلال تلك العطلة الأسبوعية؟".

"لا أعتقد ذلك".

"لا شيء؟ ولكنني ظننت ـــ".

قاطعها تشارلز قائلاً:

"يا لك من مخلوقة أنانية يا تريزا. لم يحدث شيء مهم بالنسبة لك! أنت غارقة في حلم حب سخيف! دعني أخبرك يا سيد بوارو بأن تريزا لديها رجل أزرق العينين يعيش في ماركيت بيسينج ـ أحد الجراحين المحليين. لهذا السبب لم تعد تدرك كل ما يحيط بها. في الحقيقة، سقطت عمتي الموقرة من أعلى السلالم مغشيًا عليها تقريبًا. أمنية تمنتها. كان من الممكن أن تنقذنا من كل هذا الهراء".

"سقطت من أعلى السلالم؟".

"نعم، تعثرت في كرة الكلب. تركها كائن صغير ذكي أعلى السلالم فتعثرت فيها وسقطت بالليل".

"كان ذلك ـ متى؟".

"دعني أتذكر ـ الثلاثاء ـ عشية ليلة مغادرتنا".

"هل أصيبت عمتك بجروح بالغة؟".

"لسوء الحظ أنها لم تسقط على رأسها. لو فعلت لنزف مخها حتى الموت ـ أو أيًا كان الاسم العلمي لذلك. لا، من الصعب أن نقول إنها تأذت".

قال بوارو بطريقة جافة:

"أمر محبط لكما!".

"إيه؟ أوه، فهمت ما تعنيه، نعم، كما تقول، محبط للغاية. هؤلاء السيدات المسنات أشبه بثمرة جوز لها قشرة صلبة".

"وغادرتم جميعًا المنزل صباح يوم الأربعاء؟".

"هذا صحيح".

"كان ذلك يوم الأربعاء الخامس عشر. متى كانت المرة التالية التي رأيت عمتك فيها؟". "حسنًا، لم تكن العطلة الأسبوعية التالية، بل التي تلتها".

"كان ذلك يوم ـ دعني أر ـ الخامس والعشرين، أليس كذلك؟".

"نعم، أظنه كذلك".

"ومتى توفيت عمتك؟".

"الجمعة التالية".

"هل مرضت عشية يوم الاثنين؟".

"نعم".

"كان ذلك يوم الاثنين الذي غادرتما فيه؟".

"نعم".

"ولم تزوراها خلال مرضها؟".

"لم نعد حتى يوم الجمعة. لم نكن نعرف أن حالتها سيئة للغاية".

"وصلت إلى هناك قبل وفاتها؟".

"لا؛ فقد توفيت قبل وصولنا".

انتقل بوارو بنظره إلى تريزا أروندیل.

"هل صاحبت أخاك في هاتين الزيارتين؟".

"نعم".

"ولم يذكر أي شيء خلال العطلة الأسبوعية الثانية عن كتابة وصية جديدة؟".

قالت تريزا: "لا".

ولكن تشارلز أجاب في الوقت نفسه.

قال: "أوه، نعم، حدث ذلك".

تحدث بحيوية كعادته، ولكن كان هناك شيء مصطنع بعض الشيء في حيويته المعتادة.

قال بوارو: "*وما هو؟*".

صاحت تريزا: "تشارلز!".

بدا تشارلز حريصًا على ألا تلتقي عيناه بعيني أخته.

تحدث إليها دون أن ينظر لها.

"طبعًا تذكرين، أيتها الفتاة؟ قلت لك، إن العمة إميلي صنعت ما يشبه النسخة النهائية منها. جلست هناك وكأنها قاض في محكمة. وألقت خطبة قالت فيها إنها غير راضية عن كل أقاربها؛ أي أنا وتريزا. كما قالت إنها لا تكن أي شيء ابيلا، ولكنها لا تحب زوجها ولا تثق به؛ فقد كان شعار العمة إميلي هو اشتر البريطاني. كانت موقنة أن بيلا إذا ورثت مبلغًا كبيرًا من المال، فسوف يحصل انادوس عليه بشكل أو بآخر. ثم مضت تقول "إنها في أمان أكبر كما هي الآن". ثم قالت إنها لا تأتمنني أنا ولا تريزا على أموالها؛ فكل ما سنفعله بها هو أننا سنقامر بها ونبعثرها. ثم أنهت كلامها بأنها كتبت وصية جديدة وأوصت بالتركة كلها إلى الآنسة لوسون. قالت باللفظ "إنها حمقاء، ولكن روحها مخلصة. وأنا متأكدة أنها مخلصة لي. ليس ذنبها أن قدراتها العقلية محدودة. وجدت من العدل أن أخبركما بذلك، وكما تعرف يا تشارلز من المستحيل بالنسبة لك أن تجمع أموالاً مما تنتظره مني" ـ كانت بشعة، هذا هو ما كنت أحاول أن أفعله".

سألته تريزا بحدة: "لماذا لم تخبرني يا تشارلز؟".

سأل بوارو:

"وماذا قلت يا سيد أروندیل؟".

قال بوارو بخفة: "أنا؟ ضحكت فحسب؛ فليس هناك طائل من الغضب. كما أنها ليست الطريقة المثلى للتصرف. قلت لها: "كما تشائين يا عمتي إميلي. لعلها مجرد زوبعة، ولكن في النهاية، هذا مالك الخاص وبإمكانك أن تفعلي به ما يحلو لك".

"وكيف كانت ردة فعل عمتك على هذا الكلام؟".

"أوه، هدأ الأمر في سلام، وسار بشكل جيد للغاية. قالت "حسنًا أنت تتمتع بروح رياضية يا تشارلز"، وقلت لها علينا أن نرضى بالأوقات الصعبة، مثلما نرضى بالأوقات الرغدة. في الحقيقة، لم أكن أتوقع أن تعطيني ولا حتى عشرة جنيهات. فقالت لي إنني ولد صفيق وصفعتني على وجهي".

"لقد أخفيت مشاعرك بذكاء شديد".

"في الحقيقة، لم أتعامل مع الموقف بجدية شديدة".

"ألم تفعل؟".

"لا. ظننت أنها ما نسميه حركة من جانبها. أرادت أن تخيفنا. كنت واثقًا أنها بعد بضعة أسابيع أو ربما أشهر سوف تمزق هذه الوصية؛ فالعمة إميلي تعرف عائلتها جيدًا. وفي الواقع، كنت مقتنعًا بأنها سوف تفعل ذلك لو لم تقم بهذا الشكل المفاجئ والمحير".

قال بوارو: "أها! هذه الفكرة مثيرة".

التزم الصمت لحظة أو اثنتين ثم تابع قوله:

"هل سمع أي شخص ـ كالآنسة لوسون على سبيل المثال ـ حديثكما؟".

"ربما؛ فنحن لم نكن نتحدث بصوت منخفض للغاية. في الواقع، كان طالما السيدة لوسون يحلق خارج باب الغرفة عندما خرجت منها. أظنها كانت تقوم ببعض أعمال التجسس في رأيي".

رمق بوارو تريزا بنظرة تأمل.

"ولم تعرفي شيئًا عن ذلك؟".

قبل أن تتمكن من الإجابة. تدخل تشارلز في الحديث.

"تريزا يا عزيزتي، أنا واثق أنني أخبرتك بذلك، أو لَمَّحْتُ لك على الأقل؟".

ساد صمت غريب للحظات. كان تشارلز يحدق النظر خلالها إلى أخته، وساد جو من القلق والثبات في نظرته بدت بكل المقاييس متعلقة بهذا الموضوع.

قالت تريزا ببطء:

"إذا كنت قد أخبرتني ـ ولا أعتقد ذلك ـ فمن الممكن أن أنسى، أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

رمقته بعينيها القاتمتين المسحوبتين.

قال بوارو ببطء:

"لا، لا أعتقد أنه من الممكن أن تنسي شيئًا كهذا يا آنسة أرونديل".

ثم التفت بسرعة إلى تشارلز.

"دعني أستوضح منك نقطة واحدة. هل أخبرتك الآنسة أروندیل بأنها على وشك أن تغير وصيتها، أم أنها قالت لك إنها *غيرتها* بالفعل؟".

"أوه، كانت حاسمة تمامًا، حتى إنها أرتني الوصية الجديدة في واقع الأمر".

مال بوارو ناحية الأمام. وعيناه مفتوحتان على وسعهما.

"هذا غاية في الأهمية. تقول إن الآنسة أروندیل أرتك الوصية بالفعل؟".

انطوى تشارلز على نحو مفاجئ وكأنه صبي في المدرسة؛ كان تصرفًا يثير الريبة؛ حيث جعلته جدية بوارو يشعر بأنه غير مرتاح.

قال: "نعم. أرتني إياها؟".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"طبعًا أنا متأكد". نظر تشارلز إلى بوارو في توتر وقال: "لا أرى ما المهم في هذه النقطة لهذه الدرجة".

قامت تريزا بحركة مفاجئة تنم عن الغيظ. نهضت من مكانها ووقفت إلى جوار رف المستوقد. أشعلت سيجارة أخرى بسرعة.

التفت بوارو إليها بسرعة وقال لها على نحو مباغت: "وأنت يا آنسة؟ هل حدثتك عمتك في أي شيء يمثل أهمية بالنسبة لك خلال العطلة الأسبوعية؟".

"لا أعتقد ذلك. كانت ـ لطيفة للغاية. أعني أنها كانت لطيفة كعادتها دومًا. ألقت عليَّ محاضرة صغيرة عن طريقة حياتي وما إلى ذلك، مثلما تفعل دومًا. لعلها بدت عصبية أكثر من المعتاد".

قال بوارو مبتسمًا:

"أظن يا آنسة، أنك كنت تمضين وقتك مع خطيبك؟".

قالت تريزا بحدة:

"لم يكن هناك. كان في الخارج، ذهب لمؤتمر طبي".

"إذن لم تريه منذ إجازة عيد الربيع؟ هل كانت هذه آخر مرة رأيته فيها؟".

"نعم؛ فقد جاء وتناول معنا العشاء عشية يوم مغادرتنا".

"إذن ـ اسمحي لي ـ لم تدخلي معه في أي شجار؟".

"بالطبع لا".

"ظننت أنه كان في الخارج في زيارتك الثانية ــ".

تدخل تشارلز في الحديث:

"أها، ولكنك تعرف أن زيارة العطلة الأسبوعية الثانية كانت غير متعمدة؛ فقد كانت زيارة مفاجئة.

"حقًّا؟".

قالت تريزا بملل: "أوه، دعنا نقل الحقيقة. علمنا أن بيلا وزوجها ذهبا لزيارتها في العطلة الأسبوعية السابقة، وأسرفا في رعاية العمة إميلي جراء الحادث الذي حدث لها. فظننا أنهما بذلك قد يحرزان نقطة لديها ويسبقاننا بخطوة ــ".

قال تشارلز والابتسامة تعلو شفتيه: "ظننا أنه من الأفضل أن نظهر قدرًا من الاهتمام بصحة العمة إميلي أيضًا. ولكن السيدة العجوز كانت في منتهى الذكاء؛ فلم يكن مثل هذا الاهتمام المصطنع ينطلي عليها. كانت تعرف جيدًا كل واحد فينا. لم تكن العمة إميلي مغفلة أبدًا".

ضحكت تريزا على نحو مفاجئ.

"إنها قصة جميلة، أليس كذلك؟ جميعنا يلهث من أجل حفنة من المال".

"هل كان الأمر كذلك بالنسبة لابنة خالتك وزوجها؟"

"أوه، نعم؛ فقد كانت بيلا في حاجة دائمة للمال. كانت الطريقة التي تحاول أن تقلدني فيما أرتدي بثَمَن الثمن مثيرة للشفقة. وكان تانيوس يضارب بأموالها في صفقات خطيرة على ما أظن. كانا يجدان صعوبة بالغة في تلبية احتياجاتهما؛ فلديهما طفلان يرغبان في تعليمهما في إنجلترا".

قال بوارو: "هل يمكنك أن تعطيني عنوانهما؟".

"إنهما يعيشان في فندق دورهام ببلومزبري".

"كيف تبدو، أعني ابنة خالتك؟".

"بيلا؟ حسنًا إنها سيدة كئيبة. أليس كذلك يا تشارلز؟".

"أوه، طبعًا سيدة كئيبة للغاية. مثل حشرة أبو مقص؛ فهي أم مخلصة لأبنائها للغاية، تمامًا مثل حشرة المقص على ما أظن".

"وزوجها".

"تانيوس؟ حسنًا يبدو غريبًا بعض الشيء، ولكنه شخص لطيف حقًّا. ذكي ومسلٍّ ولطيف".

"أتوافقينه الرأي يا آنسة؟"

"حسنًا، يجب أن أعترف بأنني أفضله على بيلا. إنه طبيب ذكي لعين على ما أظن. ولكنني لا أستطيع أن أثق به هو الآخر".

قال تشارلز: "تريزا لا تثق بأي إنسان".

قال ذلك وهو يطوقها بذراعه.

"حتى إنها لا تثق بي".

قالت تريزا بلطف: "أي شخص يثق بك يا حبيبي، هو قطعًا مجنون".

ابتعد الأخوان عن بعضهما ونظرا إلى بوارو.

انحنى بوارو وتحرك ناحية الباب.

"أنا ـ كما تقولون ـ ملتزم بأداء عملي! إنه صعب، ولكن الآنسة محقة؛ فدائمًا ما تكون هناك طريقة. آه، بالمناسبة، هل الآنسة لوسون من ذلك النوع الذي قد يفقد تسلسل أفكاره إذا طلب للشهادة في المحكمة؟".

تبادل تشارلز وتريزا النظرات.

قال تشارلز: "أقول إن أي طفل متنمر حقًّا بإمكانه أن يضغط عليها لتقول إنها ترى اللون الأسود أبيض!".

قال بوارو: "هذا، قد يكون مفيدًا للغاية".

خرج من الغرفة وأنا أتبعه. التقط قبعته من الردهة، وتحرك ناحية الباب الأمامي، وفتحه ثم أغلقه مرة أخرى بسرعة بدفعة قوية، ثم سار على أطراف أصابعه لباب غرفة المعيشة ووضع أذنيه على الباب. أيًّا كانت المدرسة التي تخرَّج بوارو فيها، كان من الواضح أنها لم تكن فيها قواعد بشأن التنصت.

كنت خائفًا للغاية، ولكن لم يكن باليد حيلة. أشرت إليه على عجل ولكنه لم يلتفت إليَّ.

وبعد ذلك، سمعنا صوت تريزا أروندیل واضحًا رنانًا وهي تقول كلمتين:

"أنت أحمق!".

سمعنا وقع أقدام في الممر، فأمسك بوارو ذراعي بسرعة وفتح الباب الأمامي وخرج منه، وأغلقه من خلفه دون أن يصدر أي ضوضاء.

الخامس عشر

الآنسة لوسون

قلت لـ بوارو: "بوارو، هل أنت مضطر للتنصت على الأبواب؟".

"هدئ نفسك يا صديقي. أنا من تنصت! لم يكن أنت من وضع أذنيه على الباب واسترق السمع. على العكس، وقفت متسمرًا في مكانك وكأنك جندي".

"ولكنني سمعت مثلك تمامًا".

"هذا صحيح، كان صوت الآنسة عاليًا".

"لأنها ظنت أننا غادرنا الشقة".

"نعم، مارسنًا قدرًا من الغش في ذلك".

"أنا لا أحب مثل هذه التصرفات".

"توجهك الأخلاقي لا عيب فيه! ولكن دعنا لا نتحدث في ذلك مرة أخرى. هذه الحادثة حدثت في مرات سابقة. سوف تقول لي إن هذا التصرف بعيد عن قواعد اللعبة. وسوف أجيبك بأن القتل ليس لعبة".

"ولكن ليست هناك جريمة قتل هنا".

"لا تكن واثقًا من ذلك".

"لعلها مجرد *نية*. ولكن في النهاية، يبقى القتل *ومحاولة* القتل شيئان مختلفان".

من الناحية الأخلاقية، الأمر واحد تمامًا. ولكنني أعني، هل أنت واثق تمامًا أن ما يشغل انتباهنا هو مجرد *محاولة* قتل؟".

حدقت فيه.

"ولكن الآنسة أروندیل توفيت بطريقة طبيعية تمامًا".

"سأكرر ما قلته ـ *هل أنت واثق من ذلك تمام الثقة*؟".

"الجميع يقول ذلك!".

"الجميع؟ *يا إلهي*!".

قلت له: "قال الطبيب ذلك ـ أعني دكتور جرينجر. من المفترض أن يعرف".

تحدث بوارو بصوت غير راض: "نعم، من المفترض أنه يعرف. ولكن تذكر يا هاستنجز أنه في مرات عديدة عند تشريح الجثث، يتم اكتشاف وجود جريمة رغم توقيع الطبيب بسلامة نية على أن الوفاة كانت طبيعية".

"نعم، ولكن في هذه الحالة، توفيت الآنسة أروندیل من جراء مرض لازمها لفترة طويلة".

"صحيح أن هذا هو الظاهر".

كان صوت بوارو ينم عن عدم الرضا. نظرت إليه باهتمام شديد.

قلت له: "بوارو، سأظل أقول لك هل أنت واثق! هل أنت واثق *أنك* لست متحمسًا للقضية بسبب حماسك لعملك؟ أنت تريدها أن تكون جريمة قتل لذلك تعتقد أنها يجب أن تكون كذلك".

عبس بوارو قليلاً، وأومأ برأسه بتروٍّ.

"من الذكاء أن تقول ذلك يا هاستنجز. إنها نقطة ضعف وضعت يدك عليها. فالقتل هو عملي. أنا أشبه بجراح عظيم متخصص في ـ لنقل ـ التهاب الزائدة أو أية جراحة أخرى أقل شيوعًا. أتاه مريض فتعامل معه من وجهة نظر مجال تخصصه فحسب. هل هناك سبب محتمل للاعتقاد أن هذا الرجل يعاني كذا

وكذا...؟ أنا مثل هذا الرجل. دائمًا ما أقول لنفسي: "هل من الممكن أن تكون هذه جريمة؟"، وكما ترى يا صديقي أنه دائمًا ما يكون هناك احتمال لذلك".

قلت له: "لا يجب أن أقول إن هناك احتمالاً كبيرًا لذلك".

"ولكنها ماتت يا هاستنجز! لا تستطيع أن تنكر هذه الحقيقة. *ماتت*!".

"كانت في صحة سيئة. كما أنها تجاوزت السبعين. الأمر كله يبدو طبيعيًا للغاية بالنسبة لي".

"وهل من الطبيعي بالنسبة لك أيضًا أن تصف تريزا أروندیل أخاها بالأحمق بكل تلك الشدة؟".

"وما علاقة ذلك بما نقوله؟".

"العلاقة وثيقة جدًا! أخبرني، ما رأيك فيما قاله السيد تشارلز أروندیل ـ أن عمته أرته الوصية الجديدة التي صنعتها؟".

نظرت إلى بوارو بحذر شديد.

سألته: "ماذا فهمت من ذلك؟".

لماذا يجب أن يكون بوارو هو من يطرح الأسئلة دومًا ؟

"أجد هذه النقطة مهمة للغاية، مهمة للغاية حقًا. تمامًا مثل ردة فعل الآنسة تريزا أروندیل عليها. فوضع ذراعه عليها كان له دلالة، دلالة قوية".

قلت له بطريقة تكهنية: "مممممم".

"هذا يفتح أمامنا احتمالين منفصلين".

قلت له: "يبدو أنهما لصان متفاهمان. مستعدان لأي شيء. الفتاة تبدو بمظهر رائع. وبالنسبة لتشارلز، فهو وغد جذاب".

كان بوارو يشير لسيارة أجرة. فوقفت إلى جوار الرصيف وأعطى بوارو العنوان إلى السائق.

"١٧ كلانرويدين مانجونز، بيزواتر".

"إذن سنذهب إلى لوسون. وبعد ذلك سنذهب لعائلة تانيوس؟".

"هذا صحيح يا هاستنجز".

سألته عندما انطلق السائق إلى كلانرويدين مانجونز: "ما الدور الذي ستلعبه هناك ـ كاتب السيرة الذاتية للجنرال أروندیل، أم مشتر محتمل لمنزل ليتلجرين، أم شيء أكثر ذكاءً؟".

"سأتقدم بشخصيتي الحقيقية: هيركيول بوارو".

قلت مستهزئًا: "كم هذا محبط!".

ألقى عليَّ بوارو نظرة سريعة ثم أعطى السائق أجرته.

الشقة رقم ١٧ موجودة في الطابق الثاني. فتحت الباب خادمة تبدو مفعمة بالحيوية والنشاط وأدخلتنا غرفة تثير الضحك بعد الغرفة التي غادرناها لتوّنا.

كانت شقة تريزا أروندیل عارية لدرجة الفراغ. ولكن شقة الآنسة لوسون على الصعيد الآخر كانت مزدحمة بالأثاث وكثير من الأشياء المختلفة لدرجة تجعل المرء تمر بصعوبة، خشية أن تسقط شيئًا على الأرض.

انفتح الباب ودخلت الغرفة سيدة بدينة في منتصف العمر. كانت الآنسة لوسون مثلما تخيلتها إلى حد كبير. كان لديها وجه متلهف، تبدو عليه الحماقة، بشعر أشهب غير مرتب، تجثم على أنفها نظارة أنفية مائلة قليلاً. وكانت تتحدث بطريقة متقطعة تتخللها فترات من الصمت.

"صباح الخير ـــ إرر ـــ لا أعتقد ـــ".

"الآنسة فيلهلمينا لوسون؟".

"نعم ـــ نعم ـــ هذا اسمي ...".

"أنا بوارو ـ هيركيول بوارو. ذهبنا بالأمس في زيارة لمنزل ليتلجرين".

"أوه، نعم؟".

انفتح فم الآنسة لوسون بعض الشيء وحاولت تهذيب شعرها غير المرتب دون أن تنجح في ذلك.

تابعت كلامها: "ألن تجلسا. اجلسا هنا، ألن تجلسا؟ أوه عزيزي، أخشى أن تعترض هذه الطاولة طريقكما. المكان مزدحم قليلاً هنا. هذا صعب! هذه الشقق! صغيرة للغاية. ولكنها متمركزة *للغاية*! وأنا أحب التمركز. ألا تحبانه؟".

جلست وهي تلتقط أنفاسها على كرسي يبدو غير مريح من الطراز الفيكتوري، وأطرافها الأنفية لا تزال مائلة، ومالت للأمام منقطعة الأنفاس ونظرت إلى بوارو بتفاؤل.

تابع بوارو كلامه: "ذهبت إلى منزل ليتلجرين بصفتي مشتريًا للمنزل. والذي أريد أن أوضح من البداية أن هذا الأمر سري للغاية ـــ".

التقطت الآنسة لوسون أنفاسها وقالت: "أوه، نعم" بدت متحمسة ومستمتعة.

تابع بوارو كلامه: "هذا الأمر سري للغاية، لقد ذهبت إلى هناك بهدف آخر... لعلك تعرفين أو لا تعرفين أنه قبل وفاة الآنسة أروندیل بفترة قصيرة قابلت لي ـــ".

توقف عن الكلام ثم تابع يقول:

"أنا محقق خاص معروف".

ظهرت تعبيرات مختلفة على ملامح وجه الآنسة لوسون المحمر. لدرجة أنني تساءلت عن التعبير الذي سيختاره بوارو كإجابة على كلامه ـ حذر، انفعال، دهشة، حيرة...

قالت: "أوه". وبعد قليل من الصمت كررتها ثانية: "أوه".

ثم سألت على نحو غير مفاجئ:

"هل كان متعلقًا بالمال؟".

انصدم بوارو بعض الشيء. ثم قال على سبيل التجربة:

"أتعنين المال الذي ـــ؟".

"نعم، المال الذي أخذ من الدرج؟".

قال بوارو بهدوء:

"ألم تخبرك الآنسة أروندیل بأنها كتبت لي تسأل عن هذا المال؟".

"لا، لم تفعل. ليست لدي أدنى فكرة عن ذلك. حقًا، يجب أن أعترف بأنني مندهشة للغاية ـــ".

"ظننت أنها لم تذكر هذا الأمر لأي شخص؟".

"طبعًا لم أظن ذلك. أرأيت، كانت لديها فكرة قوية ـــ".

توقفت عن الكلام مرة أخرى؛ فقال بوارو بسرعة:

"كانت لديها فكرة قوية عمن أخذها. هذا ما كنت ستقولينه، أليس كذلك؟"

أومأت الآنسة لوسون بحماسة وتابعت كلامها بإرهاق:

"ولم أعتقد أنها تريد ـــ حسنًا ـــ أعني أنها كانت ـــ أنها تشعر ـــ".

تدخل بوارو بصورة منظمة مرة أخرى وسط هذا الكلام غير المترابط.

"كانت مسألة عائلية؟".

"بالضبط".

قال بوارو: "ولكنني متخصص في المسائل العائلية. أنا كتوم جدًا جدًا".

أومأت الآنسة لوسون بحماسة:

"أوه! طبعًا ـــ هذا يحدث فارقًا؛ فهذا أبعد ما يكون عن *الشرطة*".

"لا، لا، أنا لست مثل رجال الشرطة؛ فهذا سيفسد الأمر كله".

"أوه، لا. فالآنسة أروندیل العزيزة كانت سيدة *متفاخرة*. طبعًا كانت هناك مشاكل من قبل مع تشارلز، ولكن كان يتم التكتم عليها. أظنه كان مضطرًا للسفر إلى أستراليا ذات مرة!".

قال بوارو: "هكذا إذن. إذن حقيقة القضية كما يلي، وأرجو أن تؤكدي كلامي! كانت الآنسة أروندیل تضع بعض المال في درج ـــ".

توقف عن الكلام. وأسرعت الآنسة لوسون بتأكيد كلامه.

"نعم ـ أحضرتها من البنك. من أجل المرتبات كما تعرف، والكتب".

"وكم المبلغ الذي فقد بالضبط؟".

"أربعمائة جنيه. لا، لا. أنا مخطئة، ثلاثمائة جنيه وعشرون شلن. على المرء أن يتحرى الدقة، أعرف ذلك، خاصة في هذه الأمور". نظرت إليه الآنسة لوسون بشغف، ثم رفعت نظارتها الأنفية فزادت ميلاً. بدت عيناها الجاحظتان تحملقان فيه.

"شكرًا لك يا آنسة لوسون. أرى أنك تتمتعين بحس عملي ممتاز".

رفعت الآنسة لوسون رأسها قليلاً في شموخ وأطلقت ضحكة خفيفة.

تابع بوارو كلامه: "انتاب الشك الآنسة أروندیل ـ قطعًا لسبب ما ـ أن ابن أخيها تشارلز كان مسئولاً عن هذه السرقة".

"نعم".

"رغم عدم وجود دليل محدد يكشف شخصية السارق؟".

"أوه، ولكنه تشارلز بالتأكيد! فالسيدة تانيوس لا تفعل شيئًا كهذا، وزوجها غريب تمامًا لا يعرف أين يتم الاحتفاظ بالمال، كلاهما لا يعرف مكان المال. ولا أعتقد أن تريزا أروندیل يخطر ببالها شيء كهذا. فلديها الكثير من المال، ودائمًا ما ترتدي ملابس فخمة وجميلة".

قال بوارو: "قد يكون أحد الخدم".

بدت الآنسة لوسون مذعورة من الفكرة.

"أو، لا؛ فإليـن وآنـي لا *تفعلان* شيئًا كهذا؛ بل تتمتعان *بأخلاق* عالية جدًا وأمانة *منقطعة النظير*، أنا واثقة من ذلك".

انتظر بوارو لحظة أو اثنتين، ثم قال:

"أتساءل عما إذا كان بإمكانك أن تمديني بأي فكرة ـ وأنا واثق أن هذا بإمكانك ـ عما إذا كان هناك شخص حمل ثقة الآنسة أورندیل مثلك ـــ".

تمتمت الآنسة لوسون بحيرة قائلة:

"أوه، لا أعرف شيئًا عن ذلك، أنا واثقة ـــ" كان الحياء واضحًا عليها.

"أشعر بأن بإمكانك مساعدتي".

"أوه، أنا واثقة، إن أمكنني ـ عمل أي شيء ـــ".

تابع بوارو كلامه:

"هذا سر بيننا ـــ".

كان هناك تعبير جاد مرتسم على وجه الآنسة لوسون. ولكن كان لكلمة بوارو "سر" تأثير السحر عليها، وكأنه قال لها افتح يا سمسم.

"هل لديك أية فكرة عن السبب الذي جعل الآنسة أروندیل تغير وصيتها؟".

"وصيتها؟ أوه ـــ وصيتها؟".

بدت الآنسة لوسون مأخوذة قليلاً.

قال بوارو وهو يراقبها عن كثب:

"صحيح، أليس كذلك، أنها صنعت وصية جديدة قبل وفاتها بفترة قصيرة تركت بموجبها كل أموالها لك؟".

قالت الآنسة لوسون بصرخة اعتراض: "نعم، ولكنني لم أعرف شيئًا عنها لم أعرف أي شيء على الإطلاق! كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لي! مفاجأة رائعة بالطبع! منتهى *الطيبة* من الآنسة أروندیل. كما أنها لم تلمح لي بذلك ولا بأقل تلميح! لقد فوجئت عندما قرأ السيد بيرفيس الوصية، لم أعرف ماذا أفعل أضحك أم أبكي! أؤكد لك يا سيد بوارو مفاجأتي التامة ـ *المفاجأة*، أتفهم ما أعنيه *الطيبة* ـ طيبة الآنسة أروندیل الرائعة. طبعًا كنت أتمنى أن أحصل على شيء منها ربما ميراث صغير للغاية، رغم عدم وجود أي *سبب* يضطرها لترك أي شيء كهذا لي؛ فأنا لم أمكث معها فترة طويلة للغاية. ولكن ذلك ـ كان أشبه بقصص الروايات وحتى الآن، لا أستطيع أن أصدق ذلك، إذا كنت تفهم ما أعنيه. وأحيانًا ـ نعم أحيانًا لا أشعر براحة تامة حيال هذا الأمر. أعني ـــ حسنًا، أعني ـــ".

رفعت نظارتها الأنفية قليلاً، ثم أمسكتها في يدها، وتابعت كلامها بطريقة غير مترابطة أكثر من ذي قبل.

"أحيانًا أشعر بأن ـ حسنًا، اللحم والدم لحم ودم، ولا أشعر براحة كبيرة تجاه حرمان الآنسة أروندیل عائلتها من كل أموالها. أعني، هذا لا يبدو *صحيحًا*. أليس كذلك؟ ليس صحيحًا *أبدًا*. كما أنها ثروة *كبيرة* أيضًا! لم يكن لدى أحد أية فكرة! ولكن ـ حسنًا ـ هذا يجعل المرء لا يشعر بالراحة، وكلام الناس لا ينتهي، كما تعرف ـ وأنا واثقة أنني لم أكن سيدة ذات *طبيعة سيئة* أبدًا! أعني أنني لم أكن لأؤثر على الآنسة أروندیل بأي شكل كان! كما أن هذا ليس بإمكاني أيضًا. لكي أصدقك القول، كنت أخشاها قليلاً! كانت *حادة* للغاية، تميل لأن *تنقض* عليك في كثير من الأحيان. كما كانت وقحة أحيانًا! كانت تفاجئني بقولها: "لا تكوني حمقاء". وكنت أضيق بها في بعض الأحيان بل أغضب أيضًا... ثم أكتشف أنها كانت مغرمة بي طوال الوقت. حسنًا، كان ذلك رائعًا للغاية، أليس كذلك؟ كما قلت، كانت تعاملني في كثير من الأحيان *بقسوة*، وكنت أشعر في بعض الأحيان أعني ـ حسنًا، يبدو ذلك *صعبًا*، أليس كذلك، على بعض الناس؟".

سألها بوارو: "أتعنين أنك تفضلين التنازل عن المال؟".

توهمت للحظة أنني رأيت تعبيرًا مختلفًا بعض الشيء في عيني الآنسة لوسون الزرقاوين الخاملتين. تخيلت ـ للحظة ـ أن سيدة حصيفة، ذكية تجلس أمامي، وليست سيدة لطيفة، حمقاء.

قالت وعلى شفتيها ضحكة خفيفة.

"حسنًا، بالطبع هناك جانب آخر أيضًا... أعني أن لكل أمر جانبين. ما أقوله هو أن الآنسة أروندیل أرادت أن تعطيني المال. أعني أنني إن لم آخذه، فهذا ضد *رغباتها*. وهذا ليس مناسبًا كذلك، أليس كذلك؟".

قال بوارو، وهو يلوح بيديه: "إنه سؤال صعب".

"هذا صحيح حقًا، لهذا يشغلني كثيرًا. السيدة تانيوس ـ بيلا ـ إنها سيدة لطيفة ـ وهؤلاء الأطفال! أعني، أن الآنسة أروندیل العزيزة أرادت أن أستخدم *مالي*. لم ترد أن تترك أي أموال دون شروط إلى بيلا؛ لأنها كانت تخشى أن يضع رجل يده عليها".

"أي رجل؟".

"زوجها. فكما تعرف يا سيد بوارو، أن الفتاة البسيطة تكون *خاتمًا* في إصبع زوجها. وهي تنفذ أي *شيء* يقوله لها. أقول إنها قد *تقتل* أحدًا إذا طلب منها ذلك! أعني أنها تخافه أيضًا. أنا واثقة أنها تخافه. رأيت نظرة *الذعر* في عينيها مرة أو اثنتين. وهذا غير صحيح يا سيد بوارو، لا يمكن أن تقول إن هذا صحيح".

لم يجب بوارو عن سؤالها، بل رد عليها بسؤاله:

"أي نوع من الرجال تجدين دكتور تانيوس؟".

قالت الآنسة لوسون بتردد: "حسنًا، إنه رجل لطيف للغاية".

توقفت في ريبة.

"ولكنك لا تثقين به؟".

"حسنًا، لا، لا أثق به. لا أعرف". تابعت الآنسة لوسون كلامها في ريبة: "لا يمكن أن تثق *بأي* رجل بسهولة! هذا أمر *مروع*! وكل الزوجات *المسكينات* يعانين ذلك! هذا مروع حقًا! بالطبع، يتظاهر دكتور تانيوس بأنه مغرم بزوجته كثيرًا،

كما أنها تجده فاتنًا. طريقته في التصرف *رائعة* حقًا. ولكنني لا أثق بالأجانب. فهم *ماكرون*! وأنا واثقة تمامًا بأن الآنسة أروندیل العزيزة لم تكن تريد أن تصبح أموالها في يد هذا *الرجل*!".

قال بوارو مقترحًا: "من الصعب على الآنسة أروندیل والسيد تشارلز أروندیل أن يُحرما من ميراثهما أيضًا".

ظهر لون ما على وجه الآنسة لوسون.

"أظن أن تريزا لديها ما يكفي من المال لتعيش في مستوى مُرضٍ!" قالت بحدة: "إنها تنفق مئات الجنيهات على ملابسها فقط. وملابسها الداخلية كم هذا بشع! عندما أفكر في كثير من الفتيات اللطيفات اللاتي يتمتعن بتربية حسنة، ويكسبن قوتهن ــ".

أتم بوارو عبارتها بلطف.

" لا تجدين أي غضاضة في أن تكسب قوتها هي الأخرى؟".

نظرت إليه الآنسة لوسون بمهابة.

قالت: "قد *يفيدها* ذلك كثيرًا. قد يعيدها إلى صوابها؛ فالصعوبات تعلمنا الكثير من الأشياء".

أومأ بوارو برأسه ببطء. كان يراقبها جيدًا.

"وتشارلز؟".

قالت الآنسة لوسون بحدة: "تشارلز لا يستحق ولو مليمًا. إذا كانت الآنسة أروندیل حرمته من وصيتها، فهذا لسبب وجيه جدًا ـ بعد تهديداته الشريرة".

ارتفع حاجبا بوارو: "تهديدات؟".

"نعم تهديدات".

"أي تهديدات؟ متى هددها؟".

"دعني أتذكر، كان ذلك ـ نعم بالطبع، كان في عيد الربيع. *يوم الأحد* ـ الأمر الذي زاد الطين بلة!".

"ماذا قال؟".

"طلب منها بعض المال ولكنها رفضت أن تعطيه! فقال لها إنه ليس من الحكمة أن تفعل ذلك. وقال إنها إذا تمسكت بموقفها هذا فإنه ـ ماذا قال بالضبط ـ تعبير أمريكي عامي للغاية ـ أوه نعم، قال إنه سوف يضربها بالنار!".

"هدد بضربها بالنار؟".

"نعم".

"وماذا قالت الآنسة أروندیل؟".

قالت له: "أظنك تعرف يا تشارلز أنني قادرة تمامًا على أن "أعتني بنفسي"".

"كنت في الغرفة في ذلك الوقت؟".

قالت الآنسة لوسون بعد لحظة: "لم أكن في الغرفة بالضبط".

قال بوارو بسرعة: "تمام، تمام". وبماذا رد تشارلز على ذلك؟".

"قال لها: "لا تكوني واثقة من ذلك إلى هذا الحد"".

قال بوارو ببطء:

"هل أخذت الآنسة أروندیل هذا التهديد على محمل الجد؟".

"حسنًا، لست أدري... لم تقل أي شيء عن هذا الأمر... كما أنها لم تكن لتفعل ذلك على أية حال".

قال بوارو بهدوء:

"طبعًا كنت تعرفين أن الآنسة أروندیل تكتب وصية جديدة؟".

"لا، لا، لقد قلت لك إنها كانت مفاجأة كبيرة لي. لم يخطر على بالي ــ".

قاطعها بوارو قائلاً: "لم تعرفي *فحواها*، ولكنك كنت تعرفين هذه *الحقيقة* ـ أن هناك وصية *جديدة* تكتب؟".

"حسنًا شككت في ذلك، أعني عندما أرسلت في طلب المحامي وهي طريحة الفراش ــ".

"بالضبط. كان ذلك بعد سقوطها، أليس كذلك؟".

"نعم، بوب ـ بوب الكلب ـ ترك كرته أعلى السلالم ـ فتعثرت فيها وسقطت".

"حادث مروع".

"أوه طبعًا، كان من السهل أن تنكسر قدمها أو ذراعها. هذا ما قاله الطبيب".

"كان من الممكن أن تقتل بمنتهى السهولة".

"هذا صحيح فعلاً".

بدت إجابتها طبيعية وصريحة.

قال بوارو مبتسمًا:

"أظن أنني رأيت بوب في منزل ليتلجرين".

"أوه، صحيح، توقعت أن تراه. إنه جرو صغير لطيف". لم يزعجني أي شيء في كلامها أكثر من وصف كلب تربر رياضي بأنه جرو صغير لطيف. قلت في نفسي إنه ليس من العجيب أن يحتقر بوب الآنسة لوسون وأن يرفض القيام بأي شيء تخبره به.

واصل بوارو كلامه قائلاً: "كما أنه ذكي للغاية؟".

"أوه، نعم، جدًا".

"لأي درجة سيحزن إذا علم أنه أوشك على قتل سيدته؟".

لم تجب الآنسة لوسون، فقط هزت رأسها وتنهدت.

قال بوارو:

"هل تظنين أن هذه السقطة من الممكن أن تكون قد أثرت على الآنسة أروندیل حتى تعيد كتابة وصيتها؟".

فكرت أننا نقترب على نحو خطير من نقطة تمسها شخصيًا، ولكن الآنسة لوسون بدت كأنها ترى أن السؤال طبيعي للغاية.

قالت: "أتعرف، لن أتعجب إن كان ما تقوله صحيحًا؛ فقد سببت لها صدمة كبيرة ـ أنا واثقة من ذلك. وكبار السن لا يحبون أن يفكروا أن هناك احتمالاً لوفاتهم، ولكنَّ حادثًا كهذا، يجعل المرء يفكر. أو ربما انتابها شعور مسبق بأن الموت ليس ببعيد عنها".

قال بوارو بطريقة عابرة:

"كانت في صحة جيدة بصورة مقبولة، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم، في صحة جيدة للغاية، فعلاً".

"قطعًا جاء مرضها على نحو مفاجئ؟".

"أوه، كانت صدمة كبيرة. كان لدينا بعض الأصدقاء في ذلك المساء ـ".

أوقفت الآنسة لوسون عن الكلام.

"أصدقاء ـ الأختان تريب. لقد التقيت بهاتين السيدتين. إنهما رائعتان".

احمر وجه الآنسة لوسون من السعادة.

"نعم، أليس كذلك؟ إنهما سيدتان *مثقفتان*! لهما فائدة كبيرة! كما أنهما *رومانسيتان* للغاية! لعلهما أخبرتاك بجلستنا؟ أظن أنك تشك في ذلك، ولكن بالفعل، أتمنى لو استطعت أن أخبرك بالمتعة التي لا توصف التي تجنيها من الاتصال بمن قضوا نحبهم!".

"أنا واثق من ذلك. أنا واثق من ذلك".

"أتعرف يا سيد بوارو، لقد تحدثت إلى والدتي ـ أكثر من مرة. فرحة كبيرة أن أعرف أن أعزاءنا لا يزالون يفكرون فينا ويراقبوننا عن كثب".

قال بوارو بلطف: "نعم، نعم، أتفهَّم ذلك. وهل كانت الآنسة أروندیل هي الأخرى تؤمن بذلك؟".

تجهم وجه الآنسة أروندیل من جديد.

قالت بتشكك: "كانت مستعدة لأن تقتنع. ولكنني لا أظن أنها كانت تتعامل مع الأمر دومًا بالعقلية المناسبة. كانت متشككة وغير مؤمنة ـ كما جذب توجهها مرة أو مرتين أكثر الأرواح *غير المرغوبة*! كانت هناك بعض الرسائل البذيئة ـ أعلمها بسبب توجه الآنسة أروندیل؛ أنا *واثقة* من ذلك".

وافقها بوارو الرأي قائلاً: "من المحتمل جدًا أن يكون ذلك بسبب الآنسة أروندیل".

واصلت الآنسة لوسون كلامها قائلة: "ولكن في الليلة الأخيرة، لعل إيزابيل وجوليا أخبرتاك بذلك؟ ـ كانت هناك ظاهرة فريدة من نوعها. بداية تجسد حقيقي. تشكل خارجي ـ أتعرف معنى التشكل الخارجي؟".

"نعم، نعم، أنا أعرف طبيعته".

"ظل يخرج من فم الوسيطة على هيئة شريط حتى ارتفع متخذًا شكلاً. والآن أنا مقتنعة يا سيد بوارو، أن الآنسة أورنديل كانت وسيطة روحية دون حتى أن تعرف ذلك عن نفسها. في ذلك المساء، رأيت شريطًا منيرًا يخرج من فم الآنسة أورنديل العزيزة! ثم أصبح رأسها محاطًا بضباب منير".

"هذا مثير للغاية!".

"ولسوء الحظ أن الآنسة أورنديل مرضت بشدة بعد ذلك على نحو مفاجئ واضطررنا لقطع *الجلسة*".

"أرسلتم في طلب الطبيب ـ متى؟".

"كان ذلك أول ما فعلناه في صباح اليوم التالي".

"هل رأى أن الوضع خطير؟".

"حسنًا، أرسل ممرضة من المستشفى في مساء ذلك اليوم، ولكنني أظن أنه كان يأمل أن تتغلب على مرضها".

"والأقارب ـ اسمحي لي ـ لم يتم طلب حضورهم؟".

احمر وجه الآنسة لوسون.

"تم إخبارهم بذلك في أقرب وقت ممكن ـ تحديدًا عندما أعلن دكتور جرينجر أنها في وضع خطير".

"وماذا كان سبب النوبة؟ شيء تناولته؟".

"لا، لا أظن أنه كان هناك سبب محدد. قال دكتور جرينجر إنها لم تكن منتبهة لنظامها الغذائي بالقدر الكافي. أظن أنه كان يعتقد أن النوبة جاءت نتيجة لبرودة الجو. كان الجو متقلبًا للغاية".

"زاركما تشارلز وتريزا في عطلة ذلك الأسبوع، أليس كذلك؟".

عضت الآنسة لوسون على شفتيها.

"نعم".

قال بوارو وهو يراقبها: "لم تؤتِ الزيارة ثمارها".

قالت بحقد شديد: "لا لم تفعل؛ فقد عرفت الآنسة أورنديل سبب زيارتهما!".

سأل بوارو وهو يراقبها: "وما هو؟".

قالت الآنسة لوسون بسرعة: "المال! ولم يحصلا عليه".

قال بوارو: "لا؟".

تابعت الآنسة لوسون كلامها وقالت: "وأظن أن هذا هو ما كان يسعى إليه دكتور تانيوس أيضًا".

"دكتور تانيوس. لم يأتِ في عطلة ذلك الأسبوع، أليس كذلك؟".

"بلى، جاء يوم الأحد. ومكث ساعة واحدة".

جازف بوارو بقوله: "يبدو أن الجميع كان يسعى وراء أموال الآنسة أورنديل المسكينة".

"أعرف أنه ليس من اللطيف التفكير في ذلك، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لا فعلاً. قطعًا كانت صدمة لتشارلز وتريزا أورنديل في عطلة ذلك الأسبوع عندما علما أن الآنسة أورنديل حرمتهما من ميراثهما!".

حدقت الآنسة لوسون إليه.

قال بوارو: "أليس هذا صحيحًا؟ ألم تخبرهما تحديدًا بهذه الحقيقة؟".

"لا أستطيع أن أجزم بذلك. لم أسمع أي شيء عن هذا الأمر. لم يكن هناك أي شجار، أو شيء من هذا القبيل على حد علمي؛ فقد خرج تشارلز وتريزا والبهجة تبدو عليهما للغاية".

"آها! لعل من أخبرني لم يطلعني على الحقيقة. لقد احتفظت الآنسة أورنديل بالوصية في المنزل، أليس كذلك؟".

أسقطت الآنسة لوسون نظارتها الأنفية وانحنت لكي تلتقطها.

"لا أعرف ذلك. لا، أظنها كانت مع السيد بيرفيس".

"من الوصيُّ عليها؟".

"السيد بيرفيس".

"بعد الوفاة، هل جاء إلى المنزل وألقى نظرة على أوراقها؟".

"نعم، فعل ذلك".

نظر إليها بوارو باهتمام وسألها سؤالاً غير متوقع.

"هل تحبين السيد بيرفيس؟".

ارتبكت الآنسة لوسون قليلاً.

"أحب السيد بيرفيس؟ حسنًا، هذا أمر من الصعب الفصل فيه، أليس كذلك؟ أعني، أنا واثقة بأنه رجل غاية في *الذكاء* ـ أعني أنه محام ذكي. ولكن تصرفاته فظة للغاية! أعني أنها ليست لطيفة على الدوام، أن يحدثك شخص ما وكأنه حسنًا، لا أستطيع أن أشرح ما أعنيه ـ كان متحضرًا للغاية، ولكنه كان في الوقت نفسه، *وقحًا* للغاية إذا كنت تفهم ما أعنيه".

قال بوارو بتعاطف: "موقف صعب بالنسبة لك".

"نعم صعب فعلاً".

تنهدت الآنسة لوسون وهزت رأسها.

وقف بوارو على قدميه.

"شكرًا جزيلاً لك يا آنسة، على لطفك ومساعدتك".

نهضت الآنسة لوسون هي الأخرى، بدت تشعر بشيء من الخجل.

"أنا متأكدة أنه ليس هناك ما تشكرني عليه ـ ليس هناك أي شيء على الإطلاق! أنا سعيدة للغاية أنني استطعت إفادتك بأي شيء ـ لو كان باستطاعتي عمل أي شيء آخر ـــ".

عاد بوارو من الباب وقال وهو يتحدث بصوت منخفض.

"أظن يا آنسة لوسون أن هناك شيئًا ينبغي أن تعرفيه. تشارلز وتريزا أروندیل ينويان الطعن في الوصية".

احمرت وجنتا الآنسة لوسون بشدة.

قالت بحدة: "لا يمكنهما عمل ذلك، هذا ما قاله لي المحامي الخاص بي".

قال بوارو: "أها، لقد استشرت محاميًا إذن؟".

"طبعًا. ولماذا لا أفعل؟".

"ليس هناك سبب يمنعك من ذلك على الإطلاق. تصرف حكيم للغاية. أتمنى لك يومًا طيبًا يا آنسة".

عندما خرجنا من كلارنويدين مانجونز إلى الشارع أخذ بوارو نفسًا عميقًا وقال:

"هاستنجز يا صديقي، هذه السيدة إما أنها تظهر طبيعتها بالضبط، أو أنها ممثلة بارعة للغاية".

قلت له: "إنها تعتقد أن وفاة الآنسة أروندیل كانت طبيعية تمامًا، هذا واضح هذا".

لم يجب بوارو. كانت تمر عليه لحظات يفضل فيها أن يتظاهر بالصمم. أشار لسيارة أجرة.

قال للسائق: "فندق دورهام ببلومزبيري".

السادس عشر

السيدة تانيوس

"هناك رجلان يرغبان في مقابلتك يا سيدتي".

التفتت السيدة التي كانت جالسة إلى إحدى الطاولات في غرفة الكتابة بفندق دورهام، ثم وقفت واقتربت منا في ريبة.

لعل السيدة تانيوس كانت في الثلاثينات من عمرها. كانت سيدة طويلة ونحيفة، ذات شعر قاتم، وعينين "جاحظتين" بعض الشيء كحبتي عنب، ووجه قلق. كانت تضع قبعة عصرية على رأسها بزاوية غير عصرية على الإطلاق، وكانت ترتدي ثوبًا قطنيًّا شكله كئيب بعض الشيء.

قالت بتردد: "لا أظن ــ".

انحنى بوارو.

"جئت لتوي من عند ابنة خالك الآنسة تريزا أروندیل".

"أوه! من عند تريزا! نعم؟".

"هل يمكنني أن أتحدث معك بضع لحظات على انفراد؟".

نظرت السيدة تانيوس إليه بطريقة فارغة بعض الشيء، فاقترح بوارو أن يجلسا على أريكة مصنوعة من الجلد في أقصى الغرفة.

وبينما كنا في طريقنا إلى هناك صدر صوت عال:

"أمي، إلى أين أنت ذاهبة؟".

"سأجلس هناك فقط. واصلي كتابتك يا حبيبتي".

كانت فتاة نحيفة تبدو شاحبة في السابعة تقريبًا من العمر، جلست مرة أخرى تتابع مهمة تبدو شاقة عليها. يخرج لسانها من بين شفتيها المتباعدتين في محاولة للقراءة.

كان الركن البعيد في الغرفة خاليًا تمامًا، فجلست السيدة تانيوس، ثم جلسنا نحن. نظرت بعين متسائلة إلى بوارو.

بدأ بقوله:

"الأمر متعلق بوفاة خالتك، الآنسة إميلي أروندیل".

هل خدعتني عيناي، أم أن نظرة ذعر ظهرت في هاتين العينين الشاحبتين الجاحظتين على نحو مفاجئ.

"نعم؟".

قال بوارو: "غيرت الآنسة أروندیل وصيتها قبل وفاتها بفترة قصيرة للغاية. وتركت كل شيء في الوصية الجديدة إلى الآنسة فيلهلمينا لوسون. ما أريد أن أعرفه يا سيدة تانيوس هو ما إذا كنت ستنضمين إلى ابن خالك تشارلز وأخته تريزا أروندیل في محاولة الطعن على الوصية؟".

أخذت السيدة تانيوس نفسًا عميقًا: "أوه! ولكنني لا أظن أن هذا ممكن، أليس كذلك؟ أعني أن زوجي استشار محاميًا وأنه يرى أنه من الأفضل ألا نفعل ذلك".

"المحامون يا سيدتي أشخاص حذرون. عادة ما ينصحون بتجنب النزاع بأي ثمن ـ ومما لا شك فيه أنهم عادة ما يكونون على حق. ولكنَّ هناك أوقاتًا يكون من المفيد خوض المخاطرة. أنا لست محاميًا؛ لهذا فإنني أنظر للأمر بطريقة مختلفة. الآنسة أروندیل ـ أعني الآنسة تريزا أروندیل ـ مستعدة لأن تخوض المعركة. فماذا عنك؟".

"أنا ـ أوه! لست أعرف حقًا". أخذت تلوي أصابعها على نحو يعكس التوتر.

"يجب أن أستشير زوجي".

"طبعًا عليك أن تستشيري زوجك قبل اتخاذ أي إجراء محدد. ولكن ما رأيك *أنت* في هذا الأمر؟".

بدت السيدة تانيوس قلقة أكثر من ذي قبل: "حسنًا، حقيقة لا أعرف. الأمر يتوقف إلى حد كبير على رأي زوجي".

"ولكن، *أنت*، ما رأيك أنت يا سيدتي؟".

عبست السيدة تانيوس ثم قالت ببطء:

"لا أظن أن الفكرة تروقني كثيرًا. تبدو ـ تبدو ـ غير لائقة، أليس كذلك؟".

"هل هي كذلك؟".

"نعم، ففي النهاية، اختارت خالتي إميلي أن تحرم عائلتها من أموالها، وأرى أننا يجب أن نحترم رغبتها".

"إذن أنت لست مستاءة من هذا الأمر؟".

احمرت وجنتاها على الفور: "أوه، بالطبع مستاءة. فأنا أظن أن هذا ليس عدلاً على الإطلاق! ليس عدلاً أبدًا. كما أنه غير متوقع؛ فالأمر بعيد كل البعد عن طريقة تصرف خالتي إميلي. كما أنه غير منصف أبدًا في حق طفليَّ".

"أتظنين أنه تصرف بعيد كل البعد عن طريقة تصرف الآنسة إميلي أروندیل؟".

"أظن أنه تصرف غريب من جانبها!".

"إذن، أليس من الممكن أن يكون هذا التصرف ليس وليد إرادتها الحرة؟ ألا تظنين أنه من المحتمل أن تكون وقعت تحت تأثير غير مشروع؟".

عبست السيدة تانيوس مرة أخرى، ثم قالت تقريبًا على مضض:

"الصعب في الأمر هو أنني لا أعرف عن خالتي إميلي أنها قد تقع تحت تأثير أي شخص! كانت سيدة عجوزًا تتمتع بإرادة قوية".

أومأ بوارو برأسه مؤيدًا كلامها.

"نعم، ما تقولينه صحيح. والآنسة لوسون من الصعب أن نصفها بأنها شخصية قوية".

"لا، إنها إنسانة طيبة حقًا ـ قد تكون حمقاء بعض الشيء ـ ولكنها طيبة للغاية، طيبة جدًا. وهذا جزء مما يجعلني أشعر ـــ".

توقفت عن الكلام للحظة، فقال لها بوارو: "نعم يا سيدتي؟".

عادت السيدة تانيوس تلوي أصابعها مرة أخرى بطريقة تنم عن قلق شديد وهي تجيبه:

"حسنًا، من الخسة أن نحاول الطعن في الوصية والتشكيك فيها. أنا واثقة أن هذا التصرف ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالآنسة لوسون ـ أنا واثقة أنها غير قادرة أبدًا على التخطيط والتدبير ـــ".

"أتفق معك تمامًا يا سيدتي".

"ولهذا السبب أشعر بأن اللجوء للقضاء سيكون ـ حسنًا، تصرفًا غير ملائم وحاقدًا، كما أنه سيكلفنا مبالغ طائلة، أليس كذلك؟".

"سيكون مكلفًا بالفعل، هذا صحيح".

"وأغلب الظن أنه لن يكون ذا فائدة. ولكنك يجب أن تحدّث زوجي في هذا الأمر؛ فهو يتمتع بعقلية عملية أفضل مني بكثير".

انتظر بوارو لحظة أو اثنتين ثم قال:

"في رأيك، ما السبب الذي دفعها لكتابة هذه الوصية الجديدة؟".

احمرت وجنتا السيدة تانيوس بسرعة وتمتمت تقول:

"ليست لدي أدنى فكرة".

سيدتي، قلت لك إنني لست محاميًا. ولكنك لم تسأليني عن مهنتي".

نظرت إليه في تساؤل.

"أنا محقق. وقبل وقت قصير من وفاتها، أرسلت لي الآنسة أروندیل خطابًا".

مالت السيدة تانيوس للأمام، وهي تضغط على يديها معًا.

سألته على الفور: "خطاب؟ عن زوجي؟".

راقبها بوارو للحظة أو اثنتين ثم قال لها ببطء:

"أخشى ألا أستطيع أن أجيبك عن هذا السؤال".

قالت بصوت أعلى قليلاً: "إذن هو عن زوجي. ماذا قالت؟ أؤكد لك يا سيد إر" ـــ أنا لا أعرف اسمك".

"اسمي بوارو ـ هيركيول بوارو".

"أؤكد لك يا سيد بوارو، أنه إذا ذكر أي شيء في هذا الخطاب عن زوجي فهذا كذب وافتراء! كما أنني أعرف أيضًا من الذي شجعها على كتابة الخطاب! وهذا سبب آخر يجعلني أفضّل ألا أتخذ *أي إجراء* تختاره تريزا وتشارلز! فـ تريزا لم تحب زوجي يومًا. قالت أشياء! أعرف أنها قالت أشياء! كانت خالتي إميلي تتحامل على زوجي لأنه ليس إنجليزيًّا، ولهذا لعلها صدقت ما قالته تريزا عنه. ولكن هذا الكلام غير صحيح يا سيد بوارو، صدقني!".

"أمي، لقد انتهيت من كتابة خطابي".

التفتت السيدة تانيوس بسرعة، وأخذت الخطاب من الفتاة الصغيرة وهي تبتسم في وجهها ابتسامة حنونًا.

"هذا لطيف للغاية يا عزيزتي حقًّا. ورسمة ميكي ماوس جميلة جدًّا".

"ماذا سأفعل الآن يا أمي؟".

"هل تريدين أن تحصلي على بطاقة لطيفة عليها صورة؟ إليك المال، اذهبي إلى الرجل الموجود في الردهة واختاري إحدى البطاقات، وعندئذ ستتمكنين من إرسالها إلى سليم".

ابتعدت الطفلة عنا. تذكرت ما قاله تشارلز أروندیل عن السيدة تانيوس، وأنها زوجة وأم مخلصة. كما قال أيضًا إنها أشبه بحشرة أبو المقص.

"هل هي ابنتك الوحيدة يا سيدتي؟".

"لا، فلدي ابن صغير أيضًا. ولكنه خرج مع والده في الوقت الراهن".

"لم تصطحباهما لمنزل ليتلجرين في زياراتك إلى هناك؟".

"أوه، نعم، أحيانًا، ولكن كما تعلم، كانت خالتي سيدة عجوزًا وكان الأطفال يميلون لإزعاجها. ولكنها كانت عطوفة للغاية، وكانت دائمًا ما ترسل لهم هدايا لطيفة في احتفالات رأس السنة".

"دعيني أر، متى كانت آخر مرة رأيت فيها الآنسة إميلي أروندیل؟".

"أظن أنها كانت قبل وفاتها بعشرة أيام".

"ذهبت أنت وزوجك وابنا خالك إلى هناك معًا، أليس كذلك؟".

"أوه، لا، كان في العطلة الأسبوعية السابقة، في عيد الربيع".

"وذهبت أنت وزوجك في العطلة الأسبوعية التي تلت عيد الربيع أيضًا؟".

"نعم".

"وكانت الآنسة أروندیل في صحة جيدة في ذلك الوقت؟".

"نعم، بدت كعادتها تمامًا".

"لم تكن مريضة، طريحة الفراش؟".

"لزمت الفراش بعد سقوطها من على السلالم، ولكنها نزلت السلالم من جديد عندما كنا هناك".

"هل ذكرت لكما أي شيء عن كتابة وصية جديدة؟".

"لم تذكر أي شيء على الإطلاق".

"ولم تتغير طريقة معاملتها معكما؟".

سادت فترة أطول من الصمت هذه المرة قبل أن تجيب السيدة تانيوس قائلة:

"نعم".

كنت واثقًا بأن الشعور الذي انتابني راود بوارو في الوقت نفسه.

كانت السيدة تانيوس تكذب!

سكت بوارو لحظة ثم قال:

"لعله ينبغي لي أن أوضح أنني عندما سألتك عما إذا كانت طريقة معاملتها لكما كما هي، لم أكن أسأل عن معاملتها لكليكما. بل كنت أتحدث عنك *شخصيًا*".

أجابت السيدة تانيوس بسرعة:

"أوه! فهمت، كانت خالتي إميلي تعاملني بلطف شديد. أعطتني جوهرة صغيرة ودبوس زينة من الماس، كما أرسلت عشرة شلنات لكل واحد من طفليَّ".

لم يعد هناك تصنع في طريقتها الآن. خرجت الكلمات من فمها بحرية وبسرعة.

THE GHOST

"وفيما يتعلق بزوجك، لم تغير طريقة تعاملها معه؟".

عاد التصنع مرة أخرى. لم تنظر السيدة تانيوس في عيني بوارو عندما أجابته:

"لا، بالطبع لا ـ ولماذا تغير معاملتها له؟".

"ولكنك اقترحت أن ابنة خالك تريزا أروندیل ربما حاولت أن تسمم عقل خالتك من ناحية ـــ".

"فعلت ذلك! أنا واثقة أنها فعلت". مالت السيدة تانيوس للأمام بحماسة. "أنت محق تمامًا. كان هناك تغيير! فقد ابتعدت خالتي إميلي عنه على نحو مفاجئ. كما أنها تصرفت معه بشكل غريب للغاية. كان هناك خليط خاص بالهضم أوصاها بتناوله ـ بل إنه كلف نفسه عناء إحضاره لها ـ وذهب إلى الطبيب وصنعه لها. شكرته على ذلك ـ ولكن ببرود، ورأيتها بعد ذلك تسكب الزجاجة في الحوض!".

كانت تتحدث بغضب شديد للغاية.

رمش بوارو بعينيه.

قال لها: "تصرف غريب للغاية"، كان يتعمد أن يبدو صوته عاديًا.

قالت زوجة دكتور تانيوس بحرارة: "وجدت هذا التصرف لا ينم عن أي *امتنان*".

قال بوارو: "كما قلت؛ فالسيدات المسنات لا يثقن في الأجانب أحيانًا. أنا واثق بأنهن يروين أن الأطباء الإنجليز هم الأطباء الوحيدون في العالم. التوقع هو السبب في ذلك".

بدت السيدة تانيوس وكأنها هدأت قليلاً: "نعم، أظن ذلك".

"متى ستعودين إلى سميرنا يا سيدتي؟".

"خلال أسابيع قليلة. ها قد أتى زوجي ومعه إدوارد".

السابع عشر

دكتور تانيوس

يجب أن أقول إن رؤيتي الأولى للدكتور تانيوس سببت لي صدمة كبيرة؛ فقد تخيلته في عقلي بكل السمات الشريرة؛ فرسمت له صورة في مخيلتي كشخص أجنبي ذي بشرة داكنة وطلة تنذر بشؤم.

ولكنني بدلاً من ذلك، وجدت رجلاً بدينًا ظريفًا، ذا شعر وعينين بنيتين. كانت له لحية بنية صغيرة جعلته أشبه بالفنانين.

تحدث الإنجليزية بطلاقة. وكان لصوته نبرة مبهجة تناسب وجهه جميل المحيا.

قال وهو يبتسم لزوجته: "ها قد وصلنا. لقد سعد إدوارد كثيرًا بجولته الأولى في قطار الأنفاق. كان معتادًا ركوب الحافلات قبل هذا اليوم".

كان إدوار يشبه والده في المظهر، وكان هو وأخته الصغيرة يتمتعان بمظهر أجنبي واضح عليهما، ففهمت على الفور ما عنته الآنسة بيبودي عندما وصفتهما بأنهما طفلان شاحبا اللون.

أصبحت السيدة تانيوس متوترة بسبب تواجد زوجها. وبشيء من التلعثم قدمت بوارو له، وتجاهلت أن تقدمني له.

تعامل دكتور تانيوس مع الاسم بحدة.

"بوارو؟ السيد هيركيول بوارو؟ ولكنني أعرف هذا الاسم جيدًا! ما الذي أتى بك إلى هنا يا سيد بوارو؟".

أجابه بوارو قائلاً: "إنه لمسألة متعلقة بسيدة توفيت مؤخرًا: الآنسة إميلي أروندیل".

"خالة زوجتي؟ نعم ـ ماذا عنها؟".

قال بوارو بتروٍّ:

"ظهرت بعض الأمور وثيقة الصلة بوفاتها ـــ".

تدخلت السدة تانيوس في الحديث على نحو مفاجئ.

"إنها عن الوصية يا جاكوب. لقد تحدث السيد بوارو مع تريزا وتشارلز".

بدا شيء من التوتر في توجه دكتور تانيوس. فسقط على كرسي.

"آه، الوصية! وصية ظالمة ـ ولكن في النهاية هذا ليس شأننا على ما أظن".

لخص بوارو حديثه مع الأخوين أروندیل (من الصعب وصفه بأنه حقيقي على ما أظن) ولَمَّحَ بحذر لفرصة الطعن في الوصية.

"لقد أثرت اهتمامي كثيرًا يا سيد بوارو. أوافقك الرأي في ذلك. بإمكاننا أن نفعل شيئًا. لقد استشرت محاميًا في هذا الشأن، ولكنه لم يشجعني على ذلك كثيرًا. لذلك ـــ" هز كتفيه.

"كما قلت لزوجتك: المحامون أشخاص حذرون. لا يحبون اغتنام الفرص، ولكن بالنسبة لي الأمر مختلف! فماذا عنك؟".

ضحك دكتور تانيوس ضحكة ثرية غير مكترثة.

"أوه، سوف أغتنم أية فرصة على الفور! كثيرًا ما أفعل، أليس كذلك يا بيلا؟". كان يبتسم في وجهها، فبادلته التبسم في وجهه، ولكن بطريقة ميكانيكية بعض الشيء، كما رأيت.

ركز انتباهه من جديد على بوارو.

قال له: "أنا لست محاميًا. ولكن في رأيي، من الواضح تمامًا أن الوصية كتبت والسيدة العجوز غير مسئولة عما تفعله، وتلك المرأة المدعوة لوسون ذكية وماكرة للغاية".

تحركت السيدة تانيوس بطريقة تنم عن عدم الراحة. نظر إليها بوارو بسرعة وقال:

"ألا توافقينه الرأي يا سيدتي؟".

قالت بشيء من الضعف:

"لطالما كانت طيبة للغاية، كما أنني لا أستطيع أن أصفها بالذكاء".

قال دكتور تانيوس: "لقد كانت طيبة معك لأنه ليس لديها ما تخشاه منك يا عزيزتي بيلا. أنت تنخدعين بسهولة!".

تحدث بطريقة ودودة، ولكن زوجته احمر وجهها.

تابع كلامه قائلاً: "بالنسبة لي الأمر مختلف. إنها لم تحبني. ولم تتحرج يومًا من إظهار هذا الأمر! سأذكر لك حادثة. لقد سقطت السيدة العجوز من على السلالم عندما كنا هناك. فحرصت على الذهاب إليها في العطلة الأسبوعية التالية لكي أطمئن عليها. ولكن الآنسة لوسون فعلت أقصى ما لديها لتمنعنا من ذلك. ولكنها لم تنجح، كما أنها انزعجت من ذلك كما رأيت. كان السبب *واضحًا. لقد أرادت أن تستحوذ على السيدة العجوز وتحتكرها لنفسها*".

التفت بوارو إلى زوجته مرة أخرى.

"أتوافقينه يا سيدتي؟".

لم يعطها زوجها وقتًا للإجابة.

قال لها: "بيلا طيبة القلب للغاية. لن تستطيع أن تثير لديها دوافع سيئة تجاه أي شخص. ولكنني واثق تمامًا بأنني محق. سوف أخبرك بشيء آخر يا سيد بوارو. سر سيطرتها على الآنسة إميلي هو جلسات تحضير الأرواح! هكذا فعلت، اعتمدت على ذلك!".

"أتعتقد ذلك؟".

"أنا واثق من ذلك يا عزيزي. لقد رأيت الكثير من هذه الأمور التي تستحوذ على الناس. سوف تندهش كثيرًا! خاصة إذا كانت في عمر الآنسة أروندیل. أنا مستعد لأن أراهن بأن الأمر بدأ بهذه الطريقة. روح ما ـ أغلب الظن أنها روح والدها ـ أمرتها أن تغير وصيتها وتترك أموالها إلى الآنسة لوسون. وقد كانت صحتها ضعيفة ـ مغفلة ـــ".

صدرت حركة بسيطة للغاية من السيدة تانيوس تنبه بوارو لها.

"تظنين أن هذا ممكن ـ أليس كذلك؟".

قال دكتور تانيوس: "تحدثي يا بيلا، أخبرينا برأيك؟".

نظر إليها بتشجيع، ولكنها بادلته نظرة غريبة. ترددت ثم قالت:

"لا أعرف الكثير عن هذه الأمور. أظنك محق يا جاكوب".

"بناءً على ذلك أنا محق أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

أومأ بوارو برأسه.

ثم قال: "قد يكون الأمر كذلك. أظن أنكما كنتما في ماركيت بيسينج في العطلة الأسبوعية التي سبقت وفاة الآنسة أروندیل؟".

"ذهبنا في عيد الربيع ثم ذهبنا مرة أخرى في العطلة الأسبوعية التي تلتها ـ هذا صحيح".

"لا، لا، أعني العطلة الأسبوعية التي تلت ذلك ـ تحديدًا في *السادس والعشرين* من الشهر. ذهبت يوم الأحد، على ما أظن؟".

نظرت السيدة تانيوس لزوجها بعدما فتحت عينيها على اتساعهما: "أوه، جاكوب، هل ذهبت إلى هناك؟".

التفت بسرعة إليها وقال:

"نعم، ألا تذكرين؟ لقد ذهبت إليها بعد الظهر، وقد أخبرتك بذلك".

نظرت إليها أنا وبوارو. أعادت قبعتها للخلف قليلاً بطريقة تنم عن التوتر.

تابع زوجها كلامه وقال: "طبعًا تذكرين. كم أن ذاكرتك ضعيفة للغاية".

اعتذرت وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة وقالت: "طبعًا! هذا صحيح تمامًا، لدي ذاكرة مروعة حقًا. حدث ذلك منذ شهرين الآن".

قال بوارو: "أظن أن الآنسة تريزا أروندیل والسيد تشارلز أروندیل كانا هناك؟".

قال تانيوس بسهولة: "لعلهما كانا هناك، ولكنني لم أرهما".

إذن لم تبقَ هناك مدة طويلة إذن؟".

"أوه، لا ـ نصف ساعة فقط".

بدت نظرة بوارو المتسائلة وكأنها جعلته يشعر بقليل من عدم الراحة.

قال وهو يغمز بعينيه: "من باب الاعتراف، كنت آمل أن أحصل على قرض ـ ولكنني لم أحصل عليه. أخشى أن خالة زوجتي لم تتحدث معي مثلما كانت تفعل من قبل. هذا مؤسف لأنني أحببتها. كانت سيدة عجوزًا حلوة المعشر".

"هل يمكنني أن أسألك سؤالاً بصراحة يا دكتور تانيوس؟".

هل بدا خوف للحظة في عيني تانيوس أم أنني تصورت ذلك؟

"طبعًا يا سيد بوارو".

"ما رأيك في تشارلز وتريزا أروندیل؟".

بدا الطبيب وكأنه ارتاح بعض الشيء.

نظر إلى زوجته وعلى وجهه ابتسامة عطف وقال: "عزيزتي بيلا، لا أظن أنك لمانعين أن أتحدث بصراحة عن أسرتك؟".

هزت رأسها وعلى شفتيها ابتسامة باهتة.

"في رأيي، أظنهما فاسدان حتى النخاع، كلاهما كذلك! ولكن من المضحك أنني أحب تشارلز أكثر. إنه وغد، ولكنه وغد محبوب. ليس لديه حس أخلاقي ولكن لا يمكنه أن يفعل شيئًا حيال ذلك؛ فبعض الناس يولدون بهذه الطريقة".

"وماذا عن تريزا؟".

تردد قبل أن يجيب.

"لا أعرف. إنها شابة جذابة ورائعة. ولكنني أجدها متحجرة القلب. يمكنها أن تقتل أي شخص بدم بارد إذا كان ذلك في مصلحتها، أو هذا ما أتخيله على الأقل. لعلك سمعت أن والدتها حاولت ارتكاب جريمة قتل من قبل؟".

قال بوارو: "وهل تمت تبرئتها؟".

قال تانيوس بسرعة: "كما تقول، تمت تبرئتها. ورغم ذلك فإن هذا يجعلنا نتساءل أحيانًا".

"هل التقيت بخطيبها الشاب؟".

"دونالدسون؟ نعم جاء على العشاء في إحدى الليالي".

"وما رأيك فيه؟".

"شخص ذكي. أظن أنه سينجح، إذا أتيحت له الفرصة. ولكنه يحتاج إلى المال لكي يتخصص".

"أتعني أنه ماهر في عمله".

قال وعلى شفتيه ابتسامة: "هذا ما أعنيه بالضبط. رجل ذكي للغاية. ولكنه ليس بارزًا في المجتمع. كما أن طريقته دقيقة ومتزمتة بعض الشيء. وهو يشكل ثنائيًا مضحكًا مع تريزا. المتضادات تتجاذب. هي فراشة اجتماعية، وهو منعزل على نفسه".

كان الطفلان يمطران والدتهما بالمطالب.

"أمي، ألا يمكننا أن نذهب لتناول الغداء؟ أنا جائع. سوف نتأخر".

نظر بوارو إلى ساعته وصاح قائلاً:

"أنا متأسف جدًا! لقد أخرتكما عن ساعة الغداء".

قالت السيدة تانيوس بعدما نظرت إلى زوجها بريبة:

"فلتتناول الغداء معنا ـــ".

قال بوارو بسرعة:

"أنت كريمة للغاية يا سيدتي، ولكنني مرتبط بموعد غداء تأخرت عليه فعلاً".

صافح السيد تانيوس وزوجته كما صافح الأطفال أيضًا، وفعلت أنا الشيء نفسه.

تأخرنا في الردهة لحظة أو اثنتين. أراد بوارو أن يجري اتصالاً هاتفيًا. وانتظرته أنا عند مكتب استقبال الفندق. كنت واقفًا هناك عندما رأيت السيدة تانيوس تدخل الردهة وتلقي نظرة هناك كأنها تبحث عن شخص ما. رأيت وجهها تعلوه نظرة دهشة وخوف وعجلة، ثم رأتني فجاءتني مسرعة وقالت لي:

"صديقك السيد بوارو ـ أظنه غادر؟".

"لا إنه في كابينة الاتصالات".

"أوه".

"تريدين أن تتحدثي معه؟".

أومأت برأسها. وتزايدت حدة توترها.

خرج بوارو من الكابينة في تلك اللحظة ورآنا واقفين معًا. جاء إلينا بسرعة.

بدأت السيدة تانيوس تتحدث بسرعة وبصوت منخفض: "سيد بوارو. هناك شيء أريد أن أخبرك به ـ يجب أن أقول لك ـ".

"نعم يا سيدتي".

"هذا مهم ـ مهم للغاية. أرأيت ـ".

توقفت عن الكلام بعد خروج السيد تانيوس والطفلان من غرفة الكتابة. فتوجهوا إلينا مباشرة وانضموا إلينا.

"ألديك شيء تقولينه للسيد بوارو يا بيلا؟".

كان يتحدث بنبرة مبتهجة، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة.

ترددت قليلاً ثم قالت: "نعم، حسنًا، هذا كل ما في الأمر يا سيد بوارو. أردتك أن تخبر تريزا بأننا سوف ندعمها في أي شيء تختار عمله. أرى أن العائلة يجب أن تتضامن مع بعضها في كل شيء".

أومأت إلينا بذكاء، ثم أخذت ذراع زوجها وساروا في اتجاه غرفة الطعام".

أمسكت بوارو من كتفه.

"لم تجئنا لتقول لنا ذلك يا بوارو!".

هز رأسه ببطء، وهو يراقب الزوجين وهما ينسحبان.

قلت له: "لقد غيرت رأيها".

"نعم يا صديقي، غيرت رأيها".

"لماذا؟".

تمتم قائلاً: "أتمنى لو كنت أعرف السبب".

قلت له بتفاؤل: "سوف تخبرنا في وقت لاحق".

"لست أدري. أخشى ـــ ألا تفعل...".

الثامن عشر

الأسرار المحجوبة

تناولنا الغداء في مطعم صغير لا يبعد كثيرًا عن الفندق. كنت مهتمًا بأن أعرف رأي بوارو في مختلف أفراد عائلة أروندیل.

سألته دون صبر: "وبعد يا بوارو؟".

بنظرة توبيخ، وجه بوارو كل تركيزه إلى قائمة الطعام. وبعدما حدد طلبه اتكأ للخلف على كرسيه، وكسر رغيف الخبز نصفين وقال بنبرة لا تخلو من استهزاء:

"وبعد يا هاستنجز؟".

"ما رأيك فيهم بعدما رأيتهم جميعًا؟".

أجاب بوارو ببطء.

"حقًا، أظنهم مجموعة مثيرة للاهتمام! حقًا هذه القضية غريبة للغاية! إنها كما تسميها، صندوق المفاجآت؟ في كل مرة أقول فيها: "تلقيت خطابًا من الآنسة أروندیل قبل وفاتها"، يطرأ شيء ما. علمت من الآنسة لوسون موضوع المال المفقود. وقالت السيدة تانيوس على الفور: "عن زوجي؟" لماذا تظن أنه متعلق بزوجها؟ لماذا تكتب الآنسة أروندیل لهيركيول بوارو، عن دكتور تانيوس؟".

قلت له: "هناك شيء يدور في عقل هذه السيدة".

"نعم، إنها تعرف شيئًا ما، ولكن ما هذا *الشيء*؟ قالت لنا الآنسة بيبودي إن تشارلز أروندیل بإمكانه أن يقتل جدته من أجل مليمين، وقالت لنا الآنسة لوسون إن السيدة تانيوس قد تقتل أي شخص إذا طلب منها زوجها ذلك. ويقول دكتور تانيوس إن تشارلز وتريزا فاسدان حتى النخاع، ولَمَّح إلى أن والدتهما كانت قاتلة وقال دون اكتراث إن تريزا بإمكانها أن تقتل أي شخص بدم بارد.

لكل واحد منهم رأي ظريف في الآخر، جميعهم دون استثناء! يظن دكتور تانيوس ـ أو *يقول* إنه يظن ـ أنها كانت واقعة تحت تأثير شيء غير مشروع. ولكن زوجته قبل مجيئه، *لم* تكن ترى ذلك. لم ترد أن تطعن في الوصية في البداية. ولكنها غيرت رأيها في وقت لاحق. أتدري يا هاستينجز، الأمر أشبه بقدر ماؤه يغلي أكثر فأكثر، وبين الحين والآخر، تخرج حقيقة مهمة إلى السطح حتى نراها. هناك شيء في خفايا هذا الأمر ـ نعم، هناك *شيء ما*! أقسم بذلك، أقسم إنني متأكد من ذلك بقدر ما أنا متأكد أنني هيركيول بوارو، أقسم بذلك!".

تعجبت من جديته الشديدة رغمًا عني!

بعد لحظة أو اثنتين قلت له:

"ربما تكون محقًا، ولكن الأمر يبدو غامضًا للغاية ـ الأمر مبهم للغاية".

"ولكنك توافقني الرأي أن هناك *شيئًا* في الأمر؟".

قلت له بتردد: "نعم، أنا متأكد من ذلك".

مال بوارو ناحية الطاولة، وثبَّت ناظريه عليَّ.

"نعم ـ لقد تغيرت. لم تعد تتعامل مع الأمر باستخفاف، وتدعي أنني مستمتع بعملي. ولكن ما الذي أقنعك؟ ليس منطقي الرائع ـ لا، *ليست* عبقريتي! ولكن *شيئًا ما* ـ شيئًا مختلفًا تمامًا، أثر فيك. أخبرني يا صديقي، ما الذي جعلك تتعامل مع الأمر بهذه الجدية على هذا النحو المفاجئ؟".

قلت ببطء: "أظنها السيدة تانيوس. بدت ـ بدت ـ *خائفة*...".

"خائفة مني؟".

"لا، لا، ليست منك. خائفة من شيء آخر. كانت تتحدث بهدوء ومنطقية في البداية ـ لعله استياء طبيعي من بنود الوصية، ولكنها بدت يائسة تمامًا ومستعدة لأن تترك الأمور كما هي. بدا وكأنه التوجه الطبيعي لسيدة تلقت تربية حسنة،

ولكنها سيدة غير مبالية، ثم ذلك التغير المفاجئ الذي حدث بوصول دكتور تانيوس وسماعها وجهة نظره، وطريقة خروجها خلفنا في الردهة ـ وكأنها خرجت خلسة ـ".

أومأ بوارو برأسه بطريقة تشجيعية.

"وهناك شيء صغير لعلك لم تلحظه ـــ".

"لقد لاحظت كل شيء!".

"أعني النقطة التي تحدثت خلالها حول زيارة زوجها منزل ليتلجرين في يوم الأحد الأخير. أقسم إنها لم تكن تعرف أي شيء عن هذه الزيارة ـ وأنها فوجئت بهذا الأمر تمامًا ـ وبعد ذلك تبنت موقف زوجها بسرعة شديدة ـ ووافقت على أنه أخبرها بالأمر وأنها نسيته. لم تعجبني هذه الطريقة يا بوارو".

"أنت محق تمامًا يا هاستينجز، كانت نقطة مهمة".

"تركت انطباعًا بشعًا ـ وكأنها خائفة عليَّ".

سألته: "أشعرت بالشيء نفسه؟".

"نعم ـ ذلك الانطباع عبأ المكان". توقف ثم واصل كلامه قائلاً. "ولكنك رغم ذلك أحببت تانيوس، أليس كذلك؟ وجدته رجلاً مقبولاً، صريحًا، لطيفًا وذا طبيعة طيبة، وجذاب رغم عدم حبك الغريزي للأرجنتيين، والبرتغاليين واليونانيين ـ شخصية مقبولة تمامًا؟".

اعترفت قائلاً: "نعم، وجدته كذلك".

في الصمت الذي عم المكان، راقبت بوارو، ثم قلت على الفور:

"ما الذي تفكر فيه يا بوارو؟".

"أنا أفكر في كثير من الأشخاص، نورمان جيل الوسيم الظريف، وايفلين هوارد الودودة المحبوبة، ودكتور شيبارد الوسيم، ونايتون الهادئ والجدير بالثقة".

لم أفهم للحظة ما كان يعنيه بهذه الشخصيات التي قابلناها في قضايا سابقة.

سألته: "وماذا عنهم؟".

"كانوا جميعًا شخصيات محبوبة...".

"يا إلهي يا بوارو، هل تظن حقًا أن تانيوس ـــ".

"لا، لا. لا تتسرع بالقفز إلى النتائج يا هاستنجز. أنا أشير فقط إلى أن الانطباعات الشخصية تجاه الآخرين ليست أدلة دامغة تقودك لشيء ما؛ فالمرء لا يجب أن يترك نفسه لمشاعره وأهوائه، وإنما عليه أن يأخذ بالحقائق".

قلت له: "ممم، الحقائق هي شغلنا الشاغل. لا، لا، يا بوارو، لا تعد عليَّ هذه المحاضرة مرة أخرى!".

"سأكون مختصرًا يا صديقي، لا تخف. بداية، لدينا بما لا يدع مجالاً للشك محاولة قتل. وأنت معترف بذلك، أليس كذلك؟".

قلت له ببطء: "نعم، معترف".

حتى هذه اللحظة، كانت لدي بعض الشكوك في تصور بوارو (كما ظننت) الخيالي بعض الشيء للأحداث التي وقعت ليلة الثلاثاء من عيد الربيع، ولكنني اضطررت لأن أعترف، بأن استنتاجاته كانت منطقية تمامًا.

"حسنًا. لا يمكن أن تكون هناك محاولة قتل دون أن يكون لدينا قاتل. وأحد الأشخاص الذين تواجدوا في المنزل في تلك الليلة هو القاتل ـ بمجرد النية إن لم يكن واقعًا".

"موافق".

"إذن، هذه هي النقطة التي نبدأ من عندها ـ قاتل. قمنا ببعض الاستفسارات، فحصنا في الوحل كما تقول. فعلام حصلنا؟ حصلنا على كثير من الاتهامات المثيرة التي خرجت بشكل عابر في وسط أحاديث مختلفة".

"أتظن أنها لم تكن عابرة؟".

"من المستحيل أن أجزم بذلك في الوقت الراهن! فالطريقة التي تحدثت بها الآنسة لوسون، والتي تبدو بريئة، وأطلعتنا من خلالها على حقيقة أن تشارلز هدد عمته؛ قد تكون بريئة وقد لا تكون كذلك. وقد يكون دكتور تانيوس لا يكن لدريزا أروندیل أي ضغينة، وإنما مجرد رأيه الحقيقي. على الصعيد الآخر، قد تكون الآنسة بيبودي صادقة تمامًا في رأيها في ميول تشارلز أروندیل ـ ولكنه

يبقى في النهاية مجرد رأي، وهكذا، فهناك دوافع أو حقائق تخفى علينا تتنافى مع ظواهر المواقف. حسنًا، هذا هو تلخيص الوضع هنا؛ فهناك قاتل محجوب عنا".

"ولكنني أريد أن أعرف يا بوارو، رأيك الخاص".

"هاستنجز، هاستنجز ـ أنا لا أسمح لنفسي بأن أبدي "رأيًا" ـ ليس بالمعنى الذي تعنيه. في الوقت الراهن، كل ما أفعله هو طرح بعض التأملات".

"مثل؟".

"أفكر في مسألة *الدوافع*. ما الدوافع المحتملة لقتل الآنسة أروندیل؟ واضح أن أكثر الدوافع وضوحًا هو *الكسب*. ومن المستفيد من وفاة الآنسة أروندیل ـ إذا توفيت في يوم الثلاثاء الموافق عيد الربيع؟".

"الجميع ـ باستثناء الآنسة لوسون".

"بالضبط".

"حسنًا، حسنًا، على أية حال، استبعدنا شخصًا من المجموعة".

قال بوارو وهو غارق في التفكير: "نعم. قد يبدو الأمر كذلك. ولكن المثير في الأمر هو أن الذي لم يكن سيجني أي شيء في حالة حدوث الوفاة يوم الثلاثاء، ربح كل شيء عندما حدثت الوفاة بعد ذلك بأسبوعين".

قلت وأنا حائر بعض الشيء: "ما الذي ترمي إليه يا بوارو؟".

"السبب والنتيجة، يا صديقي، السبب والنتيجة".

نظرت إليه في ريبة.

تابع كلامه:

"استمر بشكل منطقي! ما الذي حدث بالضبط بعد الحادث؟".

كنت أكره بوارو وهو في هذه الحالة؛ فمهما كان ما أقوله يكون خاطئًا بالضرورة! فواصلت الحديث معه بحذر شديد.

"لزمت الآنسة أروندیل فراشها".

"بالضبط. لديك كثير من الوقت لتفكر. ماذا بعد؟".

"كتبت خطابها إليك". أومأ بوارو برأسه.

"نعم، كتبت لي. ولم يتم إرسال الخطاب. أمر مؤسف للغاية".

"هل تشم رائحة قذرة وراء عدم إرسال الخطاب؟".

عبس بوارو.

"يجب أن أعترف يا هاستينجز بأن هذه المسألة لا أعرفها. بعد وضع كل شيء أنا واثق منه في الاعتبار، أعتقد أن الخطاب وضع في غير مكانه. أظن، فأنا لست متأكدًا، أن حقيقة كتابة خطاب كهذا لم يتصورها أي شخص. استمر، ماذا حدث بعد ذلك".

فكرت قليلاً.

قلت له: "زيارة المحامي".

"نعم، أرسلت في طلب محاميها ووصل في الوقت المناسب".

تابعت كلامي: "وكتبت وصية جديدة".

"بالضبط. كتبت وصية جديدة وغير متوقعة أبدًا. والآن، في ضوء كل ذلك، يجب أن نضع في اعتبارنا عبارة قالتها إلين. قالت إلين ـ إن كنت تذكر ـ إن الآنسة لوسون كانت حريصة تحديدًا ألا يصل نبأ وجود بوب خارج المنزل طوال الليل إلى مسمع الآنسة أروندیل".

"ولكن ـــ أوه ـــ فهمت ـــ لا، لم أفهم. أم أنني بدأت في رؤية ما تلمّح له...؟".

قال بوارو: "أشك في ذلك، ولكنني آمل أن تدرك الأهمية القصوى لهذه العبارة".

رمقني بنظرة حادة.

قلت له بسرعة: "طبعًا، طبعًا".

واصل بوارو كلامه: "وبعد ذلك حدثت أمور أخرى. جاء تشارلز وتريزا في عطلة نهاية الأسبوع، وأطلعت الآنسة أروندیل تشارلز على الوصية ـ أو قد *يكون ادعى* ذلك".

"ألا تصدقه؟".

"أنا لا أصدق إلا العبارات *المؤكدة*. والآنسة أروندیل لم تُرها لـ تريزا".

"لأنها ظنت أن تشارلز سوف يخبرها بذلك".

"ولكنه لم يفعل. *لماذا* لم يفعل؟".

"تشارلز قال بلسانه إنه *أخبرها*".

"أكدت تريزا إنه لم يفعل ـ خلاف مثير للغاية له دلالته. وعندما غادرنا شقتها وصفته بأنه أحمق".

قلت بحزن: "أصبحت مشوشًا يا بوارو".

"دعنا نعد إلى تسلسل الأحداث. ذهب دكتور تانيوس إلى منزل ليتلجرين يوم الأحد ـ ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث دون معرفة زوجته".

"أنا واثق أن هذه الزيارة حدثت دون علم زوجته".

"دعنا *نفترض* ذلك. لنتابع! غادر تشارلز وتريزا المنزل يوم الاثنين. كانت الآنسة أروندیل بصحة جيدة وروحها المعنوية مرتفعة. تناولت عشاءً جيدًا وجلست في الظلام مع الأختين تريب والآنسة لوسون. وقرب انتهاء الجلسة، تعبت فجأة فذهبت لسريرها وتوفيت بعد ذلك بأربعة أيام وورثت الآنسة لوسون كل أموالها، ويقول كابتن هاستينجز إنها توفيت بشكل طبيعي!".

"طالما أن هيركيول بوارو يقول إنها تناولت سمًا وضع لها في العشاء دون أي دليل على الإطلاق!".

"لدي دليل *ما* يا هاستينجز. فكر في حديثنا مع الأختين تريب. وأيضًا عبارة قالتها الآنسة لوسون وسط حديثنا الذي كان غير مترابط بعض الشيء".

"أتعني حقيقة أنها تناولت الكاري على العشاء؟ الكاري سيصبح طعمه في فمها أشبه بدواء. أهذا ما تعنيه؟".

قال بوارو ببطء:

"نعم، قد تكون للكاري أهمية خاصة".

قلت له: "ولكن، إن كان ما اقترحته (والذي يتعارض مع كل الأدلة الطبية) صحيحًا، فهذا يعني أن الآنسة لوسون أو إحدى الخادمات هي من حاول قتلها".

"أتساءل".

أو الأختان تريب؟ هراء. لا أصدق ذلك! كل هؤلاء الأشخاص يبدون أبرياء تمامًا".

هز بوارو كتفيه.

"تذكر يا هاستينجز أن الغباء، أو حتى السخافة من وجهة النظر تلك ـ قد لعبت خطوة بخطوة مع الدهاء الشديد. ولا تنس محاولة القتل الأساسية. لم تكن صنيعة عقل ماكر أو معقد كثيرًا. كان قتلاً *بسيطًا* للغاية، مستوحى من بوب وهادنه بترك الكرة أعلى السلالم. فكرة وضع خيط عبر السلالم لم تكن بسيطة وسهلة للغاية ـ فأي طفل يمكنه التفكير فيها!".

عبست. "أتعني ـ".

"أعني أن كل ما نحتاج إلى معرفته هنا هو شيء واحد ـ الرغبة في القتل، ليس أكثر".

قلت له: "ولكن السم قطعًا كان متقن الصنع للحد الذي جعله لا يترك أي أثر ـ شيء يتعذر على الشخص العادي أن يحصل عليه. أوه، اللعنة يا بوارو. لا أستطيع أن أصدق ذلك الآن. لا تستطيع أن تعرف! إنها مجرد افتراضات".

"أنت مخطئ يا صديقي. نتيجة لأحاديثنا المختلفة التي أجريناها هذا الصباح، أصبح لدي شيء ملموس أهتدي به. علامات محددة قد تبدو بسيطة ولكنها خيالية. الشيء الوحيد أنني خائف".

"خائف؟ مم؟".

قال بصوت خشن:

"من إيقاظ الكلاب النائمة. إنه أحد الأمثال التي تحبها أليس كذلك؟ أن نترك الكلاب النائمة ترقد في سلام! هذا هو ما يفعله قاتلنا في الوقت الراهن ـ فهو ينام سعيدًا تحت الشمس... ألا تعرف ـ أعني أنا وأنت يا هاستينجز ـ أن القاتل ـ عندما تهتز ثقته ـ كثيرًا ما يقتل مرة ثانية أو حتى *ثالثة*!".

"أتخشى حدوث ذلك؟".

أومأ بوارو برأسه.

"نعم، *إذا* كان لدينا قاتل محجوب ـ وأنا واثق من وجوده يا هاستينجز. نعم، أنا واثق من وجوده...".

التاسع عشر

زيارة إلى السيد بيرفيس

طلب بوارو فاتورته وسددها.

سألته: "ماذا سنفعل بعد ذلك؟".

"سنقوم بما اقترحته في وقت مبكر من الصباح. سوف نذهب إلى هارشستر لنتحدث مع السيد بيرفيس. لهذا السبب أجريت اتصالاً هاتفيًا في الفندق".

"اتصلت ببيرفيس؟".

"لا، اتصلت بتريزا أروندیل. طلبت منها أن تكتب لي رسالة تعرفه بي. فلكي أنجح في الاقتراب منه والتعامل معه يجب أن نحصل على تفويض من أحد أفراد العائلة. وقد وعدتني بأن ترسله إلى شقتي. يجب أن يكون وصل هناك الآن".

لم نجد الخطاب فقط، ولكننا وجدنا تشارلز أروندیل أحضره بنفسه.

قال تشارلز وهو يلقي نظرة على غرفة المعيشة: "شقتك لطيفة يا سيد بوارو".

في تلك اللحظة وقعت عيناي على درج في المكتب غير محكم الغلق، فقط منعه جزء صغير من حافظة أوراق من الانغلاق.

إذا كان هناك شيء واحد يستحيل تصديقه فهو أن يغلق بوارو أي درج بهذه الطريقة! نظرت وأنا غارق في التفكير إلى تشارلز. كان بمفرده في هذه الغرفة ينتظر وصولنا. لم يساورني أدنى شك أنه قضى الوقت في تقليب أوراق بوارو. يا له من شاب محتال! شعرت بأنني أستشيط غضبًا.

بينما كان تشارلز في حالة مبتهجة للغاية.

قال وهو يقدم الخطاب لبوارو: "ها هو. كل شيء على أتم ما يرام، وآمل أن يكون حظك مع بيرفيس العجوز أطيب من حظنا".

"أظنه ليس لديه أمل كبير في مسألة الطعن في الوصية؟".

"أمر محبط للغاية... فهو يرى أن لوسون طارت وأفلتت بفعلتها".

"ألم تفكر أنت وأختك أبدًا في استجداء مشاعر السيدة؟".

ابتسم تشارلز.

"فكرت في ذلك. ولكن يبدو أنه ما باليد حيلة؛ فلباقتي ذهبت سُدى. فصورة الخروف الأسود المحروم التي تثير الشفقة ـ وخروف مثلي ليس على درجة السواد نفسها التي رسم به ـ فشلت في تحريك قلب المرأة! أتدري، إنها لا تحبني أبدًا! لا أعرف السبب في ذلك!"، ثم ضحك وقال: "أغلب السيدات المسنات يقعن في حبي بمنتهى السهولة. يعتقدن أنني لم أجد من يفهمني ولم ألق فرصة مناسبة أبدًا!".

"وجهة نظر مفيدة".

"أوه، كانت مفيدة للغاية قبل الآن. ولكن كما أقول، مع لوسون، لا شيء يفيد. أظنها محصنة ضد الرجال. أظنها اعتادت أن تسلسل نفسها في خط سكة حديدية وتلوح بعلم حق المرأة في الانتخاب أيام ما قبل الحرب".

قال بوارو، وهو يهز رأسه: "أها، حسنًا. إذا فشلت الطرق الأبسط ـــ".

قال تشارلز مبتهجًا: "يجب أن نلجأ إلى الجريمة".

قال بوارو: "أها، والآن، وبذكر الجريمة أيها الشاب، هل صحيح أنك هددت عمتك؛ أنك قلت إنك "ستضربها بالنار"، أو شيئًا بهذا المعنى؟".

جلس تشارلز على كرسي، فاردًا قدميه أمامه وهو يحدق في بوارو.

قال له: "حسنًا، من أخبرك بذلك؟".

"ليس هذا مهمًا. هل هذا صحيح؟".

"حسنًا، هناك جانب من الصحة في ذلك".

"اقترب، اقترب، دعني أسمع القصة، القصة الحقيقية".

"أوه، يمكنك أن تعرفها يا سيدي. ليس هناك شيء مأساوي فيها. كانت مجرد محاولة، إن كنت تفهم ما أعنيه".

"أفهم".

"حسنًا ولكن الأمر لم يسر وفقًا لخطة. فالعمة إميلي أعلنت أن أي جهود لمحاولة فصلها عن أموالها سوف تكون عديمة الفائدة! حسنًا، لم أفقد أعصابي، ولكنني قلتها لها بصراحة: "اسمعي يا عمتي إميلي. تعرفين أنك تدفعين الأمور لاتجاه يجعلك ستضربين بالنار في النهاية". فسألتني بازدراء عما أعنيه، قلت لها: "ما سمعته. أصدقاؤك وأقاربك يهيمون على وجوههم في الشوارع بأفواه مفتوحة، جميعهم فقراء كالفئران الموجودة في سفن أعالي البحار _ أيًا كان ما تكون عليه حال هذه الفئران _ يأملون أن يحظوا منك بأي شيء. وماذا تفعلين؟ أنت غارقة في المال ترفضين أن تعطيهم القليل منه. لهذا السبب يدفع الناس أنفسهم للقتل. اسمعيها مني، إذا ضربت بالنار فلا تلومي إلا نفسك".

عندئذ نظرت لي، من فوق نظارتها الطبية بطريقتها المعهودة. نظرت إليّ بخبث، ثم قالت بطريقة جافة: "أوه، هذا رأيك إذن؟"، قلت لها: "نعم، فكي كيسك قليلاً. هذه نصيحتي لك". قالت لي: "شكرًا لك يا تشارلز، على نصيحتك الغالية. ولكنني أعلم أنك ستجدني قادرة على أن أعتني بنفسي". قلت لها: "كما تشائين يا عمتي". كانت الابتسامة تعلو وجهي، وأتصور أنها لم تكن غاضبة كما حاولت أن تبدو. قلت لها: "لا تقولي إنني لم أحذرك"، فقالت: "سأتذكر ذلك".

وهنا توقف عن الكلام.

"هذا كل ما في الأمر".

قال بوارو: "وهكذا، رضيت لنفسك بضعة جنيهات وجدتها في أحد الأدراج".

حدق تشارلز فيه ثم انفجر في الضحك.

قال له: "دعني أرفع قبعتي لك. أنت محقق داهية! كيف عرفت *ذلك*؟".

"إذن هذا صحيح؟".

"أوه، صحيح فعلاً! كنت بحاجة ماسة إلى المال. وكان يجب أن أحصل على مال من مكان ما. فوجدت كمية صغيرة من النقود في أحد الأدراج فأخذت القليل منها. كنت متواضعًا للغاية _ لم أظن أن عملية الاختلاس الصغيرة تلك سينتبه إليها أحد. وحتى لو حدث، ستلتصق التهمة بأحد الخدم".

قال بوارو بطريقة جافة:

"سيتعامل الخدم بمنتهى الجدية مع هذا الأمر إن بلغ مسمعهم".

هز تشارلز كتفيه وتمتم قائلاً.

"كل شخص وشأنه".

قال بوارو: "ولكن الذئب لا يأكل إلا الشاة الضعيفة. أهذا ما تحثك على عقيدتك؟".

نظر إليه تشارلز بفضول.

"لم أعرف أن السيدة العجوز علمت بالأمر. كيف عرفت ذلك _ وكيف عرفت تهديدي لها بالقتل؟".

"أخبرتني الآنسة لوسون بذلك".

قال على الفور: "العجوز الماكرة!". بدا عليه شيء من القلق. ثم أردف يقول: "لم تكن تحبني، كما أنها لم تحب تريزا. ألا تعتقد أنه قد يكون لديها شيء آخر تخفيه؟".

"ماذا عساه يكون؟".

"أوه، لست أدري. ولكنها حاولت أن تظهرني في صورة شيطان شرير". التزم الصمت للحظة، ثم أردف يقول: "وهي تكره تريزا...".

"هل كنت تعرف يا سيد أروندیل أن دكتور تانيوس جاء لزيارة عمتك يوم الأحد الذي سبق وفاتها؟".

"ماذا؟ يوم الأحد الذي كنا فيه هناك؟".

"نعم، ألم تره؟".

"لا؛ فقد خرجنا للتنزه بعد الظهيرة. أظن أنه جاء حتمًا في ذلك الوقت. من المضحك أن العمة إميلي لم تذكر أي شيء عن زيارته؟".

"من أخبرك؟".

"الآنسة لوسون".

"لوسون مرة أخرى؟ يبدو أنها منجم معلومات".

التزم الصمت ثم أردف يقول:

"أتدري؛ تانيوس رجل ظريف. أنا أحبه. شخص لطيف وضحوك".

قال بوارو: "صحيح؛ فهو يتمتع بشخصية جذابة".

وقف تشارلز على قدميه.

"لو كنت مكانه، لقتلت بيلا الكئيبة منذ سنوات! ألا تظن أنها من تلك السيدات اللاتي يختارهن القدر دومًا للعب دور الضحية؟ أتعرف، لن أندهش إذا علمت أن الحال انتهت بها في شاحنة بمدينة مارجيت أو في أي مكان آخر!".

قال بوارو بحدة: "ليس تصرفًا جيدًا أن تلصق مثل هذه التهمة بزوجها الطبيب".

قال تشارلز بتأمل: "لا، لا، لا أظن أن بإمكان تانيوس أن يؤذي ذبابة. إنه طبيب القلب جدًا".

"وماذا عنك؟ هل ترتكب جريمة قتل إذا كانت ستجعلك ثريًا بما يكفي؟".

ضحك تشارلز، ضحكة رنانة صادقة.

"أتظن أنني كنت أبتزها يا سيد بوارو؟ لا شيء من هذا القبيل، أؤكد لك أنني لم أضع ــ" توقف عن الكلام فجأة ثم تابع كلامه، "مادة الإستركنين السامة في حساء العمة إميلي".

غادر المنزل وهو يلوح بيده دون اكتراث.

سألته: "هل كنت تحاول إخافته يا بوارو؟ إن كان الأمر كذلك، لا أظن أنك نجحت. لم يظهر عليه أي شعور بالذنب من أي نوع".

"لا؟".

"لا. بدا رابط الجأش تمامًا".

قال بوارو: "صمته أثار فضولي".

"صمت؟".

"نعم، صمته قبل أن يذكر كلمة الإستركنين، وكأنه كان على وشك أن يقول شيئًا آخر، ولكنه وجد هذه الكلمة أفضل".

هززت كتفي.

"لعله كان يفكر في سم جيد يبدو قويًا".

"هذا ممكن. ممكن. ولكن دعنا نبدأ في رحلتنا. أظن أننا سنبيت الليلة في فندق جورج بماركيت بيسينج".

بعد عشر دقائق كنا نسير بسرعة في الطريق إلى لندن، متجهين مرة أخرى إلى الريف.

وصلنا إلى هارشستر في حوالي الساعة الرابعة، واتجهنا مباشرة إلى مكتب بيرفيس وبيرفيس، وتشارلزورث وبيرفيس.

كان السيد بيرفيس رجلًا قويًا، ضخم البنية، ذا شعر أبيض وبشرة متوردة. وكانت له نظرة أشبه بنظرة الإقطاعيين الذين يعيشون في الريف، كان يتصرف بلباقة ولكن بشيء من التحفظ.

قرأ الخطاب الذي أحضرناه معنا ثم نظر إلينا وهو جالس على مكتبه. كانت نظرة متبصرة وباحثة في الوقت نفسه.

قال بأدب: "بالطبع أعرفك بالاسم يا سيد بوارو. فهمت أن الآنسة أروندیل وأخاها طلبا خدماتك في هذا الأمر، ولكن في أي شيء تتصور أنك ستكون ذا نفع لهم؟ هذا ما عجزت عن تخيله".

"دعنا نقل يا سيد بيرفيس: تحقيق كامل لكل الظروف؟".

قال المحامي على نحو جاف:

"لقد أخذت الآنسة أروندیل وأخوها رأيي فيما يتعلق بالوضع القانوني. كانت الظروف واضحة تمامًا، لا تتحمل أي سوء فهم لما حدث".

قال بوارو بسرعة: "رائع، رائع، ولكنني واثق أنك لن تعترض على مجرد تكرارها حتى يتسنى لي تصور الموقف بوضوح".

أحنى المحامي رأسه.

"أنا في خدمتك".

بدأ بوارو في الحديث:

"لقد كتبت إليك الآنسة أروندیل تعطيك تعليمات في السابع عشر من أبريل على ما أظن؟".

راجع السيد بيرفيس بعض الأوراق الموضوعة على الطاولة المقابلة له قبل أن يجيبه قائلاً:

"نعم، هذا صحيح".

"هل يمكنك أن تخبرني بما قالته؟".

"طلبت مني أن أكتب لها وصية، تترك فيها بعض الأموال لاثنين من الخدم، وثلاث أو أربع جمعيات خيرية. وتترك فيها كل تركتها إلى فيليمينا لوسون بالكامل".

"اعذرني يا سيد بيرفيس، ولكن هل فاجأك هذا الطلب؟".

"أعترف بأنه فاجأني كثيرًا".

"كانت الآنسة أروندیل قد كتبت وصية من قبل؟".

"نعم، كتبت وصية من خمس سنوات مضت".

"تترك فيها أموالها إلى أبناء إخوتها، طبعًا بعد تجنيب جزء صغير محدد من المال؟".

"كانت الوصية تقضي بتقسيم الجزء الأكبر من أملاكها بالتساوي بين ابني أخيها توماس، وابنة أختها أرابيلا بيجز".

"وماذا حدث لهذه الوصية؟".

"بناءً على طلب الآنسة أروندیل أحضرتها معي عندما زرتها في منزل ابنلجرين في الحادي والعشرين من شهر أبريل".

"سأكون ممتنًا لك كثيرًا يا سيد بيرفيس إذا أعطيتني وصفًا مفصلاً لكل شيء حدث في تلك الزيارة".

سكت المحامي لحظة أو اثنتين. ثم قال بكل دقة:

"وصلت إلى منزل ليتلجرين في الساعة الثالثة بعد الظهر. وكان أحد العاملين معي بالمكتب يرافقني. فاستقبلتنا الآنسة أروندیل في غرفة المعيشة".

"كيف وجدتها؟".

"وجدتها في حالة صحية جيدة رغم أنها كانت تسير مرتكزة على عصا. وفهمت بعد ذلك أن هذا بسبب سقوطها مؤخرًا من على السلالم. ولكن صحتها بشكل عام كما قلت، بدت جيدة. ولكنها فاجأتني بطريقتها المتوترة بعض الشيء وانفعالها الزائد".

"هل كانت الآنسة لوسون معها؟".

"كانت معها عندما وصلت. ولكنها تركتنا على الفور".

"وبعد ذلك؟".

"سألتني الآنسة أروندیل عما إذا كنت قد فعلت ما طلبته مني، وما إذا كنت قد أحضرت الوصية الجديدة معي لكي توقعها.

"أجبتها بأنني فعلت. أنا ـــ إرر ـــ". تردد للحظة أو اثنتين، ثم مضى يقول بصلابة: "بإمكاني أن أقول إن ضميري المهني حتم عليَّ أن أعارض الآنسة أروندیل، فأوضحت لها أن هذه الوصية الجديدة قد تعتبر ظالمة للغاية في حق عائلتها، الذين هم ـ رغم كل شيء ـ لحمها ودمها".

"وماذا قالت لك؟".

"سألتني عما إذا كان المال ملكًا لها وأنه من حقها أن تفعل به ما يحلو لها. فأجبتها بأن هذا صحيح بالطبع. فقالت لي بالحرف "ممتاز". فذكرتها بأنها لم تعرف المدعوة الآنسة لوسون إلا من فترة وجيزة للغاية، وسألتها عما إذا كانت

متأكدة تمامًا أن ظلمها لعائلتها بهذا الشكل مشروع. فأجابتني قائلة: "صديقي العزيز، أنا أعرف تمامًا ما أفعله".

"قلت إنها كانت تتصرف بانفعال".

"أستطيع أن أجزم بأنها كانت كذلك، ولكن افهمني يا سيد بوارو، كانت في كامل قواها العقلية. كانت مؤهلة لأن تدير شئونها الخاصة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. ورغم تعاطفي الكامل مع أفراد عائلة الآنسة أروندیل، سوف ألتزم بما قلته لك إذا ما استدعيت للشهادة أمام أي محكمة قانونية".

"هذا مفهوم تمامًا. أرجو أن تواصل كلامك".

"قرأت الآنسة أروندیل الوصية القديمة. ثم مدت يدها وطلبت مني أن أعطيها الوصية الجديدة. قلت لها إنني أفضل أن أسلمها المسودة أولاً، ولكنها ضغطت عليَّ وذكرتني بأنها طلبت مني أن أحضر الوصية جاهزة على التوقيع. فلم أجد أي صعوبة في ذلك لأن بنودها كانت بسيطة للغاية. قرأتها بعناية، وأومأت برأسها وقالت إنها سوف توقعها على الفور. شعرت بأن من واجبي أن أقدم اعتراضًا أخيرًا. سمعتني بصبر دون أن تقاطعني، وقالت لي في النهاية إنها اتخذت قرارها. فطلبت من مستخدمي الدخول وكان هو والبستاني شهودًا على توقيعها. فلم يكن الخدم بالطبع صالحين لهذه المهمة لحقيقة أنهم كانوا مستفيدين من الوصية".

"وبعد ذلك، هل ائتمنتك على الوصية لتصبح في أيد أمينة؟".

"لا، وضعتها في درج في مكتبها، الدرج الذي توصده بالمفتاح".

"وماذا حدث للوصية الأصلية؟ هل أحرقتها؟".

"لا، وضعتها في الدرج مع الوصية الأخرى".

"بعد وفاتها، أين وجدت الوصية؟"

"في الدرج نفسه. وباعتباري منفذ الوصية كانت معي مفاتيحها، فقلبت في أوراقها ومستنداتها".

"هل وجدت الوصيتين في الدرج؟".

"نعم؛ حيث وضعتهما بالضبط".

"هل سألتها ولو مرة عن الدافع الذي جعلها تتخذ هذا الإجراء المفاجئ؟".

"نعم، فعلت. ولكنني لم أتلقَّ إجابة مُرضية. ولكنها أكدت لي فقط أنها "لعرف ما تفعل"".

"ورغم ذلك كنت مندهشًا من إصرارها على ذلك؟".

"كنت مندهشًا للغاية. يجب أن أقول إن الآنسة أروندیل لطالما أظهرت أن لديها إحساسًا قويًا بمسئوليتها تجاه عائلتها".

التزم بوارو الصمت للحظة، ثم سأله:

"أظن أنك لم تدخل في أي حوار مع الآنسة لوسون في هذا الموضوع؟".

"بالطبع لا، فمثل هذا الأمر لا يجوز أبدًا".

بدا السيد بيرفيس مستاءً من مجرد الاقتراح.

"هل قالت الآنسة أروندیل أي شيء يوضح أن الآنسة لوسون تعرف أنها كتبت وصية تجعلها المنتفعة الأساسية؟".

"على العكس؛ فقد سألتها عما إذا كانت الآنسة لوسون تعرف بما يحدث، فقاطعتني الآنسة أروندیل على الفور وقالت إنها لا تعرف أي شيء عن ذلك.

وجدت أنه من الحكمة ألا تعرف الآنسة لوسون أي شيء عما حدث. وحاولت أن ألمّح قدر استطاعتي بهذا الأمر للآنسة أروندیل فوجدتها مقتنعة برأيي".

"لماذا أكدت هذه النقطة يا سيد بيرفيس؟".

بادلني الرجل العجوز النظر بوقار وقال:

"أرى أنه من الأفضل عدم مناقشة مثل هذه الأمور؛ لأنها قد تؤدي في المستقبل إلى خيبة أمل".

أخذ بوارو نفسًا عميقًا ثم قال: "أها، *ظننت أنه من المحتمل أن تغير الآنسة أروندیل رأيها في المستقبل القريب؟*".

أحنى المحامي رأسه.

"هذا صحيح؛ فقد تصورت أن الآنسة أروندیل دخلت في شجار عنيف مع عائلتها. وتصورت أنها قد تتراجع عن هذا القرار الطائش وتغير موقفها عندما تهدأ".

"في هذه الحالة سوف تفعل ـ ماذا؟".

"سوف تعطيني تعليمات بأن أعد وصية جديدة".

"ومن الممكن أيضًا أن تتخذ الإجراء الأبسط وهو أن تتخلص من الوصية الجديدة، فتصبح بذلك الوصية القديمة صالحة؟".

"هذه النقطة محل خلاف بعض الشيء؛ فكل الوصايا السابقة كما تعرف تصبح ملغاة لوجود وصية صحيحة".

"ولكن الآنسة أروندیل ليست لديها معرفة قانونية لكي تتفهم هذه النقطة، لعلها فكرت أن تدمير الوصية الجديدة يجعل الوصية القديمة صحيحة".

"هذا محتمل".

"في الواقع، إذا توفيت دون أن تكتب وصيتها، فسوف ترث عائلتها كل أموالها؟".

"نعم، نصفها إلى السيدة تانيوس، ونصف يقسم بالتساوي بين تشارلز وتريزا. ولكن تبقى حقيقة أن الآنسة أروندیل *لم* تغير رأيها! توفيت دون أن تغير رأيها".

قال بوارو: "ولكن هذا هو سبب مجيئي".

نظر إليه المحامي متسائلاً.

مال بوارو للأمام وقال:

"على فرض أن الآنسة أروندیل، وهي على فراش الموت، *تمنت أن لو كانت قد تخلصت من هذه الوصية*. ولكنها تخلصت من الوصية *الأولى*".

هز السيد بيرفيس رأسه:

"لا، *لم يمس أي شخص أيًا من* الوصيتين".

"إذن على فرض أنها دمرت *الوصية المزورة* ـ *وهي تعتقد أنها تخلصت من الوصية الأصلية. تذكر أنها كانت مريضة للغاية*، من السهل أن تخدعها".

قال المحامي بحدة: "ولكن يجب أن يكون لديك دليل على ذلك".

"أوه! بالتأكيد ـ بالتأكيد...".

"دعني أسألك، هل هناك سبب يجعلك تعتقد أن شيئًا من هذا القبيل حدث؟".

تراجع بوارو للخلف قليلاً.

"لا أريد أن أجزم بذلك في هذه المرحلة ـــ".

قال السيد بيرفيس مؤكدًا عبارة مألوفة بالنسبة له: "طبعًا، طبعًا".

"ولكن يمكنني أن أقول بكل ثقة، إن هناك جوانب غريبة في هذا الأمر!".

"حقًا؟ لم تقل ذلك".

فرك السيد بيرفيس يديه معًا بشكل ينم عن حماسته وتوقعه لما سيقوله بوارو.

تابع بوارو كلامه: "ما أردت أن أعرفه منك وما توصلت إليه، هو اعتقادك أن الآنسة أروندیل كان من الممكن ـ عاجلاً أو آجلاً ـ أن تغير رأيها وتراجع نفسها بشأن موقفها من عائلتها".

قال المحامي: "ولكن بالطبع هذه وجهة نظري فحسب".

"سيدي العزيز، أفهم ذلك جيدًا، أظن أنك لا تنوب عن الآنسة لوسون؟".

قال السيد بيرفيس: "لقد نصحت الآنسة لوسون بأن تستشير محاميًا آخر".

قالها بنبرة متخشبة.

صافحه بوارو، وشكره على كرمه وعلى المعلومات التي أدلى بها لنا.

العشرون

زيارة ثانية لمنزل ليتلجرين

في طريق عودتنا من هارشستر إلى ماركيت بيسينج، اللتين تبعدان عن بعضهما حوالي عشرة أميال، بدأنا في مناقشة الوضع.

"هل لديك سبب يا بوارو، للاقتراح الذي قدمته؟".

"أتعني أن الآنسة أروندیل ربما كانت تعتقد أنها تخلصت من وصية معينة؟ لا، *يا صديقي*، بصراحة لا. ولكن كان عليَّ ـ يجب أن تفهم ذلك ـ أن أتقدم بأي اقتراح! السيد بيرفيس رجل داهية. وإن لم أعطه أي تلميح كما فعلت، كان من الممكن أن يسأل نفسه عن دوري في هذا الأمر".

قلت له: "أتعرف ما الذي ذكرتني به يا بوارو؟".

"*لا يا صديقي*".

"بالبهلوان الذي يرمي عدة كرات بألوان مختلفة! جميعها تطير في الهواء في وقت واحد".

"والكرات مختلفة الألوان هي الأكاذيب المختلفة التي لجأت إليها ـ أليس كذلك؟".

"الأمر متعلق بحجمها".

"وتعتقد أنه ذات يوم، سيحدث السقوط المروع؟".

قلت له: "لن تستطيع أن تحكم زمام الأمور للأبد".

"هذا صحيح. سوف تأتي اللحظة العظيمة التي أمسك فيها كل كرة على حدة، وأنحني تحية للجمهور، ثم أبتعد عن المسرح".

"لتسمع استحسانًا مدويًا من الجمهور".

نظر إليَّ بوارو بعين الشك.

"قد يحدث هذا أيضًا".

قلت له لكي أبتعد عن النقطة الخطيرة: "لم نعرف الكثير من السيد بيرفيس".

"لا، باستثناء أنه جعلنا نتأكد من أفكارنا العامة".

"كما أكد كلام الآنسة لوسون أنها لم تعرف أي شيء عن الوصية حتى وفاة السيدة العجوز".

"بالنسبة لي، لا أرى أنه أكد شيئًا كهذا".

"لقد نصح بيرفيس الآنسة أروندیل بألا تخبرها بذلك، وأجابته الآنسة أروندیل بأنه ليست لديها أي نية لأن تفعل ذلك".

"نعم، كل هذا لطيف وواضح. ولكن الباب يحتوي على ثقب للمفتاح، كما أن هناك مفاتيح تفتح الأدراج الموصدة".

سألته وأنا مصدوم بعض الشيء: "هل تعتقد حقًا أن الآنسة لوسون قد تسترق السمع والبصر وتفعل ذلك؟".

ابتسم بوارو.

"الآنسة لوسون ليست ملاكًا يا عزيزي. نعرف أنها سمعت مصادفة أحد الحوارات التي لم تكن تقصد سماعها ـ أعني الحوار الذي قال فيه تشارلز لعمته إنها تعرض نفسها للضرب بالنار من أحد أقاربها التعساء".

اعترفت بهذه الحقيقة.

"أرأيت يا هاستنجز، ومن الممكن أن تكون قد سمعت أيضًا بكل سهولة الحديث الذي دار بين السيد بيرفيس والآنسة أروندیل؛ فصوته قوي ورنان".

تابع بوارو كلامه وقال: "أما بالنسبة لمسألة استراق السمع والنظر، فكثير من الناس يفعلون ذلك أكثر مما تتصور. والأشخاص الخجولون الذي يخافون من أي شيء بسهولة كالآنسة لوسون كثيرًا ما يكتسبون بعض العادات غير اللائقة، التي يجدون فيها متعة كبيرة وعزاءً لهم".

قلت له: "حقًا يا بوارو!".

أومأ برأسه عدة مرات.

"هذا صحيح، الأمر كذلك، الأمر كذلك فعلاً".

وصلنا إلى فندق جورج، وحجزنا غرفتين، ثم سرنا في اتجاه منزل ليتلجرين.

عندما قرعنا جرس الباب، أجابنا بوب على الفور. جاء مسرعًا عبر الردهة وهو ينبح بقوة وألقى بنفسه على الباب الأمامي.

زمجر الكلب مكشرًا عن أسنانه وكأنه يقول: "سأقطع كبدك وأحشاءك، سأقطع أوصالك من جسمك! سأمنعك من مجرد محاولة دخول هذا المنزل! انتظر فقط حتى تطولك أسناني".

ثم سمعنا تمتمة مهدئة وسط كل الضجيج الذي أحدثه بوب.

"انتبه، يا ولد. انتبه، هكذا تكون كلبًا طيبًا، ادخل هنا".

تم سحب بوب من الطوق الموضوع حول رقبته، وحبس في غرفة الجلوس الصباحية رغمًا عنه.

تذمر من داخل الغرفة وكأنه يقول: "دائمًا ما يفسدون عليَّ رياضتي. أول فرصة تسنح لي لأخيف أي شخص بشكل حقيقي منذ وقت طويل. كنت أشحذ أسناني لأمسك به. انتبه لنفسك يا رجل".

ثم أغلق باب غرفة الجلوس الصباحية عليه، وعادت إلين لتفتح الباب الأمامي.

صاحت قائلة: "أوه، إنه أنت يا سيدي".

أغلقت الباب على الفور. وعلى وجهها نظرة تعكس قدرًا كبيرًا من السعادة.

"ادخل يا سيدي، ادخل من فضلك".

دخلنا الردهة، وسمعنا من تحت عقب الباب الموجود على يسارنا أصوات زمجرة متعاقبة، يتخللها نباح. كان بوب يحاول أن "يضعنا" في مكاننا الصحيح.

قلت لها: "يمكنك أن تخرجيه".

"سأفعل يا سيدي. إنه هادئ على الدوام حقًا، ولكنه يحدث الكثير من الضوضاء ويندفع بسرعة تجاه الأشخاص فيخيفهم بذلك. ولكنه كلب حراسة رائع".

فتحت باب غرفة الجلوس الصباحية، فاندفع بوب وكأنه قذيفة مدفعية انطلقت فجأة.

"من هذا؟ إنهما هذان الرجلان؟ أوه، حسنًا. اعذراني، أبدو كأنني لم أتذكركما ــ". أخذ يتشمم ـ يتشمم ـ يتشمم، ثم نخر بشكل مطول. "بالطبع! التقينا من قبل!".

قلت له: "مرحبًا يا صديقي. كيف الحال؟".

هز بوب ذيله بشكل روتيني.

"بخير حال، شكرًا لكما. اسمحا لي فقط بأن ـ لقد تحدثتم مؤخرًا مع كلب صغير. أشم رائحة كلاب حمقى على ما أظن. ما هذا؟ قطة؟ هذا مثير. أتمنى لو كانت معنا الآن. للعبنا كثيرًا معًا. إمم ــ أتمنى ألا يكون كلب تيرير سيئًا".

أصاب بالفعل في تشخيص زيارة قمت بها مؤخرًا لبعض الأصدقاء الذين يربون الكلاب، ثم ركز انتباهه على بوارو، تشمم رائحة بنزين ثم ابتعد عنه موبخًا إياه.

ناديته: "بوب".

رمقني بنظرة من خلف كتفيه.

"هذا صحيح. أعرف ما أفعل. سأعود في لمحة بصر".

"المنزل كله مغلق. أتمنى أن تعذراني ــ". أسرعت إلين تركض إلى غرفة الجلوس الصباحية وأخذت تفتح مصاريع النوافذ.

قال بوارو: "رائع، هذا رائع"، قالها وهو يتبعها إلى غرفة الجلوس وجلس هناك. كنت على وشك الانضمام إليه، ولكن بوب ظهر من جديد من مكان

غامض، حاملاً الكرة في فمه. أتى مسرعًا عبر السلالم ومد جسمه على أعلى درجاته، واضعًا كرته بين مخالبه. وأخذ يهز ذيله ببطء.

نظر إليَّ وكأنه يقول: "تعال، تعال، لنلعب قليلاً".

زال اهتمامي للحظة بالتحقيق، وأخذنا نلعب بضع دقائق، ثم شعرت بالذنب فأسرعت إلى غرفة الجلوس الصباحية.

بدا بوارو وإلين وكأنهما قطعا شوطًا لا بأس به في الحديث عن موضوع المرض والأدوية.

"بعض الأقراص الصغيرة البيضاء، هذا هو كل ما كانت تأخذه من عقاقير، اثنان أو ثلاثة بعد كل وجبة. كانت هذه هي أوامر دكتور جرينجر. أوه، صحيح، كانت تأخذها في المواعيد المحددة بالضبط. أقراص صغيرة للغاية. وكانت هناك أيضًا بعض الأدوية التي راقت الآنسة لوسون كثيرًا. كانت كبسولات دكتور لافبارو للكبد. بإمكانك أن ترى إعلاناتها على كل اللوحات الإعلانية".

"كانت تأخذها أيضًا؟".

"نعم. بدأت الآنسة لوسون في تناولها، ووجدت أنها ساعدتها كثيرًا".

"هل دكتور جرينجر يعرف ذلك؟".

"أوه، لم يمانع يا سيدي. كان يقول لها "خذيها إذا كنت تجدينها مفيدة". فكانت تجيبه بقولها "حسنًا قد تضحك على ذلك، ولكنها تفيدني فعلاً. أفضل كثيرًا من *أدويتك*". ضحك دكتور جرينجر، وقال إن الإيمان أقوى من كل العقاقير التي تم اختراعها".

"ألم تكن تأخذ أي شيء آخر؟".

"لا، ولكن زوج السيدة بيلا ـ الطبيب الأجنبي ـ سافر وأحضر لها زجاجة عقار ما، ورغم أنها شكرته كثيرًا، فإنها سكبته على الفور، وأنا واثقة من ذلك! وأظن أنها كانت محقة؛ فأنت لا تعرف أي شيء عن هذه العقاقير الغريبة".

"هل رأتها السيدة تانيوس وهي تسكبه؟".

"نعم، نعم، أظن أنها شعرت بألم بسبب هذا التصرف، سيدة مسكينة. أنا أيضًا آسفة لذلك، فقطعًا كانت نوايا الطبيب حسنة في النهاية".

"هذا أكيد. أكيد. أعتقد أن جميع العقاقير التي كانت موجودة في المنزل تم التخلص منها بوفاة الآنسة أروندیل؟".

بدت إلين مندهشة بعض الشيء من السؤال.

"أوه، نعم يا سيدي. لقد تخلصت الممرضة من بعض الأدوية، كما تخلصت الآنسة لوسون من كل الأدوية القديمة التي كانت موجودة في دولاب الحمام".

"هل كانت كبسولات دكتور لافبارو توضع هناك؟".

"لا، كانت توضع في الدولاب الموجود في غرفة الطعام لكي تكون قريبة منها وتأخذها بعد الوجبات كما تقول التعليمات".

"من الممرضة التي اعتنت بالآنسة أروندیل؟ هل يمكنك أن تعطيني اسمها وعنوانها؟".

أعطته إلين الاسم والعنوان على الفور.

واصل بوارو طرح أسئلة عن مرض الآنسة أروندیل الأخير.

زودته إلين بكل التفاصيل وهي مستمتعة بذلك. وصفت له مرضها، والألم الذي كانت تعانيه، وبداية مرض الصفراء معها، والهذيان الأخير. لا أعرف ما إذا كان بوارو استشعر الرضا من الإجابات التي تلقاها أم لا. ولكنه استمع بصبر شديد، وكان يقاطعها بين الحين والآخر ويطرح عليها سؤالاً صغيرًا متعلقًا بالآنسة لوسون في العادة، وحجم الوقت الذي كانت تقضيه في غرفة التمريض. كما أنه اهتم كثيرًا بالنظام الغذائي الخاص بالسيدة العجوز، وكان يقارنه بالنظام الغذائي الخاص بقريب له متوفى (وهمي طبعًا).

عندما رأيت أنهما مستمتعان كثيرًا بحديثهما معًا، تسللت إلى الردهة مرة أخرى. كان بوب قد ذهب لينام على الدرج، واضعًا كرته أسفل ذقنه.

صفرت له فهب على الفور وتيقظ تمامًا. ولكنه هذه المرة أبعد الكرة عنه وألقاها لي ـ قطعًا بسبب شعوره بالإهانة في المرة السابقة ـ وأمسك بالكرة عدة مرات في آخر لحظة.

"أنت محبط، أليس كذلك؟ حسنًا، لعلي سأتركك تأخذها هذه المرة".

عندما عدت بعد ذلك إلى غرفة الجلوس الصباحية، كان بوارو يتحدث عن زيارة دكتور تانيوس المفاجئة يوم الأحد قبل وفاة السيدة العجوز.

"نعم يا سيدي، كان السيد تشارلز والآنسة تريزا يتجولان في الخارج. ولم نكن ننتظر قدوم دكتور تانيوس كما أعرف. كانت السيدة مستلقية واندهشت كثيرًا عندما أخبرتها بقدومه. قالت لي "دكتور تانيوس؟ هل السيدة تانيوس معه؟" فقلت لها إنه أتى بمفرده. فطلبت مني أن أبلغه بأنها ستنزل لمقابلته خلال دقيقة".

"هل مكث كثيرًا؟".

"لم يبقَ أكثر من ساعة يا سيدي. لم يَبْدُ مسرورًا للغاية عندما غادر المنزل".

"هل لديك أدنى فكرة عن ـــ إرر ـــ السبب من الزيارة؟".

"لا أستطيع أن أجزم به يا سيدي".

"ألم تسمعي أي شيء؟".

احمر وجه إلين على نحو مفاجئ.

"لا يا سيدي، لم أسمع! أنا لم أتنصت يومًا على الأبواب، رغم أن بعض الناس يفعلون ذلك ـ والبعض الآخر يجيدون القيام بذلك!".

اعتذر لها بوارو قائلاً: "أوه، لقد أسأت فهمي. كل ما أعنيه أنك ربما أدخلت الشاي في أثناء تواجد دكتور تانيوس، وطبعًا من الصعب أن تمنعي نفسك من سماع ما كانا يتحدثان عنه".

هدأت إلين قليلاً.

"أنا آسفة يا سيدي. لقد أسأت فهمك. لا، لم يبقَ دكتور تانيوس حتى يتناول الشاي".

نظر بوارو إليها وعيناه تومضان قليلاً.

"وإذا كنت أريد أن أعرف السبب الذي دفعه للزيارة: فهل من الممكن أن تكون الآنسة لوسون على دراية بالسبب؟ هل هذا ممكن؟".

قالت إلين: "حسنًا، إن لم تكن تعرف السبب يا سيدي، فليس هناك من يعرفه".

تجهم بوارو وكأنه يحاول أن يتذكر: "دعيني أرَ. غرفة نوم الآنسة لوسون، هل كانت قريبة من غرفة نوم الآنسة أروندیل؟".

"لا يا سيدي؛ فغرفة الآنسة لوسون على اليمين أعلى السلالم مباشرة. أستطيع أن أريك إياها".

قبل بوارو بعرضها. وعندما صعد السلالم، ظل قريبًا من جانب الحائط، وبمجرد أن وصل أعلى السلالم أطلق صيحة تعجب وانحنى ليمسك بطرف بنطاله.

"أها ـ لقد تعثرت في خيط ـ أها، هناك مسمار هنا في حافة الجدار؟".

"نعم، هذا صحيح يا سيدي. أظنه انْفَكَّ قليلاً. لقد أمسك بثوبي مرة أو مرتين".

"هل هذا المسمار موجود هنا منذ فترة؟".

"حسنًا، أخشى أن يكون منذ بعض الوقت. لقد لاحظته أول مرة عندما لازمت السيدة فراشها ـ بعد حادث سقوطها ـ وحاولت أن أخرجه من الحائط ولكنني عجزت عن ذلك".

"أظن أنه رُبط فيه خيط".

"هذا صحيح يا سيدي، كانت هناك قطعة خيط صغيرة على ما أتذكر. لا أعرف تحديدًا الهدف منها".

لم يبد على صوت إلين أي تشكك؛ فبالنسبة لها كان الأمر كأنه أحد الأمور التي تحدث في المنازل دون أن يحاول أي شخص تبريرها!".

دخل بوارو الغرفة الموجودة أعلى السلالم. كانت غرفة متوسطة الحجم. وكانت هناك نافذتان في قبالتنا مباشرة. وكانت هناك مزينة في أحد أركان الغرفة ودولاب ملابس له مرآة طويلة بين النافذتين. وكان السرير ناحية اليمين خلف الباب قبالة النافذة. وعلى اليد اليسرى من الغرفة كانت هناك خزانة ذات أدراج كبيرة مصنوعة من خشب الماهوجني وحوض لغسيل الوجه سطحه من الرخام.

ألقى بوارو نظرة على الغرفة بتأمل شديد، ثم خرج مرة أخرى ووقف على الدرج. مر من الممر، متجاوزًا غرفتي نوم أخريين حتى وصل لغرفة النوم الكبيرة التي كانت تخص إميلي أروندیل.

قالت إلين: "كانت الممرضة تبيت في الغرفة الصغيرة في الباب التالي".

أومأ بوارو برأسه.

ونحن ننزل السلالم، سأل بوارو عما إذا كان من الممكن أن يأخذ جولة في الحديقة.

"أوه، نعم يا سيدي بالطبع. إنها تبدو جميلة الآن".

"هل لا يزال البستاني يعمل لديكم؟".

"أنجوس؟ أوه، إنه لا يزال هنا؛ فالآنسة لوسون تريد لكل شيء أن يبقى جميلاً؛ لأنها تظن أن هذا يضمن بيع المنزل".

"أظن أنها محقة؛ فترك المكان يتدهور ليست سياسة جيدة".

كانت الحديقة هادئة وجميلة. كانت الجوانب العريضة مليئة بأشجار الترمس ونبات العليق وخشخاش قرمزي ضخم. وكانت هناك براعم لنبات عود الصليبة. تجولنا في الحديقة قليلاً حتى وصلنا إلى غرفة حفظ أدوات الحديقة؛ حيث وجدنا الرجل العجوز قوي البنية مشغولاً. حيانا باحترام وتجاذب معه بوارو أطراف الحديث.

عندما سألنا الرجل عما إذا كان قد رأى السيد تشارلز في ذلك اليوم، أصبح ودودًا معنا وانفتح في الحديث.

"نعم، السيد تشارلز! عهدته يأتي إلى هنا ومعه فطيرة كشمش وتظل الطاهية تبحث عنها في كل مكان! ثم كان يعود إلى المنزل بوجه بريء ويدعي أن القطة هي التي أخذتها، رغم أنني لم أعرف أبدًا أن القطط تأكل فطيرة الكشمش! دائمًا ما كان السيد تشارلز يفعل ذلك!".

"لقد جاء إلى هنا في أبريل، أليس كذلك؟".

"نعم، جاء إلى هنا في عطلتين. كان ذلك قبل وفاة السيدة مباشرة".

"هل رأيته كثيرًا؟".

"نعم، إلى حد ما؛ فليس هناك الكثير الذي يفعله شاب في هذا المكان، وهذه حقيقة. كان معتادًا أن يتجول حتى يصل لفندق جورج ويرتاح قليلاً هناك، ثم كان يعود إلى هنا، ويسألني بعض الأسئلة عن شيء أو آخر".

"عن الأزهار؟".

"نعم الأزهار، ومبيدات الحشائش الضارة أيضًا". قالها الرجل العجوز وهو يضحك.

"مبيدات الحشائش؟".

بدا صوت بوارو كأنه تيقظ فجأة مُظهرًا اهتمامًا شديدًا. التفت برأسه وألقى نظرة بحث في الأرفف، حتى وقعت عينه على علبة من الصفيح.

"لعله أراد أن يعرف كيف تتخلص منها؟".

"لقد أراد ذلك فعلاً!".

"أظن أن هذه هي المادة التي تستخدمها".

أمسك بوارو العلبة وتفحصها بعناية وقرأ الملصقة الموجودة عليها.

قال أنجوس: "إنها هي. مادة ممتازة".

"هل هي مادة خطيرة؟".

"ليست خطيرة إن أحسنَّا استخدامها. إنها زرنيخ بالطبع. كنت أضحك مع السيد تشارلز بخصوصها. كان يقول لي إنه إذا تزوج ولم يحب زوجته، فسوف يأتيني ويحصل على قليل منها، حتى يتخلص منها! فكنت أقول له نعم، لعلها هي *من تريد أن تتخلص منك!* كان هذا يضحكه كثيرًا، نعم! كانت مزحة لطيفة!".

ضحكنا وكأنه واجب مفروض علينا. ثم رفع بوارو غطاء العبوة.

تمتم قائلاً: "إنها فارغة تقريبًا".

ألقى الرجل العجوز نظرة عليها.

"لقد نفد قدر كبير منها أكثر مما تصورت. لم أكن أعلم أنني استخدمت كل هذه الكمية. يجب أن أشتري عبوة أخرى".

قال بوارو مبتسمًا: "نعم. أخشى ألا يكون هناك ما يكفيك لكي تعطيني إياه من أجل زوجتي!".

ضحكنا جميعًا مرة أخرى على هذا التعليق الساخر.

"أنت لست متزوجًا، على ما أظن يا سيدي؟".

"لا".

"آها! طبعًا ففير المتزوجين وحدهم يستطيعون المزاح في هذا الأمر؛ فهم لا يعرفون المشكلة الحقيقية!".

قال بوارو: "أظن أن زوجتك ــ؟"، ثم توقف عن الكلام بحذر.

"إنها تنبض بالحياة يا سيدي ــ تنبض بالحياة كثيرًا".

بدا أنجوس مكتئبًا بعض الشيء.

أثنينا على اهتمامه بالحديقة، ثم ودعناه وانصرفنا.

الحادي والعشرون

الصيدلي، والممرضة، والطبيب

دفعتني عبوة الزرنيخ ـ التي تساعد في التخلص من الحشائش الضارة ـ للتفكير في اتجاه جديد تمامًا. كان ذلك أول أمر مؤكد يثير الشك. اهتمام تشارلز بها، واندهاش البستاني العجوز من كونها فارغة تقريبًا، كل هذا جعلني أشعر أننا نسير في الاتجاه الصحيح.

أما بوارو، فظل مبهمًا تمامًا كعادته عندما يجدني منفعلاً.

"حتى لو أُخذ جزء من المادة التي تقتل الحشائش الضارة، فليس هناك دليل على أن تشارلز هو الشخص الذي أخذها يا هاستينجز".

"ولكنه تحدث كثيرًا مع البستاني عنها!".

"ليس من الحكمة أن يفعل ذلك إذا كان ينوي استخدامها".

ثم أردف يقول:

"ما أول وأبسط سم يخطر على بالك إذا سألك أحدهم عن اسم بسرعة؟".

"الزرنيخ على ما أظن".

"نعم. أفهمت، هذا هو معنى فترة الصمت التي احتاج إليها تشارلز قبل أن يذكر كلمة الإستركنين عندما تحدثنا معه اليوم".

"أتعني ـــ؟".

"أنه كان سيقول "الزرنيخ في الحساء" ولكنه منع نفسه".

قلت له: "أها! ولماذا منع نفسه؟".

"بالضبط. لماذا؟ أظن يا هاستينجز أن الإجابة عن هذا السؤال تحديدًا هي ما جعلني أذهب للبستاني لكي أبحث عن أي مصدر لقتل الحشائش الضارة".

"ووجدته!".

"نعم، وجدته".

هززت رأسي.

"يبدو أن الوضع سيئ بالنسبة لتشارلز الصغير. لقد تحدثت كثيرًا مع الين عن مرض السيدة العجوز. هل أعراضها تشبه أعراض التسمم بالزرنيخ؟".

حك بوارو أنفه ثم قال.

"من الصعب أن أقول ذلك. كان هناك ألم في منطقة البطن ـ مرض".

"بالطبع ـ هذا هو!".

"ممم، أنا لست متأكدًا لهذه الدرجة".

"ما السم الذي يشبهه؟".

"حسنًا يا صديقي، الأعراض لا تشبه كثيرًا أعراض التسمم بقدر ما هي أعراض مرض في الكبد أدى إلى الوفاة لهذا السبب!".

صحت قائلاً: "أوه يا بوارو، لا يمكن أن تكون وفاة طبيعية! إنها قطعًا جريمة قتل!".

"*يا إلهي!* يبدو أننا تبادلنا الأماكن، أنا وأنت".

التفت على نحو مفاجئ إلى الصيدلية. وبعد حوار مطول عن مخاوف بوارو المحددة، اشترى عبوة صغيرة من دواء لعسر الهضم. وعندما لف له الصيدلي الدواء وكنا على وشك الخروج من المتجر، لفتت انتباهه عبوة من كبسولات دكتور لافبارو للكبد ملفوفة بشكل جميل.

قال له الصيدلي، الذي كان رجلاً في منتصف العمر، يبدو من النوع الثرثار:

"نعم يا سيدي، إنها تركيبة ممتازة".

"أذكر أن الآنسة أروندیل كانت تستخدمها؛ أعني إميلي أروندیل".

"هذا صحيح يا سيدي الآنسة أروندیل التي كانت تعيش بمنزل ليتلجرين. كانت سيدة محترمة، ومن أصل عريق. كنت أعد لها الكثير من الأدوية".

"هل كانت تتناول أي أدوية جاهزة؟".

"لا يا سيدي. لم تكن تتناول الكثير من الأدوية الجاهزة مثل أغلب السيدات المسنات. أظن أن جليستها الآنسة لوسون هي التي ورثت كل أموالها ـــ".

أومأ بوارو برأسه.

"كانت تحب تناول كل أنواع الأدوية: الأقراص والحبوب المحلاة وأدوية عسر الهضم، والخلطات التي تساعد على الهضم، والمقويات. كانت تستمتع حقًا بوجودها وسط الكثير من زجاجات الأدوية". ابتسم في تندم ثم قال: "أتمنى لو أن هناك كثيرين مثلها؛ فالناس هذه الأيام لا يتناولون الأدوية مثلما كانوا من قبل. ولكننا ما زلنا نبيع الكثير من مستحضرات التنظيف التي تعوضنا عن ذلك".

"هل كانت الآنسة أروندیل تتناول كبسولات الكبد تلك بانتظام؟".

"نعم، ظلت تتناولها طوال ثلاثة أشهر قبل وفاتها على ما أظن".

"لقد جاء أحد أقاربها ـ أظنه دكتور تانيوس ـ ليعد لها خلطة ذات يوم، أليس كذلك؟".

"نعم، هذا صحيح، الرجل اليوناني الذي تزوج من ابنة أخت الآنسة أروندیل. كانت خلطة مثيرة للغاية. خلطة لم أكن أعرفها من قبل".

تحدث الرجل كأنه يتحدث عن مستحضر نباتي نادر.

"يحدث تغيير يا سيدي عندما تشتري شيئًا جديدًا ـ مجموعة مثيرة للغاية من العقاقير على ما أتذكر. بالطبع فقد كان طبيبًا. كان لطيفًا للغاية ـ طريقته ظريفة".

"هل تشتري زوجته أي شيء من هنا؟".

"هل تشتري ـــ؟ لا أذكر. أوه، نعم. لقد جاءت تطلب أقراصًا منومة؛ كان الكورال كما أذكر. كانت وصفة الطبيب تنصحها بتناول كمية مضاعفة. دائمًا ما نجد صعوبة في الحصول على الأقراص المنومة؛ فأغلب الأطباء كما تعرف لا يصفونها كثيرًا".

"ومن الذي كتب لها هذه الوصفة؟".

"زوجها على ما أظن. طبعًا لا مشكلة في ذلك، ولكن كما تعرف، يجب أن نتوخى الحذر هذه الأيام. فلعلك لا تعرف الحقيقة، ولكن إذا أخطأ طبيب في أي وصفة وأعددناها نحن بحسن نية وسار أي شيء على نحو خاطئ، يصبح الخطأ خطأنا، ونتحمل نحن اللوم، وليس الطبيب".

"يبدو ذلك ظالمًا للغاية!".

"أعترف بأن الأمر مقلق. أها، حسنًا لا يمكنني أن أتذمر. لم أواجه *أي مشكلة*، المس الخشب".

طرق المكتب بأصابعه بقوة.

قرر بوارو أن يشتري عبوة من كبسولات دكتور لافبارو للكبد.

"شكرًا لك يا سيدي. أي عبوة؟ ٢٥، أم ٥٠، أو ١٠٠؟".

"أظن أن الأكبر قيمتها أفضل ـ ولكن ـ".

"خذ العبوة ٥٠ يا سيدي. هذا هو الحجم الذي كانت الآنسة أروندیل تحصل عليه. ثمانية جنيهات وستة قروش".

وافق بوارو، وأعطى الصيدلي ثمانية جنيهات وستة قروش وأخذ منه الكيس.

ثم غادرنا الصيدلية.

قلت ونحن نخرج إلى الشارع: "إذن السيدة تانيوس اشترت أقراصًا منومة. زيادة الجرعة قد تقتل أي شخص، أليس كذلك؟".

"بمنتهى السهولة".

"هل تعتقد أن الآنسة أروندیل العجوز ـــ".

تذكرت كلمات الآنسة لوسون: "*أقول إنها قد تقتل أي شخص إذا طلب منها زوجها ذلك!*".

هز بوارو رأسه.

"عقار الكلورال مخدر ومنوم. يستخدم في تخفيف الألم، وأيضًا كأقراص منومة. كما أنه من الممكن إدمانه أيضًا".

"هل تظن أن السيدة تانيوس أدمنته؟".

هز بوارو رأسه والحيرة تبدو عليه.

"لا، من الصعب أن أصدق ذلك. ولكن الأمر غريب. ليس لدي سوى تفسير واحد. ولكن هذا يعني ـــ".

توقف عن الكلام ونظر إلى ساعته.

"هيا، دعنا نر إذا كان من الممكن أن نرى الممرضة المدعوة كاروثرز التي كانت تمرض الآنسة أروندیل في مرضها الأخير".

اتضح أن الممرضة كاروثرز سيدة في منتصف العمر، بدت عاقلة للغاية.

ظهر بوارو الآن في دور جديد واخترع أيضًا شخصية قريب له مريض. كان لديه هذه المرة والدة مسنة يخاف عليها ويبحث لها عن ممرضة حنون تعمل في أي مستشفى.

"سوف أتحدث معك بصراحة، والدتي صعبة المراس. لقد استعنا بأفضل الممرضات ـ سيدات صغيرات في السن، كفئات تمامًا، ولكن حقيقة صغرهن كانت تمثل مشكلة مع والدتي؛ فوالدتي لا تحب السيدات الصغيرات، فهي تهينهن، وهي وقحة وعصبية، تتشاجر من أجل النوافذ المفتوحة والأمور المعاصرة المتعلقة بالصحة العامة. إنها صعبة للغاية".

تنهد والحزن يبدو عليه.

قالت الممرضة كاروثرز بتعاطف: "أعرف. الأمر متعب للغاية في بعض الأحيان. وعلى الممرضة أن تظهر قدرًا كبيرًا من اللباقة. ليس من المفيد أن لزعج أي مريض. من الأفضل الإذعان لرغبته قدر الإمكان. وبمجرد أن يشعر بأنك لا تحاول أن تجبره على شيء ما، فكثيرًا ما يهدأ ويستسلم وكأنه حمل وديع".

"أها، أرى أنك ستكونين مثالية في القيام بهذا الدور. أنت تفهمين عقلية السيدات المسنات".

قالت الممرضة كاروثرز وهي تضحك: "لقد تعاملت من قبل مع بعض السيدات المسنات. بإمكانك التعامل معهم بإظهار قدر من الصبر وخفة الظل".

"هذا منتهى الحكمة. لقد مرَّضت الآنسة أروندیل على ما أظن. لا يمكن أن تكون سيدة مسنة سهلة".

"أوه، لست أعرف. كانت تتمتع بإرادة قوية، ولكنني لم أجدها صعبة المراس على الإطلاق. لم أمكث معها فترة طويلة؛ فقد توفيت في اليوم الرابع من قدومي".

"كنت أتحدث مع ابنة أخيها، الآنسة تريزا أروندیل بالأمس".

"حقًّا، صدفة غريبة! دائمًا ما أقول إن العالم مكان صغير!".

"أظنك تعرفينها؟".

"بالطبع أعرفها، لقد جاءت بعد موت عمتها كما حضرت الجنازة أيضًا. كما أنني رأيتها عندما كانت تقيم مع عمتها في المنزل. فتاة مليحة جدًّا".

"هذا صحيح ـ ولكنها نحيفة للغاية ـ نحيفة أكثر من اللازم".

تأنقت الممرضة كاروثرز بعدما أدركت أن امتلاء جسمها يروقه بعض الشيء، قالت: "طبعًا، لا يجب أن تكون المرأة نحيفة *للغاية*".

تابع بوارو كلامه وقال: "فتاة مسكينة. أنا حزين من أجلها"، ثم مال ناحيتها وقال بشيء من الخصوصية: "*سأخبرك بسر*، كانت وصية عمتها صدمة كبيرة لها".

قالت الممرضة كاروثرز: "قطعًا كانت كذلك. أعرف أن هذه الوصية أحدثت الكثير من *البلبلة*".

"لا أستطيع أن أتخيل ما دفع الآنسة أروندیل لأن تحرم كل عائلتها من أموالها. يبدو تصرفًا غير طبيعي".

"تصرف غير طبيعي طبعًا، أوافقك الرأي تمامًا. الناس يقولون إن هناك شيئًا وراء ذلك بالضرورة".

"هل لديك أي فكرة عن *السبب*؟ هل قالت لك الآنسة أروندیل أي شيء؟".

"لا، لم تتحدث معي".

"ولكنها تحدثت مع شخص آخر؟".

"حسنًا، أظنها ذكرت للآنسة لوسون شيئًا ما، لأنني سمعت الآنسة لوسون تقول "نعم يا عزيزتي، ولكنها عند المحامي كما تعرفين"، فقالت لها الآنسة أروندیل "أنا واثقة أنها في الدرج في الطابق السفلي". فقالت لها الآنسة لوسون "لا، لقد أرسلتها إلى السيد بيرفيس. ألا تذكرين؟" ثم مرت المريضة بنوبة هذيان مرة أخرى، وخرجت الآنسة لوسون عندما رأيتها، ولكنني تساءلت كثيرًا عما إذا كانتا تتحدثان بخصوص الوصية".

"يبدو احتمالاً قائمًا".

تابعت الممرضة كارثرز كلامها:

"إن كان الأمر كذلك، أظن أن الآنسة أروندیل كانت قلقة، ولعلها أرادت أن أفيرها ـ ولكنها كانت مريضة للغاية، مسكينة، بعد ذلك، لم تستطع أن تفكر في أي شيء".

سألها بوارو: "هل قامت الآنسة لوسون بتمريضها من قبل؟".

"أوه، بالطبع لا، لم تكن تجيد التمريض أبدًا! فهي مزعجة للغاية، تزعج مريضتي فحسب".

"هل كنت أنت من يقوم بكل أعمال التمريض؟ *هذا كثير*".

"الخادمة ـ ماذا كان اسمها ـ إلين ـ كانت تساعدني. كانت إلين خير عون؛ فقد كانت معتادة التمريض، كما اعتادت الاعتناء بالسيدة العجوز. كنا ندير الأمر بشكل جيد معًا. في الواقع، طلب دكتور جرينجر إرسال ممرضة ليلية يوم الجمعة، ولكن الآنسة أروندیل توفيت قبل وصولها".

"لعل الآنسة لوسون ساعدت في تحضير بعض الأطعمة الممنوعة؟".

"لا؛ فهي لم تفعل أي شيء على الإطلاق. حقًّا لم يكن هناك أي شيء تعده. كنت أنا المسئولة عن أدويتها وطعامها وشرابها، ولم تكن الآنسة لوسون تفعل أي شيء سوى البكاء في المنزل، واعتراض طريق الجميع".

حملت نبرة الممرضة حدة واضحة.

قال بوارو مبتسمًا: "أرى أنك لا ترين أي نفع للآنسة لوسون".

"في رأيي عادة ما تكون الجليسات شخصيات بائسة؛ فهن لا يتلقين أي تدريب في أي شيء. مجرد *هواة*. وعادة ما تكون سيدة لا تجيد القيام بأي شيء آخر".

"هل تعتقدين أن الآنسة لوسون كانت مرتبطة بالآنسة أروندیل كثيرًا؟".

"بدت كذلك، وقد انزعجت وحزنت كثيرًا عند وفاة السيدة العجوز. حتى إنها حزنت عليها أكثر من أقاربها *على ما أظن*". وأنهت الممرضة كاروثرز كلامها بزفرة سخرية من أنفها.

قال بوارو وهو يومئ برأسه: "لعل الآنسة أروندیل كانت تعرف ما تفعله عندما تركت لها كل أموالها كما فعلت".

قالت الممرضة: "كانت سيدة عجوزًا ذكية للغاية. يجب أن أقول إنه لم تكن هناك الكثير من الأمور التي لا تفهمها أو تعرفها!".

"هل ذكرت كلبها بوب ولو لمرة؟".

"من المضحك أن تقول ذلك! كانت تتحدث عنه كثيرًا ـ في نوبات هذيانها، وتذكر شيئًا عن كرته وسقطة عانتها. كان بوب كلبًا لطيفًا. أنا أحب الكلاب كثيرًا، كلب مسكين؛ فقد اكتأب كثيرًا عندما توفيت. الكلاب رائعة، أليس كذلك؟ تشبهنا كثيرًا".

عند هذا الحد من الحديث، افترقنا.

قال بوارو بعدما تركناها: "واضح أن هذه السيدة ليست لديها أي شكوك".

بدا صوته محبطًا بعض الشيء.

تناولنا عشاءً سيئًا في مطعم جورج، تذمر بوارو كثيرًا منه، ومن الحساء على وجه الخصوص.

"من السهل للغاية أن تعد حساءً طيبًا يا هاستنجز ـ *حساء اللحم البقري*".

تجنبت أنا الاستماع لخطبة طويلة عن الطهي بصعوبة بالغة.

بعد العشاء، جاءتنا مفاجأة.

كنا جالسين في قاعة الانتظار بمفردنا. كان هناك رجل آخر على العشاء ـ يبدو من مظهره أنه تاجر مسافر ـ ولكنه خرج. وبينما كنت أقلب بكسل صفحات مجلة الجازيت، أو مجلة أخرى، سمعت فجأة ذكر اسم بوارو.

كان الصوت صادرًا من مكان ما في الخارج.

"أين هو؟ في الداخل؟ حسنًا ـ سأعثر عليه".

انفتح الباب بعنف، ودخل دكتور جرينجر الغرفة، بوجه محمر بعض الشيء، وحاجبين عابسين. توقف ليغلق الباب ثم تقدم نحونا في غضب شديد.

"أوه، وجدتكما! والآن يا سيد هيركيول بوارو، بحق السماء ما الذي قصدته بقدومك لي وإخباري بمجموعة من الأكاذيب السخيفة؟".

تمتمت بصوت ناقم قائلاً: "إحدى كرات البهلوان؟".

قال بوارو بنبرة شديدة المداهنة:

"طبيبي العزيز، اسمح لي بأن أشرح ـــ".

"أسمح لك؟ أسمح لك؟ اللعنة، *سأجبرك* على أن تشرح! أنت محقق، هذه شخصيتك! محقق فضولي متطفل! جئتني وأخبرتني بمجموعة من الأكاذيب عن كتابة السيرة الذاتية للجنرال أروندیل! هل أنا مغفل لكي تستخدم معي هذه القصة الحمقاء".

قال بوارو: "من أخبرك بهويتي؟".

"من أخبرني؟ الآنسة بيبودي أخبرتني. *رأتك* على *حقيقتك*!".

قال بوارو وهو غارق في التفكير: "الآنسة بيبودي، نعم. ظننت ـــ".

قاطعه دكتور جرينجر وهو في شدة الغضب.

"والآن يا سيدي. أنا في انتظار تفسيرك!".

"بالطبع. السبب في منتهى البساطة، *محاولة قتل*".

"ماذا؟ ما هذا؟".

"لقد سقطت الآنسة أروندیل من على السلالم، أليس كذلك؟ سقطت قبل وفاتها بوقت قصير؟".

"نعم، وماذا في ذلك؟ تعثرت في كرة الكلب اللعينة".

هز بوارو رأسه.

"لا أيها الطبيب، *لم تتعثر*. لقد شُد خيط أعلى درجات السلم لكي تتعثر فيه".

حدق دكتور جرينجر فيه وسأله مباشرة:

"إذن لماذا لم تخبرني بذلك؟ لم تخبرني بأي شيء عن ذلك".

"لعل هذا يصبح مفهومًا ـ إذا *كان أحد أفراد عائلتها* هو من ربط هذا الخيط هناك!".

رمق جرينجر بوارو بنظرة حادة ثم قال: "إمم ـ فهمت"، ثم ألقى بنفسه على كرسي وأردف يقول: "حسنًا؟ ومن الذي أقحمك في هذا الأمر؟".

"لقد كتبت لي الآنسة أروندیل خطابًا، وأكدت ضرورة التكتم والسرية، ولكن لسوء الحظ وصلني خطابها متأخرًا".

تابع بوارو الحديث وقدم له بعض التفاصيل المنتقاة بعناية وأخبره بأنه وجد مسمارًا مثبتًا في حافة جدار السلم.

استمع له الطبيب بجدية شديدة. بعدما خف غضبه، ثم أنهى بوارو كلامه بقوله: "بإمكانك أن تفهم صعوبة وحساسية موقفي. لقد استعانت بي سيدة عجوز أصبحت في عداد الموتى. ولكنني ملتزم بتقديم خدماتي دون أن تحدث حقيقة وفاتها أي فارق بالنسبة لي".

استغرق دكتور جرينجر في التفكير فاقترب حاجباه من بعضهما.

سأل: "وليست لديك أي فكرة عن الشخص الذي شد الخيط أعلى السلالم؟".

"ليس لدي *دليل* عمن فعل ذلك. ولكنني لن أقول إنه ليست لدي أي فكرة".

قال دكتور جرينجر، بوجه عابس: "حكاية كريهة".

"نعم، ولست أدري هل فهمت أن تسلسل الأحداث لم يكن واضحًا لي في البداية".

"إيه؟ ماذا تعني؟".

"عما إذا كانت الآنسة أروندیل توفيت بصورة طبيعية، وكيف يمكنني أن أتأكد من ذلك؟ لقد كانت هناك *محاولة* لقتلها من قبل. فكيف أجزم بأنه لم تكن هناك محاولة ثانية؟ وأنها نجحت هذه المرة!".

أومأ جرينجر برأسه وهو غارق في التفكير.

"أظن أنك واثق يا دكتور جرينجر ـ وأرجو ألا تغضب مني ـ أن وفاة الآنسة أروندیل *كانت* طبيعية؟ لقد وصلت اليوم لدليل ما ـ".

أخذ يروي له الحوار الذي دار بينه وبين أنجوس العجوز، واهتمام تشارلز أروندیل بمبيد الحشائش الضارة، وأخيرًا تعجب الرجل العجوز من نفاد العبوة.

استمع جرينجر بانتباه شديد. بعدما أنهى بوارو كلامه قال بهدوء:

"فهمت وجهة نظرك. كثير من حالات التسمم بالزرنيخ يتم تشخيصها على أنها التهاب شديد بالمعدة والأمعاء، ثم يقدم الطبيب شهادة بذلك ـ خاصة عندما لا تكون هناك ملابسات مريبة للوفاة. على أية حال، التسمم بالزرنيخ يمثل صعوبات محددة؛ حيث إنه يتخذ أشكالاً كثيرة مختلفة؛ فقد يكون حادًا، أو شبه حاد، وقد يكون عصبيًا، أو مزمنًا. وقد يحدث قيء وألم في المعدة ـ وقد لغيب جميع هذه الأعراض ـ وقد يسقط المريض على نحو مفاجئ على الأرض ثم يتوفى بعد ذلك بفترة وجيزة ـ وقد يعاني تخديرًا وشللا ـ أعني أن الأعراض قد تختلف كثيرًا".

قال بوارو:

"حسنًا، بعدما ألممت بكل الحقائق، ما رأيك؟".

لزم دكتور جرينجر الصمت للحظة أو اثنتين، ثم قال بتأنٍ:

"بعدما ألممت بكل الحقائق، ودون أي تحيز، ما زلت عند رأيي بأن الأعراض الخاصة بحالة الآنسة أروندیل ليست أعراض تسمم بالزرنيخ. أنا مقتنع تمامًا أنها توفيت من ضمور أصفر في الكبد. لقد تابعت حالتها كما تعرف لسنوات طويلة، وقد عانت من قبل نوبات مماثلة للنوبة التي أودت بحياتها. هذا هو رأيي المتروي يا سيد بوارو". ولهذا ـ وبحكم الضرورة ـ يجب أن تترك الأمور على حالها.

إن خيبة الأمل قد سادت الموقف، عندما أخرج بوارو عبوة كبسولات الكبد التي اشتراها من الصيدلي.

قال له: "كانت الآنسة أروندیل تتناول هذه الكابسولات على ما أظن؟ أظن أنها لا يمكن أن تكون مضرة بأي حال من الأحوال؟".

أجابه دكتور جرينجر: "هذه الكابسولات؟ ليست مضرة أبدًا. نبات الصبار البودوفيلين ـ كلها مخففة وغير ضارة. كانت تحب أن تجرب هذه الأدوية، ولم أمنعها من ذلك".

نهض من مكانه.

سأله بوارو: "كنت تركب لها بعض الأدوية بنفسك؟".

قال وعيناه تتحركان بسرعة: "نعم ـ أعددت لها أقراصًا للكبد مخففة تأخذها بعد تناول الطعام. بإمكانها أن تأخذ عبوة كاملة دون أن تؤذي نفسها، أنا لا أسمم مرضاي يا سيد بوارو".

ثم ابتسم لنا وصافحنا نحن الاثنين وتركنا وانصرف.

فتح بوارو العلبة التي اشتراها من الصيدلي. كان الدواء عبارة عن كبسولات شفافة، ثلاثة أرباعها ممتلئة بمسحوق بني قاتم.

قلت له: "تبدو مثل دواء أخذته من قبل لدوار البحر".

فتح بوارو الكبسولة، وفحص محتوياتها وتذوقها بحذر شديد بلسانه، ثم عبس وجهه.

قلت له، وأنا ألقي بنفسي على كرسي وأتثاءب: "حسنًا، كل شيء يبدو صحيحًا بالقدر الكافي. كبسولات دكتور لافبارو، وأقراص دكتور جرينجر! كما أن دكتور جرينجر يرفض تمامًا نظرية التسمم بالزرنيخ. هل اقتنعت أخيرًا يا بوارو العنيد؟".

قال صديقي وهو غارق في التفكير: "هل صحيح أنني عنيد بالفعل، كما تقول؟ ـــ نعم، بالطبع أنا عنيد".

"إذن، بالرغم من أن رأي الصيدلي والممرضة والطبيب يعارضك، فما زلت تعتقد أن الآنسة أروندیل قتلت؟".

قال بوارو بهدوء:

"هذا ما أظنه. لا ـ أكثر من مجرد ظن. أنا *واثق* من ذلك يا هاستينجز".

قلت له بتروٍّ: "أظن أن هناك طريقة واثقة لإثبات ذلك".

"استخراج الجثة".

أومأ بوارو برأسه.

"هل هذه هي الخطوة التالية؟".

"يجب أن أتوخى الحذر يا صديقي".

"لماذا؟".

قال بصوت منخفض: "لأنني أخشى حدوث مأساة ثانية".

"أتعني ـــ؟".

"أنا خائف يا هاستنجز، أنا خائف. دعنا نتوقف عند هذا الحد".

الثاني والعشرون

المرأة الواقفة على السلالم

في صباح اليوم التالي، وصلت ملحوظة تسلمناها باليد. كانت مكتوبة بخط ضعيف، مهزوز، مائل لأعلى كثيرًا.

عزيزي السيد بوارو،

سمعت من إليـن أنك كنت في منـزل ليتلجريـن بالأمس. سأكـون شاكرة للغاية إذا اتصلت بي ورأيتك في وقت ما اليوم.

المخلصة

فيلهلمينا لوسون.

قلت له: "إذن هي هناك".

"نعم".

"أتساءل عن سبب ذهابها؟".

ابتسم بوارو وقال.

"لا أظن أن هناك أي سبب. ففي النهاية، المنزل أصبح ملكًا لها".

"نعم، هـذا صحيـح. أتعرف يا بـوارو، هذا أسوأ ما في اللعبة التي نلعبها؛ فكل شيء صغير يفعله أي شخص يقودنا لأكثر الأمور شرًا".

"صحيح، ولكنني عن نفسي أستمتع أكثر منك بشعار "الشك في الجميع"".

"هل ما زلت تشك في الجميع؟".

"لا؛ فقد انحصر شكي في شخص واحد".

"ومن هو؟".

"بما أنها لا تزال مجرد شكوك حتى اللحظة الراهنة، وليس معنا دليل دامغ، فأظن أنني يجب أن أتركك تستنتج بنفسك، يا هاستينجز. ولا تنس أن تعتمد على علـم النفس؛ فهو مهم؛ فطبيعـة جريمة القتل ـ تظهر شخصية القاتل ـ هذا هو المفتاح الأساسي للجريمة".

"لا أستطيع أن أفكر في شخصية القاتل إن لم أكن أعرفه!".

"لا، لا، أنـت لـم تنتبـه لما قلته لتوي. إذا فكـرت بالقدر الكافي في الطبيعة ـ الطبيعة اللازمة للقتل ـ فسوف تدرك من هو القاتل!".

سألته بفضول: "أتعرفه حقًا يا بوارو؟".

"لا أستطيع أن أقول إنني *أعرفه* لأنه ليست لدي أدلة. لهذا السبب لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك في الوقت الراهن. ولكنني واثق تمامًا ـ نعم يا صديقي، في حكمي على الأمور، أنا واثق تمامًا".

قلت له مازحًا: "حسنًا، ماذا لو لم ينل *منك*! ستكون مأساة!".

حـدق بـوارو قليـلاً. لم يتعامل مع كلامـه على سبيل المزاح، بـل تمتم قائلاً: "أنت محق. يجب أن أتوخى الحذر ـ الحذر الشديد".

قلت له مازحًا: "يجب أن ترتدي معطفًا مزودًا بدرع".

"وتستعين بذواقة في حالة تعرضت لمحاولة قتل بالسم! في الواقع يجب أن تستعين بعصابة مسلحة لحمايتك!".

"شكرًا يا هاستنجز، سوف أعتمد على ذكائي".

بعـد ذلـك كتب ملحوظة إلـى الآنسة لوسون يقول إنه سـوف يذهب إلى منزل ليتلجرين في الساعة الحادية عشرة.

بعد ذلك تناولنا الإفطار ثم تنزهنا قليلاً في الميدان. كانت الساعة العاشرة والربع، وكان صباحًا حارًا يبعث على النوم.

كنت أنظر من النافذة على متجر التحف الذي يضم مجموعة ظريفة للغاية من كراسي من طراز هيبلوايت، عندما تلقيت طعنة قوية في الضلوع، وسمعت صوتًا حادًا ثاقبًا يقول: "مرحبًا!".

التفت بغضب فوجدت نفسي أقف وجهًا لوجه أمام الآنسة بيبودي. كانت تمسك في يدها (الأداة التي هاجمتني بها) مظلة كبيرة قوية سنها مدبب.

كان من الواضح أنها لم تراعِ الألم الشديد الذي سببته لي، فقالت لي بصوت راض:

"ها! ظننتك هو. ألا تخطئ في بعض الأحيان؟".

قلت لها ببرود:

"إرر ـــ صباح الخير. ماذا أفعل من أجلك؟".

"أخبرني بما وصل إليه صديقك في كتابه ـ عن حياة الجنرال أروندیل؟".

قلت لها: "لم يبدأ في كتابته بعد".

انغمست الآنسة بيبودي في فترة صمت ثم انفجرت في الضحك. كان جسدها ينتفض من شدة الضحك مثل حلوى الهلام. وعندما تعافت من هذه النوبة، قالت:

"لا، لا أظن أنه سيبدأ في كتابته".

قلت لها مبتسمًا:

"إذن فهمت الأمر ببصيرتك النافذة؟".

"ماذا تظنني ـ حمقاء؟ لقد علمت بعد وقت قصير ما كان يسعى وراءه صديقك المراوغ! أرادني أن أتحدث! حسنًا، لم أمانع ذلك؛ فمن الصعب أن تجد مستمعًا هذه الأيام. وقد استمتعت بنفسي كثيرًا في ذلك اليوم".

رمقتني بنظرة قاسية.

"لِمَ كل هذا؟ لِمَ كل هذا؟".

كنت متردداً بشأن ما سأقوله بالضبط عندما انضم إلينا بوارو في الحديث، الذي انحنى أمام الآنسة بيبودي ليمتص غضبها.

"صباح الخير يا آنسة. جميل أن ألتقي بك".

قالت الآنسة بيبودي: "صباح الخير. ما اسمك اليوم، باروتي أم بوارو؛ ها؟".

قال لها بوارو مبتسمًا: "ذكاء بالغ منك أن تكتشفي شخصيتي بهذه السرعة".

"ليس ذكاءً بالغًا! فليس هناك كثيرون مثلك في هذه البلدة؟ ولا أدري ما إذا كان هذا أمرًا جيدًا أم سيئًا، من الصعب تحديد ذلك".

"أفضل يا آنستي أن أكون فريدًا".

قالت الآنسة بيبودي بطريقة جافة: "كما تشاء. والآن يا سيد بوارو، لقد زودتك بكل التفاصيل التي أردتها في ذلك اليوم. والآن حان دوري في طرح الأسئلة. لِمَ كل هذا، ها؟ لِمَ كل هذا؟".

"أنت تطرحين سؤالاً تعرفين إجابته بالفعل؟".

رمقته بنظرية نارية وقالت: "أتساءل، هل هناك شيء رائحته نتنة متعلق بتلك الوصية، أم أنه أمر آخر؟ هل ستخرج جثة إميلي؟ هل الأمر كذلك؟".

لم يجب بوارو.

أومأت الآنسة بيبودي برأسها بتروٍّ وتفكير وكأنها تلقت إجابة.

قالت مبتعدة عن الموضوع: "كثيرًا ما أتساءل، كيف يكون الأمر ... عندما أطالع الصحف، كثيرًا ما تساءلت عما إذا كان من الممكن إخراج جثة شخص في هذه البلدة... ولكنني لم أتوقع أن يكون هذا الشخص هو إميلي أروندیل...".

ثم رمقته بنظرة مفاجئة ثاقبة.

"لم تكن لتحب ذلك، أظن أنك فكرت في ذلك ـــ ها؟".

"نعم فكرت في ذلك".

"أظن أنك ستفعل ـ أنت لست أحمق! ولا أعتقد أنك فضولي أيضًا".

انحنى لها بوارو.

"شكرًا لك يا آنسة".

"وهذا أكثر ما يقوله لك أغلب الناس ـ انظر لشاربك. لماذا لديك شارب هكذا؟ هل تحبه؟".

ابتعدت بوجهي وأنا أمنع نفسي من الضحك.

أجابها بوارو: "في إنجلترا، يتم تجاهل أصحاب الشوارب بطريقة مؤسفة". كان يتحسس شاربه خلسة بيده.

قالت الآنسة بيبودي: "أوه، فهمت! هذا ظريف. أعرف سيدة كانت تعاني تضخم الغدة الدرقية وكانت فخورة بذلك! ألا تصدق ذلك، ولكنها الحقيقة! حسنًا، أقول إنه من حسن الحظ أنك راض عما منحه لك الله. ولكن عادة ما يكون العكس هو الصحيح". هزت رأسها وتنهدت.

"لم أفكر أبدًا أن تحدث جريمة قتل في هذه البقعة المنعزلة من العالم". ثم رمقت بوارو مرة أخرى بنظرة ثاقبة. "أيهم فعل ذلك؟".

"هل عليَّ أن أصرح باسمه هنا في الشارع؟".

"أغلب الظن أنك لا تعرفه، أم أنك تعرفه؟ حسنًا ـ أقارب سوء ـ أقارب سوء، أريد أن أعرف ما إذا كانت المرأة فارلي سممت زوجها أم لا؛ فهذا يمثل فارقًا".

"أتؤمنين بالوراثة؟".

قالت الآنسة بيبودي على نحو مفاجئ:

"أظنه تانيوس. من خارج العائلة، غريب! ولكن الأمنيات لا طائل منها، حظ سيئ. حسنًا، سأتدبر أمري. أرى أنك لن تخبرني بأي شيء... بالمناسبة، من الذي تنوب عنه؟".

قال بوارو بشجاعة:

"أنا أنوب عن الراحلة يا آنسة".

يؤسفني أن أقول إن الآنسة بيبودي تلقت هذه الملحوظة بضحكة مفاجئة بصوت عال. وبعدما هدأت قالت:

"اعذرني. شعرت بأنني أتحدث مع إيزابيل تريب ـ هذا كل ما في الأمر! يا لها من سيدة مروعة! أظن أن جوليا أسوأ منها ـ صبيانية لحد مؤلم. لم أرَ في حياتي سيدة ترتدي ملابس صبيانية مثلها. حسنًا، الوداع. هل رأيت دكتور جرينجر؟".

"آنستي أنا عاتب عليك، لقد أفشيت سري".

انغمست الآنسة بيبودي في قهقهتها المعتادة التي تخرج من الأعماق.

"الرجال غاية في السذاجة! طبعًا ابتلع سلسلة الأكاذيب التي أخبرته بها بمنتهى البساطة. ألم يُجَنَّ عندما أخبرته؟ وخرج يزمجر من شدة الغضب يبحث عنك!".

"لقد وجدني ليلة البارحة".

"أوه! أتمنى لو كنت هناك".

قال بوارو بأناقة: "أتمنى لو كنت هناك يا آنسة".

ضحكت الآنسة بيبودي واستعدت للذهاب، ثم قالت لي وهي تنظر خلفها.

"الوداع أيها الشاب. لا تشترِ تلك الكراسي؛ فهي ليست أصلية".

ثم مضت في طريقها وهي تضحك في نفسها.

قال بوارو: "هذه المرأة ذكية للغاية".

"رغم أنها لم تعجب بشاربك؟".

قال بوارو ببرود: "الذوق نقرة، والعقول نقرة أخرى".

مررنا على المتجر وقضينا عشرين دقيقة ممتعة نستعرض المعروضات. ثم خرجنا منه دون أن ننفق بنسًا واحدًا، وواصلنا سيرنا في اتجاه منزل ليتلجرين.

استقبلتنا إلين بوجه محمر عن العادة، وأدخلتنا غرفة الجلوس. وعلى الفور سمعنا وقع أقدام تنزل درجات السلم، ثم دخلت الآنسة لوسون الغرفة. بدت منقطعة الأنفاس ومرتبكة بعض الشيء. كان شعرها مربوطًا بمنديل من الحرير.

"أمل أن تعذرني على مجيئي وأنا في هذه الحالة يا سيد بوارو؛ فلقد كنت أبحث في الكثير من الدواليب الموصدة ـ وسط العديد من الأشياء ـ فالأشخاص المسنون يحبون جمع أشياء غريبة، وأخشى أن أقول إن الآنسة أروندیل كانت كذلك أيضًا ـ فتندهش كثيرًا ويشيب شعرك مما يجمعونه ـ أربع وعشرون مجموعة من أدوات الحياكة، أربع وعشرون مجموعة فعلاً".

"أتعنين أن الآنسة أروندیل اشترت أربعًا وعشرين مجموعة من أدوات الحياكة؟".

"نعم، ووضعتها في أماكن متعددة ونسيت أمرها، وبالطبع صدئت الإبر مع الأسف. كانت تقدمها للخادمات كهدايا احتفالات رأس السنة".

"كانت كثيرة النسيان، صحيح؟".

"أوه، *كثيرًا*. خاصة عندما تضع الأشياء في أماكن معينة. تمامًا مثل كلب يخبئ عظمته وينسى مكانها ـ هكذا نَصِفُ الأمر فيما بيننا. كنت أقول لها "والآن لا تدفني عظمتك وتنسي أين وضعتها".

ضحكت وأخرجت منديلاً صغيرًا من جيبها وأجهشت بالبكاء.

قالت والدموع في عينيها: "عزيزتي المسكينة، أمر مروع أن أضحك في حديثي هذا".

قال لها بوارو: "أنت حساسة للغاية، حساسة أكثر من اللازم".

"كانت والدتي تقول لي ذلك دومًا يا سيد بوارو. كانت تقول لي: "أنت تأخذين الأمور على قلبك أكثر من اللازم يا ميني". مشكلة كبيرة أن تكون حساسًا أكثر من اللازم يا سيد بوارو، خاصة عندما يكون عليك أن تكسب قوتك".

"آها، هذا صحيح فعلاً، ولكن كل هذا من الماضي؛ فقد أصبحت الآن سيدة نفسك. بإمكانك أن تستمتعي بنفسك ـ تسافري ـ لم يعد لديك ما يخيف أو يقلق".

قالت الآنسة لوسون بشيء من الريبة: "أعتقد أن هذا صحيح".

"بالطبع صحيح. والآن بالحديث عن اعتياد الآنسة أروندیل النسيان، عرفت سبب عدم وصولي خطابها إلا بعد كتابته بفترة طويلة".

شرح لها ظروف وصول خطابها إليه. فظهرت بقعة حمراء على خد الآنسة لوسون. قالت بحدة:

"كان على إلين أن تخبرني! فإرسالها الخطاب لك دون أن تنطق بكلمة وقاحة *بالغة*! كان عليها أن تستشيرني أولاً. هذه وقاحة بالغة! لم أسمع كلمة واحدة عن الأمر برمته، أمر مخزٍ!".

"أوه، سيدتي العزيزة، أنا واثق بأنها فعلت ذلك بحسن نية".

"حسنًا، أنا شخصيًا أجد الأمر *غريبًا* للغاية! غريبًا جدًا! الخدم حقًا تصدر

عنهم تصرفات غاية في الغرابة. كان ينبغي على إلين أن تتذكر أنني سيدة المنزل الآن".

اعتدلت في جلستها بطريقة توحي بالأهمية.

قال لها بوارو: "إلين كانت مخلصة جدًا لسيدتها، أليس كذلك؟".

"أوه، أنا شخصيًا مقتنعة أنه من غير المفيد إحداث بلبلة بعد حدوث الأمر، ولكنني ما زلت مقتنعة بأنه كان الأجدر بإلين أن تعرف أنه ليس مسئوليتها أن تتولى القيام بذلك دون سؤال!". توقفت عن الكلام وعلى كل خد بقعة حمراء.

لزم بوارو الصمت للحظة ثم قال:

"أردت رؤيتي اليوم؟ كيف لي أن أساعدك؟".

هدأ غضب الآنسة لوسون بسرعة كما ثار تمامًا، ثم عادت مرتبكة وغير مترابطة من جديد.

"حسنًا، في الواقع، أتعرف، *تساءلت*... حسنًا، كي أصدقك القول، يا سيد بوارو، لقد أتيت إلى هنا بالأمس، وأخبرتني إلين طيبًا بذهابك إلى المنزل، فتساءلت فقط ـ حسنًا؛ لأنك لم *تقل* لي إنك آتٍ ـ حسنًا، يبدو غريبًا ـ أنني لم أعرف ـــ".

أنهى بوارو كلامها قائلاً: "لم تعرفي ما الذي كنت أفعله هنا؟".

"أنا ـــ حسنًا ـــ لا، بالضبط. لم أفهم".

نظرت إليه بوجهها المحمر وعينها المتسائلة.

قال بوارو: "يجب أن أدلي لك باعتراف صغير. أخشى أن أكون قد تركتك على فهمك الخاطئ. لقد افترضت أن الخطاب الذي تلقيته من الآنسة أروندیل متعلق بكمية صغيرة من المال، أخذها ـ بالطبع ـ السيد تشارلز أروندیل".

أومأت الآنسة لوسون برأسها.

"ولكن الأمر ليس كذلك... لقد سمعت عن الأموال المسروقة للمرة الأولى منك... كتبت لي الآنسة أروندیل عن موضوع الحادثة التي تعرضت لها".

"الحادثة؟".

"نعم، سقوطها من على السلالم".

قالت الآنسة لوسون وهي تبدو حائرة للغاية: "أوه، هذا ـــ هذا ـــ". حدقت النظر في بوارو على نحو فارغ، ثم مضت تقول: "ولكن ـــ أنا آسفة ـــ أنا واثقة أنه غباء شديد مني ـ ولكن لماذا تكتب *لك*؟ لقد فهمت ـــ في الواقع أظنك قلت ـــ إنك محقق. أنت لست طبيبًا أيضًا؟ أو معالجًا روحيًا؟".

"لا، لست طبيبًا، ولست معالجًا روحيًا. ولكنني مثل أي طبيب أشغل نفسي أحيانًا بما يسمى حالات الوفاة المفاجئة".

"حالات الوفاة المفاجئة؟".

"قلت ما *يسمى* حالات الوفاة المفاجئة. صحيح أن الآنسة أروندیل *ماتت* ـ ولكن لعلها لم تمت ميتة طبيعية".

"أوه، اعذرني، ولكن الطبيب قال ذلك، ولكنني لا أفهم ـــ".

بدت الآنسة لوسون لا تزال حائرة.

"كان من المعتقد أن سبب الحادثة هو كرة بوب الصغيرة، أليس كذلك؟".

"نعم، نعم، هذا صحيح، كانت كرة بوب".

"أوه، لا، لم تكن كرة بوب".

"ولكن اعذرني يا سيد بوارو، لقد رأيتها هناك بأم عيني ـ عندما ركضنا جميعًا ناحية السلم".

"لعلك رأيتها، هذا صحيح. *ولكنها لم تكن سبب الحادث*؛ فسبب الحادث يا آنسة لوسون كان خيطًا صغيرًا لونه قاتم شُدَّ على *ارتفاع قدم أعلى السلالم*".

"ولكن ـــ كلب لا يمكنه ـــ".

قال بوارو بسرعة: "بالضبط، لا يمكن لكلب أن يفعل ذلك ـ إنه ليس بالذكاء الكافي ـ أو إذا شئت ليس *بالشر* الكافي ... لقد وضع *شخص ما* خيطًا في هذا المكان...".

شحب وجه الآنسة لوسون إلى درجة الموت. ورفعت يدها المهتزة ووضعتها على وجهها.

"أوه، سيد بوارو ـ لا أصدق ذلك ـ أنت لا تعني ـ ولكن هذا مروع ـ مروع للغاية. أتعني أن الحادثة كانت *بفعل فاعل*؟".

"نعم، كانت بفعل فاعل".

"ولكن هذا مروع ـ هذا أشبه ـ أشبه بقتل شخص ما".

لو كانت المحاولة قد نجحت، *لأودت* بحياتها! بتعبير آخر لكانت أصبحت جريمة قتل!".

أطلقت الآنسة لوسون صرخة صغيرة.

تابع بوارو كلامه بالنبرة بالغة الأهمية نفسها.

"لقد دق مسمار في حافة الحائط ليتم شد خيط عليه. وطُلي هذا المسمار حتى لا يظهر. أخبريني، هل شممت رائحة طلاء لم تعرفي سببه؟".

صرخت الآنسة لوسون مرة أخرى.

"أوه، كم هذا غريب! أن تفكر بهذه الطريقة! لماذا طبعًا؟ لم أفكر أبدًا ـ لم أتخيل ـ ولكن كيف يمكنني؟ وبالرغم من ذلك وجدت الأمر غريبًا في ذلك الوقت".

مال بوارو ناحية الأمام.

"إذن بإمكانك مساعدتنا يا آنسة. بإمكانك أن تساعديني مرة أخرى. *أرجوك*!".

"يا إلهي! ولكن هذا ممكن".

"أخبريني، بالله عليك. هل شممت رائحة طلاء ـ نعم؟".

"نعم، بالطبع، لم أعرف ما هذه الرائحة. ظننته ـ يا إلهي ـ طلاء ـ لا كانت رائحته أشبه بدهان الأرضيات، وظننت في ذلك الوقت أنني *تخيلت* ذلك".

"متى كان ذلك؟".

"دعني أذكر ـ متى كان ذلك؟".

"هل كان ذلك في أثناء عطلة عيد الربيع والبيت يعج بالضيوف؟".

"نعم، هذا صحيح ـ ولكنني أحاول أن أتذكر في أي يوم كان ذلك... والآن دعني أتذكر، لم يكن يوم الأحد، لا، لم يكن يوم الثلاثاء ـ كان ذلك ليلة قدوم دكتور دونالدسون على العشاء. ويوم الأربعاء غادر الجميع المنزل. لا، بالطبع كان ذلك يوم *الاثنين* ـ يوم إجازة البنك. كنت مستيقظة في ذلك الوقت ـ قلقة

بعض الشيء. لطالما كنت أشعر بأن إجازة البنك يوم مقلق! لم يكن لدينا سوى قدر قليل من اللحم البقري البارد على العشاء وكنت أخشى أن تنزعج الآنسة أروندیل لذلك. كنت قد طلبت قطعة كبيرة من اللحم يوم السبت، وكان عليّ أن أطلب سبعة أرطال، ولكنني اعتقدت أن خمسة ستفي بالغرض، ولكن الآنسة أروندیل كانت تستاء دومًا إن كان هناك أي عجز ـ كانت مضيافة للغاية ـ".

سكتت الآنسة لوسون لتأخذ نفسًا عميقًا ثم أسرعت تقول.

"وكنت مستيقظة وأتساءل لماذا تتحدث في هذا الأمر غدًا، وبسبب انشغالي طوال اليوم، كان النعاس يغالبني. وبينما كنت أوشك على النوم، أيقظني شيء ما: نقر أو دق، فجلست على سريري، وتشممت رائحة ما؛ فدائمًا كنت أخشى اندلاع حريق، أحيانًا أشعر بأنني أشم رائحة حريق مرتين أو ثلاثًا كل ليلة (إحساس مروع أن *تحاصرك النار*). على أية حال، كانت هناك رائحة، تشممتها جيدًا ولم تكن رائحة دخان أو شيئًا كهذا. وقلت لنفسي إنها لتبدو كرائحة طلاء أو دهان أرضيات. ولكن الرائحة كانت قوية للغاية، فجلست أتشمم وأتشمم، ثم رأيتها في المرآة ـــ".

"*رأيتها*؟ رأيت من؟".

"في المرآة؛ فدائمًا ما أترك باب غرفتي مفتوحًا بعض الشيء، لكي أسمع الآنسة أروندیل إذا نادتني، وحتى أراها إذا صعدت أو نزلت السلالم. وكنت دائمًا ما أترك مصباحًا مضاءً في الممر. هكذا رأيتها جاثية على ركبتيها على السلالم، أعني تريزا. كانت جاثية على ركبتيها على الدرجة الثالثة ورأسها منحن لأسفل فتساءلت في نفسي: "كم هذا غريب، أتساءل هل هي *مريضة*؟". وعندما نهضت وصعدت لأعلى، ظننت أنها انزلقت أو شيئًا من هذا القبيل. أو لعلها انحنت لتلتقط شيئًا أسقطته. وبالطبع لم أفكر في هذا الأمر مرة أخرى بأي شكل".

قال بوارو: "الدق الذي أيقظك، هل من الممكن أن يكون دق مسمار".

"نعم، أظن ذلك. ولكن، أوه يا سيد بوارو، كم *هذا* مروع، كم هذا مروع حقًا. لطالما شعرت بأن تريزا ربما تكون *شرسة* بعض الشيء، ولكن أن تفعل شيئًا كهذا".

"هل أنت واثقة بأنها كانت تريزا؟".

"أوه، طبعًا".

"ألا يمكن أن تكون السيدة تانيوس أو إحدى الخادمات، على سبيل المثال؟".

"لا، كانت تريزا".

هزت الآنسة لوسون رأسها وتمتمت محدثة نفسها:

"يا إلهي، يا إلهي". قالتها عدة مرات.

كان بوارو يحدق النظر فيها بطريقة يصعب عليَّ فهمها.

قال لها على نحو مفاجئ: "اسمحي لي، بأن أجري تجربة. دعينا نصعد السلالم ونحاول أن نعيد تمثيل هذا المشهد الصغير".

"إعادة تمثيل؟ أوه، أنا لا أعرف ـــ أعني أنني لا أرى بالضبط ـــ".

قاطعها بوارو بطريقة آمرة قائلاً: "سوف أريك".

احمر وجه الآنسة لوسون بعض الشيء، ثم سبقته لأعلى.

قالت الآنسة لوسون بطريقة متقطعة: "آمل أن تكون الغرفة مرتبة ـ هناك الكثير لعمله ـ مشاغل كثيرة ـــ".

كانت الغرفة فعلاً ممتلئة بكثير من الأشياء المبعثرة، واضح أنها نتيجة بحث الآنسة لوسون في الدواليب. وبطريقتها المعتادة غير المترابطة نجحت في أن تشير لبوارو عن مكانها، وتمكن بوارو من التأكد بنفسه من صحة انعكاس جزء من المشهد على السلالم في مرآة الحائط.

اقترح قائلاً: "والآن يا آنسة، أرجو أن تذهبي للسلالم وتمثلي المشهد الذي رأيته".

تمتمت الآنسة لوسون قائلة: "أوه، يا إلهي!"، وخرجت لتمثل دورها، وأخذ بوارو يراقب المشهد.

انتهى المشهد، وخرج بوارو ونزل الدرج، وسأل عن المصباح الكهربي الذي يترك مضاءً.

"هذا المصباح، ذلك الموجود هناك. خارج باب غرفة الآنسة أروندیل بالضبط".

مد بوارو ذراعه وأخرج المصباح وفحصه.

"مصباح أربعين وات، ليس قويًا جدًا".

"أوه يا سيد بوارو. *أزعجتني؟ أنا أشعر بأنني مريضة للغاية! يا إلهي! يا إلهي! إنه عالم شرير! عالم شرير مروع للغاية!*".

قاطع بوارو نواحها عندما أمسك يدها بقوة.

"وبالرغم من ذلك. هل ما زلت *مستعدة لكي تقسمي أنك رأيت تريزا أروندل جاثية على ركبتيها ليلة إجازة البنك؟*".

"أوه، نعم، أستطيع أن أقسم على ذلك".

"وبإمكانك أن تقسمي أيضًا أنك رأيت هالة من ضوء تحيط برأس الآنسة أروندل خلال جلسة تحضير الأرواح الأخيرة؟".

انفتح فم الآنسة لوسون.

"أوه، يا سيد بوارو، لا تمزح في هذه الأمور".

"أنا لا أمزح. أنا جاد تمامًا".

قالت الآنسة لوسون بوقار شديد:

"لم تكن هالة بالضبط. كانت أشبه ببداية تجسد. خرج من فمها شريط منير. أظنها كانت بداية تجسد وجه".

"أمر مثير للغاية. الوداع يا آنسة، أرجو أن تذكّري نفسك بكل ذلك".

"أوه طبعًا، طبعًا؛ فنسيان هذه الأمور صعب عليَّ...".

آخر ما رأيناه من الآنسة لوسون كان وجهًا أشبه بوجه خروف يحملق فينا ونحن نخرج من الباب الأمامي.

الثالث والعشرون

زيارة من دكتور تانيوس

بمجرد أن خرجنا من المنزل، تغير بوارو كثيرًا؛ فقد عبس وتجهم وجهه.

قال لي: "يجب أن نسرع يا هاستينجز. يجب أن نعود إلى لندن في أقرب وقت ممكن".

أسرعت بخطواتي كي ألحق به: "أنا على أتم استعداد"، ثم ألقيت نظرة سريعة على وجهه الجاد.

سألته: "فيمن تشك يا بوارو. آمل أن تخبرني. هل أنت موقن أن تريزا أروندل هي المرأة التي كانت واقفة على السلالم؟".

لم يجب بوارو عن أسئلتي، وإنما طرح هو عليَّ سؤالاً.

"هل خطر ببالك ـ فكر قبل أن تجيب ـ هل خطر ببالك أن هناك شيئًا *خاطئًا* في كلام الآنسة.

ماذا تعني ـ بخاطئ؟".

"لو كنت أعرف لما سألتك!".

"نعم، ولكن خاطئ بأي شكل؟".

"هذا كل ما في الأمر. لا يمكن أن أكون دقيقًا، ولكن عندما كانت تتكلم، انتابني ـ بشكل ما ـ شعور بأن هناك شيئًا غير حقيقي... كأن هناك شيئًا ـ نقطة صغيرة خاطئة ـ كان ذلك، نعم شعور بأن هذا مستحيل...".

"بدت واثقة للغاية أنها كانت تريزا!".

"نعم، نعم".

"ولكن على كل، لم تكن الإضاءة قوية بالدرجة الكافية. لا أعرف كيف تكون واثقة من كلامها لهذه الدرجة".

"لا، لا يا هاستينجز. أنت لا تساعدني. كانت نقطة صغيرة ـــ شيئًا له علاقة بـ ـــ نعم، أنا واثق من ذلك ـــ غرفة النوم".

هز بوارو رأسه بطريقة تعكس قلقه.

سألته: "لماذا أثرت مسألة الجلسة الروحية مرة أخرى؟".

"لأنها مهمة".

"ما المهم؟ "الشريط المنير" الذي تحدثت عنه الآنسة لوسون؟".

"أتذكر وصف الأختين تريب لتلك *الجلسة*؟".

"أعرف أنهما رأتا هالة تحيط برأس السيدة العجوز". توقفت عن الكلام وضحكت رغمًا عني. "لا يجب أن نصدق أنها كانت قديسة بأي حال من الأحوال! يبدو أن الآنسة لوسون كانت خائفة منها للغاية. شعرت بحزن كبير من أجل السيدة المسكينة عندما وصفت كيف ظلت مستيقظة؛ خائفة لحد الموت لأنها قد تطلب منها شريحة صغيرة من لحم بقري".

"نعم أمر محزن فعلاً".

سألت بوارو بعدما دخلنا فندق جورج وطلب بوارو تسديد الحساب: "ماذا سنفعل عندما نصل إلى لندن؟".

"يجب أن نذهب لرؤية تريزا أروندیل على الفور".

"ونكتشف الحقيقة؟ ولكن ألن تنكر الأمر برمته؟".

"صديقي العزيز، وقوفها على السلالم ليس جريمة! لعلها كانت تلتقط دبوسًا صغيرًا يجلب لها الحظ ـ أو شيئًا من هذا القبيل!".

"ورائحة الطلاء؟".

لم نتمكن من متابعة حديثنا؛ فقد وصل النادل ومعه الفاتورة.

في طريقنا إلى لندن لم نتحدث كثيرًا؛ فأنا لا أحب الكلام في أثناء القيادة، كما كان بوارو مشغولاً للغاية بحماية شاربه من الآثار المروعة للرياح والأتربة مستخدمًا وشاحه، وهو ما منعه من الكلام.

وصلنا إلى الشقة في الساعة الثانية وعشرين دقيقة.

فتح لنا جورج الباب؛ خادم بوارو الإنجليزي الذي يتسم بنظافة متناهية.

"دكتور تانيوس ينتظر رؤيتك يا سيدي. إنه هنا منذ نصف ساعة".

"دكتور تانيوس؟ أين هو؟".

"في غرفة الجلوس يا سيدي. كما جاءت أيضًا سيدة ترغب في رؤيتك. بدت منزعجة للغاية عندما لم تجدك في المنزل. كان ذلك قبل أن أتلقى رسالتك الهاتفية يا سيدي. لذلك لم أستطع أن أبلغها بأنك سوف تعود إلى لندن".

"صف هذه السيدة".

"طولها حوالي خمسة أقدام، شعرها قاتم اللون وعيناها زرقاوان فاتحتان. وكانت ترتدي معطفًا رماديًا وتنورة، وكانت تضع قبعة على رأسها ترجعها للخلف بدلاً من أن تضعها فوق عينها اليمنى".

هتفت بصوت منخفض قائلاً: "السيدة تانيوس".

"بدت في حالة انفعال عصبي شديد يا سيدي. قالت إن الأمر غاية في الخطورة وإنها يجب أن تلقاك بسرعة".

"متى كان ذلك؟".

"في حوالي العاشرة والنصف يا سيدي".

هز بوارو رأسه وهو يتقدم ناحية غرفة الجلوس.

"هذه هي المرة الثانية التي أنسى فيها أن أستمع لما تريد السيدة تانيوس قوله. ما رأيك يا هاستنجز؛ هل للقدر يد في ذلك؟".

قلت مواسيًا له: "أتمنى أن يسعدك الحظ في المرة الثالثة".

"هل ستكون هناك مرة ثالثة؟ أشك. تعال، دعنا نستمع لما يود زوجها أن يقوله لنا".

كان دكتور تانيوس جالسًا على كرسي بذراعين يقرأ أحد كتب بوارو في علم النفس، فانتفض من مكانه وحيانا.

"اعذرني على التطفل. آمل ألا تمانع قدومي بهذه الطريقة وانتظارك على هذا النحو".

"أبدًا، أبدًا. اجلس من فضلك. اسمح لي بأن أقدم لك العصير".

"شكرًا لك، في الواقع يا سيد بوارو معي عذري؛ فأنا قلق، قلق للغاية على زوجتي".

"على زوجتك؟ أنا آسفة جدًا. ما خطبها؟".

قال تانيوس:

"لعلك رأيتها مؤخرًا؟".

بدا السؤال طبيعيًا للغاية، ولكن النظرة السريعة التي صاحبت السؤال لم تكن طبيعية على الإطلاق.

أجاب بوارو بطريقة عملية للغاية.

"لا، لم أرها منذ كنا في الفندق معك بالأمس".

"أها، ظننت أنها ربما تكون قد زارتك".

كان بوارو مشغولاً بصب ثلاثة أكواب من العصير.

قال بطريقة تعكس شرود ذهنه بعض الشيء:

"لا. هل هناك سبب لزيارتها؟".

قال دكتور تانيوس وهو يأخذ منه الكوب: "لا، لا. شكرًا لك. شكرًا جزيلاً لك. لا، ليس هناك سبب محدد، ولكن لكي أكون صريحًا معك أنا قلق للغاية على صحة زوجتي".

"أها، هل هي مريضة؟".

قال تانيوس ببطء: "صحتها البدنية جيدة، ولكنني أتمنى أن تكون صحتها العقلية كذلك".

"أها؟".

"أخشى يا سيد بوارو، أن تكون على وشك انهيار عصبي حاد".

"عزيزي دكتور تانيوس، أنا آسف لذلك جدًا".

"كانت هذه الحالة تتطور منذ فترة. وخلال الشهرين الأخيرين تغيرت تصرفاتها الأخيرة معي تمامًا. أصبحت عصبية، تندهش بسرعة، كما أنها أصبحت تتخيل أشياء غريبة للغاية؛ في الواقع أكثر من مجرد خيالات ـ إنها *أوهام*!".

"حقًا؟"

"نعم. إنها تعاني ما يعرف بين العامة بجنون الاضطهاد ـ حالة معروفة جدًا".

أحدث بوارو صوتًا ينم عن تعاطفه.

"يمكنك أن تتفهم مخاوفي!".

"طبيعي. طبيعي. ولكن ما لا أفهمه هو سبب قدومك لي. كيف لي أن أساعدك؟".

بدا دكتور تانيوس محرجًا بعض الشيء.

"خطر لي أن تكون زوجتي قد ـ أو ربما تأتيك بقصة غريبة؛ فمن الممكن أن تقول إنها في خطر معي ـ شيء من هذا القبيل".

"ولكن لماذا *تأتيني*؟".

ابتسم دكتور تانيوس ـ ابتسامة ساحرة ـ ودودة ولكن حزينة.

"أنت محقق معروف يا سيد بوارو. لقد لاحظت على الفور، أن زوجتي انبهرت كثيرًا بلقائها بك الليلة البارحة. مجرد حقيقة التقائها بمحقق قد تترك انطباعًا قويًا بداخلها في حالتها الحالية. وظننت أنه من المحتمل جدًا أنها قد تأتيك ـــ و ـــ حسنًا ـــ تأتمنك على أسرارها؛ فحالات الانهيار العصبي تأتي على هذا النحو! كما يميل المريض للانقلاب على أحبائه وأعزائه".

"أمر محبط للغاية".

"نعم، فعلاً. أنا مغرم بزوجتي كثيرًا". كان يتحدث بصوت يفيض رقة وحنانًا. "دائمًا ما أشعر بأن زواجها من ـ رجل أجنبي ـ تطلب قدرًا كبيرًا من الشجاعة من جانبها، وسفرها معي لبلدة بعيدة، وتركها كل أصدقائها وكل ما يحيط بها. على مدار الأيام القليلة الأخيرة كنت مذهولاً للغاية... ولا أرى سوى سبيل واحد ...".

"وهو؟".

"الراحة التامة والهدوء، وتلقي علاج نفسي مناسب. هناك منزل رائع يملكه رجل راق. أريد أن آخذها إلى هذا المنزل ـ في نورفولك ـ مباشرة. فتخلد للراحة التامة وتنعزل عن أي مؤثر خارجي؛ هذا هو كل ما تحتاج إليه. أنا مقتنع بأنها بمجرد أن تقضي شهرًا أو اثنين مع علاج جيد سوف تتغير حالتها للأفضل".

قال بوارو: "فهمت".

قال هذه الكلمة بطريقة عملية للغاية دون أن يظهر أو يلمح للمشاعر التي راودته.

رمقه تانيوس مرة أخرى بنظرة سريعة .

"لهذا السبب، إذا جاءتك، سأكون ممتنًا للغاية إذا أطلعتني بذلك على الفور".

"بالتأكيد. سأتصل بك. أما زلت تقيم في فندق دورهام؟".

"نعم، سأذهب إلى هناك الآن".

"وزوجتك، أليست هناك؟".

"خرجت بعد الإفطار مباشرة".

"دون أن تخبرك إلى أين ستذهب؟".

"دون أن تنطق كلمة واحدة. هذا تصرف غريب عليها تمامًا".

"والطفلان؟".

"أخذتهما معها".

"فهمت".

وقف تانيوس.

"شكرًا جزيلاً لك يا سيد بوارو. لست بحاجة لأن أقول لك إنها إذا أخبرتك بأي حكايات غريبة عن التهديدات والاضطهاد الذي تعانيه فلا تلقِ لها بالاً. فلسوء الحظ أن هذا جزء من علتها".

قال بوارو بتعاطف شديد: "أمر مؤسف".

"هذا صحيح. ورغم أنني أعرف ـ من الناحية الطبية ـ أن هذا جزء من مرض ذهني معروف، لا يمكنني أن أمنع نفسي من الشعور بالألم عندما ينقلب محبوب عزيز عليك وتتحول كل عاطفته تجاهك إلى كره".

قال بوارو وهو يصافح ضيفه: "أنا متعاطف معك تمامًا".

نادى بوارو تانيوس وهو على الباب قائلاً: "بالمناسبة ـ ".

"نعم؟".

"هل وصفت لزوجتك عقار الكلورال؟".

أصدر تانيوس حركة تنم عن اندهاشه.

"أنا ـ لا ـ أو لعلي فعلت، ولكن ليس مؤخرًا. يبدو أنها كانت تتعاطى نوعًا من الأقراص المنومة".

"أها! أظن أن هذا هو السبب أنها لا تثق بك؟".

"سيد بوارو!".

تقدم تانيوس نحو بوارو وهو غاضب للغاية.

قال بوارو مهدئًا إياه: "هذا سيكون جزءًا من العلاج".

"طبعًا، طبعًا".

"أغلب الظن أنها تشك كثيرًا في أي شيء تنصحها بأكله أو شربه. لعلها تشك في أنك تريد أن تسممها؟".

"يا إلهي! أنت محق تمامًا يا سيد بوارو. إذن أنت تعرف شيئًا عن مثل هذه الحالات؟".

"أقابلها بين الحين والآخر، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك في مهنتي. ولكن لا تجعلني أؤخرك أكثر من ذلك. لعلها تنتظرك في الفندق".

"هذا صحيح. آمل أن أجدها هناك. أنا قلق للغاية".

أسرع بالخروج من الغرفة.

اتجه بوارو بسرعة ناحية الهاتف. وأخذ يقلب صفحات دليل الهاتف وسأل عن رقم ما.

"آلو، آلو، هل هذا فندق دورهام. هل السيدة تانيوس موجودة في الفندق؟ ماذا؟ تا ذ ي و س. نعم، هذا صحيح. نعم؟ نعم؟ أها، حسنًا".

وضع سماعة الهاتف.

"لقد غادرت السيدة تانيوس الفندق هذا الصباح وأخذت حقائبها. ثم عادت في الساعة الحادية عشرة، وظلت بداخل سيارة أجرة حتى أنزلت حقائبها ثم انطلقت من جديد".

"هل يعرف دكتور تانيوس أنها أخذت حقائبها؟".

"أظنه لا يعرف بعد".

"إلى أين ذهبت؟".

"لا أحد يعرف".

"هل تظنها سوف تعود إلى هنا؟".

"ربما، لا أستطيع أن أجزم بذلك".

"ربما سترسل لك خطابًا".

"ربما".

"ما الذي يمكننا عمله؟".

هز بوارو رأسه. بدا قلقًا ومحبطًا.

"لا يمكننا عمل أي شيء في الوقت الراهن. سنتناول غداءنا بسرعة، ثم نذهب لرؤية تريزا أروندیل".

"هل تظن أنها هي المرأة التي كانت واقفة على السلالم؟".

"من الصعب أن أجزم بذلك. الشيء الوحيد المؤكد هو أن الآنسة لوسون لم ترَ وجهها. رأت قامة طويلة بملابس النوم، هذا كل ما في الأمر".

"ودبوس الزينة".

"صديقي العزيز، دبوس الزينة ليس جزءًا من التركيب البنيوي للشخص! فقد ينفصل عن ذلك الشخص. قد يضيع ـ أو يستعار ـ أو حتى يسرق".

"بتعبير آخر، لا تريد أن تصدق أن تريزا أروندیل مذنبة".

"أريد أن أسمع ما ستقوله عن هذا الأمر".

"وماذا لو عادت السيدة تانيوس؟".

"سوف أرتب هذا الأمر".

أحضر جورج البيض الأومليت.

قال له بوارو: "اسمع يا جورج، إذا عادت تلك السيدة، فاطلب منها أن تنتظر. وإذا عاد دكتور تانيوس في أثناء وجودها، فلا تسمح له بالدخول لأي سبب كان. وإذا سأل عما إذا كانت زوجته موجودة، فأخبره بأنها لم تأتِ، فهمت؟".

"حسنًا يا سيدي".

أقبل بوارو على تناول طبق الأومليت.

قال: "الأمر يعقد نفسه. يجب أن نتصرف بحذر شديد. فإن لم نفعل، فسوف يسدد القاتل ضربة أخرى".

"إن فعل، فسوف تصل إليه".

"محتمل جدًا، ولكنني أفضل حماية حياة البريء على إدانة المذنب. يجب أن نتوخى الحذر الشديد".

الرابع والعشرون

إنكار تريزا

وجدنا تريزا أروندیل توشك على الخروج من المنزل.

كانت جذابة بصورة أكثر من المعتاد. كانت تضع قبعة صغيرة مسايرة للموضة على رأسها، وكانت تميل لأسفل فوق عينها اليمنى. أدركت على الفور والدهشة تتملكني أن بيلا تانيوس حاولت أن تقلدها بارتداء قبعة رخيصة ـ كما قال عنها جورج ـ تضعها فوق رأسها وترجعها للخلف بدلاً من أن تضعها فوق عينها اليمنى. تذكرت جيدًا كيف كانت ترجعها للخلف فيظهر شعرها غير المرتب.

قال بوارو بأدب:

"هل يمكنني أن أعطلك لحظة أو اثنتين يا آنسة، أم أن هذا سيؤخرك كثيرًا؟".

ضحكت تريزا.

"أوه، هذا غير مهم؛ فدائمًا ما أتأخر ساعة إلا ربع الساعة على أي موعد. وقد أتأخر ساعة أيضًا".

قادته إلى غرفة الجلوس. وفوجئت عندما رأيت دكتور دونالدسون واقفًا على كرسي بجوار النافذة.

"لقد التقيت بالسيد بوارو من قبل يا ريكس، أليس كذلك؟".

قال دونالدسون بنبرة فظة: "التقينا في ماركيت بيسينج".

قالت تريزا: "كنت تتظاهر بتأليف كتاب عن حياة جدي السكير كما أذكر. حبيبي ريكس، هلا تركتنا قليلاً؟".

"شكرًا لك يا تريزا، ولكنني أظن أنه من الأفضل أن أتواجد معكما". تبادلا النظرات فيما بينهما. كانت تريزا تنظر إليه بطريقة آمرة، وكان دونالدسون ينظر إليها بطريقة جامدة. فرمقته بنظرة غضب سريعة.

"حسنًا، اجلسا إذن، اللعنة!".

بدا دكتور دونالدسون رابط الجأش.

جلس مرة أخرى على الكرسي المجاور للنافذة، واضعًا كتابه على ذراع الكرسي. فوجدته كتابًا عن الغدة النخامية.

جلست تريزا على كرسيها المفضل المنخفض الذي ليس له ظهر ونظرت بنفاد صبر إلى بوارو.

"حسنًا، لقد رأيت السيد بيرفيس؟ ماذا دار بينكما؟".

قال بوارو بصوت لا يخلو من ريبة:

"هناك احتمالات يا آنسة".

نظرت إليه بتأمل، ثم ألقت نظرة ضعيفة للغاية ناحية الطبيب. أظنها ـ كما ظننت ـ تهديدًا لبوارو.

تابع بوارو كلامه قائلاً: "ولكن أظن أنه من الأفضل، أن أبلغك بما حدث في وقت لاحق وأواصل أنا متابعة خططي".

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه تريزا للحظة.

تابع بوارو كلامه:

"لقد جئت اليوم من ماركيت بيسينج، وبينما كنت هناك تحدثت مع الآنسة لوسون. أخبريني يا آنسة، هل جثوت على ركبتك ليلة الثالث عشر من أبريل (كان ذلك في ليلة إجازة البنك) على السلالم بعدما ذهب الجميع للنوم؟".

"عزيزي هيركيول بوارو، كم أجد هذا السؤال غريبًا؟ ولماذا أفعل؟".

"أنا لا أسأل يا آنسة عن *السبب*، ولكنني سألتك *هل فعلت ذلك*".

"أنا واثقة أنني لا أعرف. أظنني لم أفعل شيئًا كهذا".

"أتفهمين يا آنسة، الآنسة لوسون *قالت إنك فعلت*".

هزت تريزا كتفيها الجذابتين.

"هل هذا مهم؟".

"مهم للغاية".

حدقت النظر إليه، فحدق بوارو بدوره النظر فيها بطريقة ودودة للغاية.

قالت تريزا: "هذا سخيف!".

"*عذرًا*؟".

"سخيف للغاية! ألا تعتقد ذلك يا ريكس؟".

سعل دكتور دونالدسون.

"اعذرني يا سيد بوارو، ولكن ما الهدف من هذا السؤال؟".

مد صديقي يده.

"الأمر في منتهى البساطة! هناك شخص دق مسمارًا في مكان ما أعلى السلالم. وقام بطلائه بدهان بني لكي لا يختلف عن لون حافة الحائط".

سألت تريزا: "هل هذا نوع جديد من السحر؟".

"لا يا آنسة، الأمر أبسط من ذلك؛ ففي اليوم التالي ـ يوم الثلاثاء ـ ربط شخص ما خيطًا في المسمار وشده ناحية الدرابزين أملاً أن يعرقل الآنسة أروندیل عندما تخرج من غرفتها فتسقط من على السلالم".

"أخذت تريزا نفسًا عميقًا".

"كانت كرة بوب".

"معذرة ولكن الأمر ليس كذلك".

ساد صمت للحظة، كسره دونالدسون الذي قال بصوته الهادئ والدقيق:

"عذرًا، ولكن ما دليلك على هذا الكلام؟".

قال بوارو بهدوء:

"الدليل هو المسمار، وكلمات الآنسة أروندیل نفسها، وأخيرًا شهادة الآنسة لوسون لما رأته بعينيها".

قالت تريزا بعدما أفاقت من صدمتها.

"قالت *إنني فعلت* ذلك، أليس كذلك؟".

لم يجبها بوارو سوى بانحناءة بسيطة من رأسه.

"حسنًا، هذا كذب! ليست لي أية علاقة بذلك!".

"كنت جاثية على ركبتك على السلالم لسبب آخر؟".

"لم أجث على السلالم أبدًا!".

"انتبهي لما تقولينه يا آنسة".

"لم أكن هناك! لم أخرج من غرفتي أبدًا بعدما ذهبت للنوم في أية ليلة".

"ولكن الآنسة لوسون رأتك".

"لعلها رأت بيلا تانيوس أو إحدى الخادمات".

"تقول إنها أنت".

"كذابة حقيرة!".

"لقد تعرفت على ملابس نومك ودبوس الزينة الذي ترتدينه".

"دبوس الزينة ـ أي دبوس؟".

"الدبوس الذي يحمل الأحرف الأولى لاسمك".

"أوه، أنا أعرفها! إنها تكذب طوال الوقت!".

"أما زلت تنكرين أنها رأتك أنت؟".

"إذا كان كلامي يتنافى مع كلامها ـــ".

"أنت تجيدين الكذب أكثر منها ـــ ها؟".

قالت تريزا بهدوء:

"لعل هذا صحيح. ولكنني أقول الحقيقة هذه المرة. لم أكن أُعدُّ شَرَكًا لأحد، أو ساجدة، أو ألتقط خاتمًا من الذهب أو الفضة، أو أفعل أي شيء على السلالم".

"أليك دبوس الزينة الذي تحدثت عنه؟".

"ربما، أتريد أن تراه؟".

"إذا سمحت يا آنسة".

نهضت تريزا من مكانها وغادرت الغرفة، فساد صمت مروع. وثبت دكتور دونالدسون نظره على بوارو وكأنه يفحص جثة يقوم بتشريحها.

عادت تريزا إلى الغرفة.

"ها هو".

ألقت الدبوس تقريبًا في وجه بوارو. كان دبوسًا كبيرًا ولامعًا من الكروم أو الصلب المقاوم للصدأ، في منتصفه دائرة مكتوب عليها حرفي ت. أ. عليَّ أن أعترف بأنه كان كبيرًا للغاية ولامعًا لدرجة تجعل من السهل على الآنسة لوسون أن تراه في المرآة.

قالت تريزا: "لم أعد أرتديه الآن؛ فقد مللته بعدما انتشر بكثرة في لندن. فأي خادمة أصبحت ترتديه".

"ولكنه كان باهظًا عندما اشتريته؟".

"أوه، نعم. كان باهظًا للغاية في بداية ظهوره".

"متى كان ذلك؟".

"أظنني اشتريته في رأس السنة السابقة. نعم، في ذلك الوقت تقريبًا".

"هل أعرته لأي شخص؟".

"لا".

"كان معك في منزل ليتلجرين؟".

"أظن ذلك. نعم، كان معي أذكر ذلك".

"هل تركته في أي مكان؟ هل خرج من حوزتك في أثناء تواجدك هناك؟".

"لا، لم أتركه، كنت أضعه على سترة خضراء. وأنا أرتدي السترة نفسها كل يوم".

"وفي المساء؟".

"كان لا يزال في السترة".

"والسترة".

"أوه، اللعنة، تركتها على كرسي".

"هل أنت واثقة أنه لم يأخذه أي شخص وأعاده في اليوم التالي؟".

"سوف نقول ذلك في المحكمة إن شئت ـ إذا كنت تعتقد أن هذه أفضل كذبة لديك! في الواقع أنا *واثقة تمامًا* من عدم حدوث شيء كهذا! من المحتمل أن يكون هناك من حاول أن يلصق بي الجريمة ـ ولكنني لا أظن ذلك صحيحًا".

تجهم بوارو. ثم نهض من مكانه، وثبت الدبوس بعناية على طية معطفه واقترب من مرآة موضوعة على طاولة في الناحية المقابلة من الغرفة. وقف أمام المرآة ثم تحرك ببطء ناحية الوراء، لكي يدرس تأثير ابتعاده عنها.

ثم صاح يقول:

"كم أنا معتوه! طبعًا!".

عاد وأعطى تريزا الدبوس بعدما انحنى لها.

"أنت محقة تمامًا يا آنسة؛ فالدبوس ظل بحوزتك طوال الوقت! كنت غبيًا للغاية".

قالت تريزا، وهي تثبت الدبوس في ملابسها بإهمال: "أنا لا أحب التواضع".

نظرت إليه لأعلى.

"هل هناك شيء آخر؟ يجب عليَّ عمله".

"لا شيء، يمكننا مواصلة كلامنا في وقت لاحق".

تحركت تريزا ناحية الباب، وتحدث بوارو بصوت هادئ:

"قد نقوم بتشريح الجثة ـــ".

تسمرت تريزا في مكانها كالأموات، فسقط الدبوس على الأرض.

"ماذا قلت؟".

قال بوارو بوضوح:

"من المحتمل أن نقوم بتشريح جثة الآنسة إميلي أروندیل".

وقفت تريزا ثابتة في مكانها مطبقة يديها، ثم قالت بصوت منخفض غاضب:

"هل أنت *المسئول* عن ذلك؟ لا يمكن عمل ذلك دون أن تحصل على إذن من العائلة!".

"أنت مخطئة يا آنسة، لا يمكن عمل ذلك دون الحصول على أمر من وزارة الداخلية".

قالت تريزا: "يا إلهي!".

التفت وأخذت تسير جيئة وذهابًا.

قال دونالدسون بهدوء:

"أنا لا أرى فعلاً أي حاجة لأن تغضبي يا تريزا. أقول إن الفكرة قد تكون غير محببة لأي غريب، ولكن ــ".

قاطعته بقولها:

"لا تكن أحمق يا ريكس!".

سألها بوارو:

"الفكرة تزعجك يا آنسة؟".

"بالطبع تزعجني! هذا غير لائق. عمتي إميلي المسكينة. لماذا بحق السماء يتم *تشريح* جثتها؟".

قال دونالدسون وهو ينظر بعين التساؤل إلى بوارو: "أظن أنه ليس هناك شك في سبب الوفاة؟". ثم أردف يقول: "أعترف بأنني مذهول. أظن أنه ليس هناك شك في أن الآنسة أروندیل توفيت بصورة طبيعية من مرض عانته لفترة طويلة".

قالت تريزا: "لقد حدثتني من قبل عن أرنب ومشكلة في الكبد. لقد نسيتها الآن، ولكنك حقنت الأرنب بدم شخص يعاني الصفراء، ثم حقنت دم ذلك الأرنب

في أرنب آخر، ثم حقنت دم الأرنب الثاني لشخص سليم فأصيب هذا الشخص بمرض في الكبد ـ شيء من هذا القبيل".

قال دونالدسون بصبر شديد: "كان ذلك مجرد توضيح للعلاج باللقاح".

قالت تريزا بضحكة مستهترة: "من المؤسف أن هناك كثيرًا من الأرانب في هذه القصة! لا أحد منا لديه أرانب". ثم نظرت إلى بوارو وتحدثت بنبرة مختلفة، سألته قائلة:

"سيد بوارو، هل هذا صحيح؟".

"صحيح تمامًا، ولكنَّ هناك طرقًا لتجنب مثل هذه العدوى يا آنسة".

قالت بصوت منخفض أقرب إلى الهمس: "إذن تجنبها. *تجنبها بأي ثمن!*".

وقف بوارو على قدميه.

تحدث بصوت رسمي وقال: "هذه تعليماتك؟".

"هذه تعليماتي".

قاطعها دونالدسون قائلاً: "ولكن يا تريزا ــ".

التفتت تجاه خطيبها.

"اهدأ! كانت عمتي، أليس كذلك؟ لماذا يتم إخراج جثة عمتي من قبرها، ألا تعرف أن الصحف ستتناول هذا الخبر، وستكثر الإشاعات المزعجة في كل مكان؟"، ثم اقتربت مرة أخرى من بوارو.

"يجب أن تمنع ذلك! أعطيك *صلاحية تامة* للتصرف. افعل ما تشاء، ولكن *أوقف* هذا الأمر!".

انحنى بوارو بشكل رسمي.

"سأفعل ما بوسعي، *وداعًا يا آنسة، وداعًا يا دكتور*".

صاحت تريزا قائلة: "أوه، اذهب. وخذ رجل الدين ليونارد معك. أتمنى لو لم أركما".

غادرنا الغرفة. ولكن بوارو لم يسترق السمع هذه المرة ويضع أذنه على الباب، ولكنه سار ببطء شديد، نعم ببطء شديد.

ولم يكن ذلك دون جدوى؛ فقد سمعنا صوت تريزا واضحًا جليًا وهي تقول:

"لا تنظر إليَّ بهذه الطريقة يا ريكس".

وفجأة، لان صوتها وقالت: "حبيبي".

فأجابها دكتور دونالدسون بصوته العميق.

قال بوضوح شديد:

"هذا الرجل يريد الأذى".

عبس بوارو فجأة. وقادني إلى الباب الأمامي.

قال لي: "تعال يا رجل الدين ليونارد. لنخرج يا صديقي المضحك".

أنا شخصيًا وجدت هذه النكتة غبية.

الخامس والعشرون

أنا أستلقي وأتأمل الوضع

فكرت في نفسي وأنا أسرع بالركض خلف بوارو وقلت لا، ليس هناك شك في ذلك الآن، لقد قتلت الآنسة أروندیل وتريزا تعرف ذلك. ولكن هل هي المجرمة، أم أن هناك تفسيرًا آخر؟

كانت خائفة ـ هذا صحيح. ولكن هل كانت خائفة على نفسها أم على شخص آخر؟ هل من الممكن أن يكون هذا الشخص هو الطبيب الشاب الهادئ الذي يتصرف بهدوء وتحفظ؟

هل توفيت السيدة العجوز جراء مرض حقيقي *محقق اصطناعيًا*؟

لحد ما كل هذه التساؤلات تنطبق على طموحات دونالدسون، خاصة أنه يعرف أن تريزا سوف ترث المال بعد وفاة عمتها. هذا فضلاً عن حقيقة وجوده على العشاء ليلة وقوع الحادثة. كم من السهل أن تترك نافذة مناسبة مفتوحة وتعود في ظلمة الليل لتربط الحبل القاتل أعلى درجات السلم. ولكن ماذا عن دق المسمار في هذا الموضع؟

لا، قطعًا تريزا هي من فعلت ذلك؛ فهي خطيبته وشريكته في الجريمة. ومن خلال عمل الاثنين معًا، بدا الأمر كله واضحًا بالدرجة الكافية. في هذه الحالة،

أغلب الظن أن تريزا هي من ربطت الحبل فعلاً في ذلك المكان. الجريمة *الأولى* ـ الجريمة التي باءت بالفشل، *اقترفتها بيدها*. أما الجريمة الثانية ـ الجريمة التي نجحت فعلاً، فكانت رائعة دونالدسون العلمية.

نعم، كل شيء مناسب الآن.

وبالرغم من ذلك، وحتى هذه اللحظة تبقى هناك خيوط مفككة. لماذا أفصحت تريزا عن الحقائق المتعلقة بإحداث مرض كبدي في إنسان؟ كان الأمر كأنها لم تدرك الحقيقة... ولكن في هذه الحالة ـ شعرت بأنني سأفقد عقلي، فقاطعت تأملاتي بطرح سؤال:

"إلى أين سنتجه يا بوارو؟".

"سنعود إلى شقتي، فمن الممكن أن نجد السيدة تانيوس هناك".

تحولت أفكاري إلى مسار آخر.

السيدة تانيوس! إنها لغز آخر! فإذا كان دونالدسون وتريزا مذنبين، فأين دور السيدة تانيوس وزوجها المبتسم؟ ما الذي أرادت السيدة أن تخبر به بوارو، وما سبب قلق تانيوس ورغبته في منعها من ذلك؟

قلت بتواضع: "بوارو، لقد جن جنوني، إنهم ليسوا جميعًا شركاء في الجريمة، أم أن الوضع كذلك؟".

"جريمة قتل نفذتها مجموعة عائلية بأكملها؟ لا، هذا لا ينطبق على هذه الجريمة. هناك بصمة عقل واحد، عقل واحد دبر لذلك. سيكولوجية واضحة تمامًا".

"أتعني أن الجريمة لا تخرج عن تريزا أو دونالدسون ـ ولكنهما لم *يشتركا* في ذلك؟ هل دفعها لدق ذلك المسمار لسبب يبدو بريئًا تمامًا؟".

"صديقي العزيز، منذ سمعت رواية الآنسة لوسون، أدركت أن هناك ثلاثة احتمالات. (١) أن تكون الآنسة لوسون قالت الحقيقة بالضبط. (٢) أن الآنسة لوسون اخترعت القصة لأسباب خاصة بها. (٣) أن تكون الآنسة لوسون صدقت قصتها فعلاً، ولكنها اعتمدت في تحديد هوية المرأة الواقفة على السلالم على دبوس الزينة. وكما أوضحت لك؛ من السهل أن ينفصل الدبوس عن مالكه".

"نعم، ولكن تريزا أصرت على أن الدبوس ظل في حوزتها".

"وهي محقة في ذلك. لقد أغفلت حقيقة صغيرة ولكن غاية في الأهمية".

قلت له بمهابة: "أمر غريب عليك يا بوارو".

"*أليس كذلك*؟ لكل جواد كبوة".

"السن لها أحكامها!".

قال بوارو ببرود: "الأمر غير متعلق بالسن".

سألته ونحن نعبر مدخل البيت: "حسنًا، ما الحقيقة المهمة التي تحدثت عنها؟".

"سوف أريك".

عندئذ وصلنا إلى الشقة، فتح لنا جورج الباب، ثم أجاب عن سؤال بوارو المتلهف بهزة من رأسه.

"لا يا سيدي. لم تأت السيدة تانيوس، ولم تتصل أيضًا". فدخل بوارو حجرة الجلوس. وظل يتحرك جيئة وذهابًا بضع لحظات. ثم رفع سماعة الهاتف. واتصل أولاً بفندق دورهام.

"نعم ـ نعم، من فضلك. أها، دكتور تانيوس، أنا هيركيول بوارو. هل عادت زوجتك؟ أوه، لم تعد. يا إلهي... تقول إنها أخذت حقائبها... والأطفال... ليست لديك فكرة إلى أين ذهبت... نعم، تمام... أوه، حسنًا... إذا كانت خدماتي المهنية مفيدة لك؟ لدي خبرة لا بأس بها في هذه الأمور... مثل هذه الأمور يجب عملها بتروٍّ... لا، بالطبع، لا... نعم، هذا صحيح طبعًا... بالتأكيد... بالتأكيد. سأحترم رغبتك".

ثم وضع سماعة الهاتف وهو غارق في التفكير.

قال متأملاً: "إنه لا يعرف إلى أين ذهبت. أظنه صادقًا تمامًا؛ فالقلق الواضح في صوته لا شك فيه. لا يريد أن يذهب إلى قسم الشرطة، هذا مفهوم. نعم، أفهم ذلك. كما أنه لا يريد مساعدتي أيضًا. لعل هذا الأمر غير مفهوم تمامًا... يريد أن يجدها ـ ولكنه لا يريدني أن أجدها... بالتأكيد لا يريدني أن أجدها... يبدو واثقًا أن بإمكانه السيطرة على الأمر بنفسه. لا يظن أن باستطاعتها أن تختفي لفترة طويلة؛ فليس لديها سوى مبلغ قليل للغاية من المال. كما أنها أخذت الأطفال معها. نعم، أظن أنه سوف يتمكن من الإمساك بها في وقت قصير.

ولكنني أظن يا هاستنجز أننا سوف نكون أسرع منه بعض الشيء. أظن أن هذا مهم، من المهم أن نصل إليها قبله".

سألته: "أتظن أن مسًّا من الجنون أصابها بحق؟".

"أظن أنها في حالة إرهاق وتوتر عصبي حاد".

"ولكن ليس للحد الذي يستلزم وضعها في مصحة للأمراض العقلية".

"بالطبع لا".

"أتعرف يا بوارو، أنا لا أفهم كل ما يحدث".

"إن سمحت لي بالقول يا هاستنجز، أنت لا تفهم أبدًا!".

"يبدو أن هناك الكثير من ـ حسنًا ـ الأمور الجانبية".

"طبيعي أن تكون هناك نقاط جانبية. وفصل النقطة الأساسية عن النقاط الجانبية هي أهم سمة للتفكير المنظم".

"أخبرني يا بوارو، هل فكرت أنه قد يكون هناك ثمانية من المشتبه بهم وليس سبعة فقط؟".

رد بوارو بطريقة جافة:

"لقد وضعت هذه الحقيقة في اعتباري منذ لحظة ذكر تريزا أروندیل أن المرة الأخيرة التي رأت فيها دكتور دونالدسون كانت عندما تناول العشاء في منزل ليتلجرين في الرابع عشر من أبريل".

قاطعته قائلاً: "لا أرى بالضبط ـــ".

"ما الذي لا تراه بالضبط؟".

"حسنًا، إذا كان دونالدسون قد خطط للتخلص من الآنسة أورنديل بطريقة علمية ـ أعني بلقاح معين ـ لا أرى السبب الذي يجعله يلجأ لمثل هذه الخدعة الخرقاء بربط خيط أعلى السلالم".

"في *الحقيقة* يا هاستينجز، تأتي عليَّ لحظات تفقدني صبري عليك! الطريقة الأولى علمية للغاية تحتاج لمعرفة متخصصة. متفق معي، أليس كذلك؟".

"نعم".

"والطريقة الثانية طريقة منزلية بسيطة ـ "كالتي تستخدمها أي أم" كما تقول الإعلانات. أليس هذا صحيحًا؟".

"نعم، تمامًا".

"إذن يا هاستينجز ـ فكر. استلق على كرسيك، وأغمض عينيك، وأعمل مخك قليلاً".

نفذت أمره، واستلقيت على الكرسي وأغمضت عيني وحاولت أن أنفذ النصيحة الثالثة التي نصحني بها بوارو. إلا أن كل هذه المحاولات لم تؤتِ ثمارها المرجوَّة بالقدر الكافي.

فتحت عيني فوجدت بوارو يتابعني بالاهتمام العطوف الذي توليه ممرضة لطفل تحت رعايتها.

"*حسنًا*؟".

أجريت محاولة فاشلة لأحاكي طريقة بوارو.

قلت له: "حسنًا، يبدو لي أن الشخص الذي صنع الشرك الأول، ليس الشخص نفسه الذي خطط لجريمة قتل تقوم على أسس علمية".

"بالضبط".

"وأشك في أن العقل المدرب على تعقيدات علمية قد يفكر بشيء طفولي كحادث السقوط من على السلم ـ طريقتا التفكير لا تجتمعان أبدًا".

"منطق سليم للغاية".

شجعني ذلك فتابعت كلامي:

"لهذا، الحل الوحيد المنطقي يبدو أن محاولتي القتل خطط لهما شخصان مختلفان. وعلينا هنا أن نتعامل مع جريمة قتل خطط لها شخصان مختلفان".

"ألا تعتقد أن هذا من الصعب أن يكون من قبيل الصدفة؟".

"قلت بنفسك من قبل إنه دائمًا ما تحدث مصادفة في أي جريمة قتل".

"نعم، هذا صحيح. يجب أن أعترف بذلك".

"حسنًا، وبعد".

"وفي رأيك من الذي دبر للمحاولتين؟".

"دونالدسون وتريزا أروندیل. الطبیب هو المسئول عن محاولة القتل الأخیرة التي نجحت. ونحن نعرف ـ على الصعید الآخر ـ أن تریزا أروندیل هي المسئولة عن المحاولة الأولى. أظن أنه من المحتمل جدًا أن یكون كل منهما تصرف بمعزل عن الآخر".

"أنت فخور للغایة بقولك "نحن نعرف" یا هاستنجز. أؤكد لك أنه مهما كان ما تعرفه، فأنا واثق أن تریزا لیست مشتركة في هذا الأمر".

"ولكن روایة الآنسة لوسون".

"روایة الآنسة لوسون تخصها. هذا كل ما في الأمر".

"ولكنها تقول ـــ".

"هي تقول ـــ هي تقول... دائمًا ما تكون على أتم استعداد للتعامل مع ما یقوله الناس كحقیقة ثابتة مسلم بها غیر قابلة للشك. والآن، اسمعني یا عزیزي، لقد أخبرتك من قبل بأنني شعرت بأن هناك خطأ ما في روایة الآنسة لوسون؟".

"نعم، أذكر أنك قلت ذلك. ولكنك لم تستطع تحدیده".

"حسنًا لقد فعلت ذلك الآن. لحظة واحدة وسوف أریك ما كان یجب أن ألحظه على الفور. كم أنا معتوه!". ثم اتجه ناحیة المكتب وفتح درجًا وأخرج ورقة كرتونیة. قسمها نصفین بمقص، وطلب مني ألا أسترق النظر لما یفعله.

"الصبر یا هاستنجز، سوف نبدأ في تجربتنا خلال لحظات".

حولت نظري عنه إذعانًا لطلبه.

خلال لحظة أو اثنتین أطلق بوارو صرخة تنم عن الرضا. وضع المقص جانبًا، وأسقط قطع الورق الكرتوني في سلة المهملات وجاء ناحیتي.

"الآن لا تنظر. حتى أشبك شیئًا في طیة صدر معطفك".

نفذت طلبه، حتى انتهى بوارو مما یفعل، ثم دفعني برفق وأخرجني من الغرفة إلى غرفة النوم الملحقة.

"والآن یا هاستینجز اعتبر أنك تنظر لنفسك في مرآة. أنت ترتدي دبوس زینة مسایرًا للموضة یحمل الأحرف الأولى لاسمك، ألیس كذلك. كل ما هنالك

أن الدبوس لیس مصنوعًا من الكروم أو الصلب المقاوم للصدأ، أو الذهب أو البلاتین، ولكنه مصنوع من ورق كرتوني!".

نظرت إلى نفسي وابتسمت. كان بوارو نظیف الأظافر على غیر العادة. وضع على صدري تقلیدًا بسیطًا لدبوس الزینة الخاص بـ تریزا أروندیل ـ فقد قطع دائرة من الورق الكرتوني وكتب علیها الأحرف الأولى أ. هـ.

قال بوارو: "حسنًا. هل أنت سعید؟ لدیك دبوس زینة رائع یحمل الأحرف الأولى لاسمك".

قلت له: "دبوس رائع".

"صحیح أنه لا یلمع ولا یعكس الضوء، ولكنك معترف بأنه من الممكن رؤیته بوضوح من مسافة بعیدة؟".

"لیس لدي شك في ذلك".

"تمام. فأنت لا تمیل للشك. ولكن الإیمان البسیط أقرب ما یكون لشخصیتك. والآن یا هاستنجز، أرجو أن تخلع معطفك".

احترت قلیلاً، ولكنني نفذت طلبه. وخلع بوارو هو الآخر معطفه وارتدى معطفي، وابتعد عني قلیلاً.

قال لي: "والآن، انظر كیف یبدو الدبوس ـ الدبوس الذي یحمل الأحرف الأولى *لاسمك* ـ علیَّ؟".

أخذت جولة في الغرفة، وأنا أحدق النظر إلیه، دون أن أفهم ما یعنیه للحظة. ثم فهمت مقصده.

"كم أنا أبله معتوه! طبعًا. ستظهر هـ. أ. على الدبوس ولیست أ. هـ. أبدًا".

أضاء وجه بوارو، وهو یعید ارتداء ملابسه ویعطیني معطفي.

"بالضبط، أفهمت الآن ما كنت أعنیه بوجود خطأ ما في روایة الآنسة لوسون. قالت إنها رأت الأحرف الأولى لاسم تریزا واضحة على دبوس الزینة الذي كانت تضعه. ولكنها رأت تریزا في المرآة. وهكذا، *فإنها إن كانت قد رأت الأحرف الأولى، قطعًا رأتها معكوسة*".

قلت له: "حسنًا، لعلها فعلت، وأدركت أنها معكوسة".

"صديقي العزيز! هل خطرت هذه الفكرة على بالك قبل الآن؟ ألم تصرخ من الدهشة عندما فهمت الحقيقة. وأن الأحرف هـ. أ. هي في الحقيقة أ. هـ."، وبالرغم من ذلك أنا موقن أنك أذكى من الآنسة لوسون. ولا تحاول أن تقنعني أن سيدة مشوشة الفكر مثلها قد تستيقظ من النوم فجأة، وهي شبه نائمة، وتدرك أن أ.ت. هي في الحقيقة ت.أ. فهذا لا ينطبق بأي حال من الأحوال على عقلية الآنسة لوسون".

قلت له بتروٍّ: "ولكنها مصممة أنها تريزا".

"لقد اقتربت يا صديقي. أتذكر أنني أشرت لها أنه من المستحيل أن ترى وجه أي شخص يقف على السلالم، وعلى الفور ـ ماذا قالت؟".

"تذكرت أنها رأت دبوس الزينة الخاص بتريزا، ونسيت حقيقة أنها رأت انعكاسها في المرآة، وهنا يكمن الخطأ في روايتها".

رن جرس الهاتف بقوة؛ فأسرع بوارو ليجيبه.

لم يتفوه إلا ببضع كلمات غير واضحة.

"نعم؟ نعم... بالتأكيد. نعم، مناسب تمامًا. بعد الظهيرة، على ما أظن. نعم، الساعة الثانية مناسبة تمامًا". ثم وضع السماعة والتفت ينظر إليَّ مبتسمًا.

"دكتور دونالدسون يريد أن يتحدث معي. سوف يأتي هنا غدًا في الساعة الثانية. لقد اقتربنا، يا صديقي، اقتربنا".

السادس والعشرون

السيدة تانيوس ترفض أن تتكلم

عندما أفقت بعد تناول الإفطار صباح اليوم التالي، وجدت بوارو مشغولاً على طاولة الكتابة.

رفع يده تحية لي، ثم تابع أداء مهمته. وعلى الفور، لملم أوراقه، ووضعها في مظروف أغلقه بعناية.

سألته بمرح: "حسنًا أيها الفتى، ماذا تفعل؟".

"هل تكتب الأحداث المتعلقة بالقضية لكي تضعها في مكان آمن تحسبًا لتعرضك لمحاولة قتل اليوم؟".

"أتعرف يا هاستنجز، أنت لم تبتعد كثيرًا في ظنك".

كان يتصرف بطريقة جادة.

"هل قاتلنا أوشك أن يصبح خطيرًا؟".

قال بوارو بجدية: "أي قاتل دائمًا ما يكون خطيرًا".

"أتعجب كثيرًا كيف يتم إغفال هذه الحقيقة في كثير من الأحيان".

"أي أخبار؟".

"اتصل دكتور تانيوس".

"ليس هناك أثر لزوجته؟".

"لا".

"إذن، هذا جيد".

"أشك".

"يا إلهي يا بوارو، لا تعتقد أنها سوف تقتل، أتعتقد ذلك؟".

هز بوارو رأسه في شك.

تمتم قائلاً: "أعترف بأنني أود أن أعرف أين هي".

قلت له: "أوه، حسنًا، سوف تظهر".

"تفاؤلك المستمر يا هاستنجز لا يخيب أبدًا في إسعادي!".

"يا إلهي يا بوارو، لا تعتقد أنها سوف تأتي أشلاءً أو فاقدة الذاكرة في شاحنة".

قال بوارو بتروٍّ:

"أرى أن قلق دكتور تانيوس مبالغ فيه بعض الشيء، ليس أكثر. أول شيء علينا عمله هو مقابلة الآنسة لوسون".

"هل ستوضح لها الخطأ البسيط المتعلق بدبوس الزينة؟".

"بالطبع لا؛ فهذه التفصيلة الصغيرة ستظل محجوبة حتى تحين اللحظة المناسبة".

"إذن ماذا ستقول لها؟".

"سوف تسمعه بنفسك يا صديقي".

"مزيد من الأكاذيب على ما أظن؟".

"أحيانًا تسيء إليَّ فعلاً يا هاستنجز؛ فأي شخص يسمعك يظن أنني أستمتع بسرد الأكاذيب".

"أظنك كذلك ـ بل إنني متأكد من ذلك في الحقيقة".

اعترف بوارو بسذاجة قائلاً: "صحيح أنني في بعض الأحيان أثني على براعتي في هذا الأمر".

لم أتمالك نفسي وانتابتني نوبة من الضحك؛ فنظر إليَّ بوارو نظرة توبيخ، وبدأنا في رحلتنا إلى كلانرويدين مانجونز.

جلسنا في غرفة الجلوس المزدحمة نفسها، وأتتنا الآنسة لوسون هائجة ومنفعلة. كانت تصرفاتها غير مترابطة أكثر من المعتاد.

"أوه، عزيزي السيد بوارو، صباح الخير. أخشى أن تكون الغرفة فوضوية وغير مرتبة. كل شيء فوضوي ومبعثر هذا الصباح. منذ وصول بيلا ـــ".

"ماذا قلت؟ بيلا؟".

"نعم، بيلا تانيوس. لقد جاءت منذ نصف ساعة مضت ـ ومعها الطفلان متعبين للغاية، يا لهم من مساكين! حقًا، لا أعرف ماذا أفعل حيال ذلك. أتدري، لقد تركت زوجها".

"تركته؟".

"تقول ذلك. أنا واثقة أن معها *كل الحق*، كم هي مسكينة".

"واثمنتك على سرها؟".

"حسنًا، ليس كذلك *بالضبط*؛ فهي لم تقل أي شيء على الإطلاق. ولكنها كررت أنها تركته، وأنه لن يثنيها أي شيء عن هذا القرار!".

"هل هذه خطوة جيدة؟".

"طبعًا! في الواقع، لو كان رجلاً إنجليزيًا، لنصحتها ـ ولكنه ليس إنجليزيًا... وهي تبدو غريبة للغاية، يا لها من مسكينة، تبدو ـ حسنًا؛ خائفة جدًا. ماذا يمكننا أن نفعل لها؟".

"دكتور تانيوس يوناني".

"لا أظن أنها يجب أن تعود إليه، ما رأيك يا سيد بوارو؟ على أية حال، أعني، تقول إنها لن ... إنها لا تريده حتى أن يعرف أين هي".

"هل الوضع بهذا السوء؟".

"نعم، بسبب *الطفلين*. إنها خائفة للغاية أن يأخذهما معه إلى سميرنا. كم هي مسكينة! إنها في حالة يرثى لها بحق. أتعلم، ليس معها مال ـ ليس معها أي مال على الإطلاق. ولا تعرف إلى أين تذهب أو ماذا تفعل. تريد أن تحاول كسب قوتها، ولكن ـ كما تعلم يا سيد بوارو ـ الأمر ليس سهلاً كما قد يبدو. أنا أعرف ذلك. الأمر يختلف كثيرًا عما إذا كانت *مدربة* على عمل أي شيء".

"متى تركت زوجها؟".

"بالأمس. قضت ليلة البارحة في فندق صغير بالقرب من بادينجتون. وجاءتني لأنها لا تعرف أحدًا غيري تذهب إليه. مسكينة!".

"وهل ستساعدينها؟ سيكون ذلك كرمًا كبيرًا منك".

"حسنًا، في الواقع أشعر بأن هذا *واجبي* يا سيد بوارو. ولكن طبعًا، هذا صعب للغاية؛ فهذه الشقة صغيرة للغاية، وليست هناك غرف، كما أنني مشغولة للغاية".

"بإمكانك أن ترسليها للعيش في منزل ليتلجرين؟".

"أظن أن هذا الاحتمال ممكن، ولكن زوجها قد يفكر في ذلك. ولكنني حجزت لها غرفة في فندق ويلنجتون بشارع كوين. وهي تقيم هناك باسم السيدة بيترز".

قال بوارو: "فهمت".

سكت للحظة ثم قال: "أريد أن أرى السيدة تانيوس. لقد جاءتني في منزلي بالأمس، ولكنني كنت في الخارج".

"أوه، هل هذا صحيح؟ لم تخبرني بذلك. سأخبرها بذلك، هل تريد ذلك؟".

"سأكون شاكرًا للغاية".

أسرعت الآنسة لوسون بالخروج من الغرفة. سمعنا صوتها وهي تقول:

"بيلا ـــ بيلا ـــ يا عزيزتي، هلَّا أتيت لمقابلة السيد بوارو؟".

لم نسمع رد السيدة تانيوس، ولكن في غضون لحظة أو اثنتين، دخلت الغرفة.

صدمنا مظهرها للغاية. كانت هناك هالات سوداء أسفل عينيها، وكانت وجنتاها شاحبتين للغاية وتخلوان من أي لون، ولكن أكثر شيء أثار انتباهي

هو الخوف الشديد الذي كان واضحًا عليها. كانت تصاب بالذعر من أقل شيء يثيرها، وبدت كأنها تنصت جيدًا لكل شيء يقال حولها.

حياها بوارو بطريقة مواسية للغاية. تقدم إليها، وصافحها، وأحضر لها كرسيًا ووسادة. كان يتعامل مع السيدة الشاحبة، المذعورة، وكأنها ملكة.

"والآن يا سيدتي، دعينا نردش قليلاً. لقد جئت لرؤيتي بالأمس على حد علمي؟".

أومأت برأسها.

"لقد ندمت كثيرًا أنني تركت المنزل".

"نعم ـ نعم، أتمنى لو كنت هناك أيضًا".

"جئت لتخبريني بشيء ما؟".

"نعم، أنا ـــ أعني ـــ".

"حسنًا، ها أنا ذا، في خدمتك".

لم تجبه السيدة تانيوس. جلست هادئة في مكانها، تعبث بخاتم في إصبعها.

"وبعد يا سيدتي؟".

هزت رأسها ببطء، وكأنها تكره أن تفعل ذلك.

قالت: "لا، لا أجرؤ".

"لا تجرؤين على ماذا يا سيدتي؟".

"لا، أنا ـــ إذا علم ـــ سوف، يصيبني شيء ما!".

"هيا، هيا يا سيدتي ـــ هذا سخف".

"أوه، ولكن، هذا ليس سخفًا، ليس سخفًا على الإطلاق. أنت لا تعرفه...".

"أتعنين زوجك يا سيدتي؟".

"نعم، بالطبع".

التزم بوارو الصمت لحظة أو اثنتين، ثم قال:

"لقد جاءني زوجك بالأمس يا سيدتي".

ظهرت نظرة ذعر سريعة على وجهها.

"أوه، لا! لم تخبره ـــ بالطبع لم تخبره! لا تستطيع. إنك لم تكن تعرف أين أنا. هل ـ هل قال إنني مجنونة؟".

أجاب بوارو بحذر شديد.

"قال إنك في حالة توتر عصبي شديد".

هزت رأسها، وكأن محاولته لم تنطلِ عليها.

"لا، قال إنني مجنونة ـــ أو إنني سأصاب بالجنون! إنه يريد أن يحبسني حتى لا أخبر أي شخص".

"تخبرين أي شخص ـــ بماذا؟".

ولكنها هزت رأسها. وطقطقت أصابعها بشكل ينم عن توتر شديد، ثم تمتمت تقول:

"أنا خائفة...".

"ولكن يا سيدتي، بمجرد أن تخبريني ـ ستكونين في *أمان*! سيكون السر قد انكشف! وهذه الحقيقة سوف تحميك تلقائيًا".

ولكنها لم تجبه. وتابعت العبث بخاتمها.

قال بوارو بلين: "جربي بنفسك".

تنهدت بعض الشيء وقالت:

"كيف لي أن أجرب... يا إلهي، هذا مروع؛ فهو يجد من يصدقه! كما أنه طبيب! سوف يصدقه الناس ويكذبونني. أعرف أنهم سيفعلون. أنا شخصيًا كنت سأفعل ذلك. لن يصدقني أحد. وكيف لهم أن يصدقوني؟".

"ألن تعطيني مجرد فرصة؟".

رمقته بنظرة قلق.

"كيف أعرف؟ قد تكون في صفه".

"أنا لست في صف أحد يا سيدتي. أنا ـ دائمًا ـ في صف الحقيقة".

قالت السيدة تانيوس بيأس: "لا أعرف. لا أعرف"، ثم بدأت في الحديث بسرعة، فخرجت الكلمات وكأنها تصطدم ببعضها البعض.

"كانت الحياة مروعة للغاية ـ منذ سنوات إلى الآن. رأيت أشياء تحدث مرة تلو الأخرى، ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة أو أن أفعل أي شيء، كل هذا بسبب الطفلين. كان كابوسًا طويلاً. والآن حدث ذلك... ولكنني لن أعود إليه. لن أجعله يأخذ الطفلين! سأذهب إلى مكان لا يستطيع أن يجدني فيه. وميني لوسون سوف تساعدني. لطالما كانت طيبة للغاية، طيبة جدًا. لم يكن هناك أطيب منها". توقفت عن الكلام ثم رمقت بوارو بنظرة سريعة وسألته:

"ما الذي قاله عني؟ هل قال إنني أعاني أوهامًا؟".

"قال يا سيدتي إنك تغيرت من ناحيته".

أومأت برأسها.

"وقال إنني أعاني أوهامًا. قال ذلك، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدتي لكي أصدقك القول، قال ذلك".

"أرأيت. هكذا سيبدو الأمر. وليس لدي دليل؛ ليس لدي دليل حقيقي".

تراجع بوارو للخلف على كرسيه، ثم تحدث بطريقة مختلفة تمامًا.

تحدث بطريقة عملية ومباشرة، بنبرة رجال الأعمال، دون أن يحمل صوته أقل قدر من المشاعر، وكأنه يناقش مسألة جامدة متعلقة بشيء ما.

"هل تشكين أن لزوجك علاقة بموت الآنسة إميلي أروندیل؟".

جاء ردها سريعًا، تلقائيًا للغاية، في لمح البصر:

"أنا لا أشك، أنا أعرف".

"إذن يا سيدتي، من واجبك أن تتحدثي".

"أها، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، لا، ليس بهذه السهولة". "كيف قتلها؟".

"لا أعرف بالضبط ـ ولكنه قتلها".

"ولكنك لا تعرفين الطريقة التي استخدمها؟".

"لا ـــ إنها شيء ـــ شيء فعله يوم الأحد الأخير".

"يوم الأحد الذي ذهب فيه لزيارتها؟".

"نعم".

"إذن ـ اسمحي لي ـ يا سيدتي، ما الذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحد؟".

"لأنه ـــ" توقفت عن الكلام ثم قالت بتأنٍّ: "*أنا واثقة!*".

"*عذرًا* يا سيدتي، ولكنَّ هناك شيئًا تخفينه، شيئًا لم تخبريني به بعد؟".

"نعم".

"هيا، إذن، تكلمي".

وقفت بيلا تانيوس على نحو مفاجئ.

"لا، لا، لا أستطيع أن أفعل ذلك. الطفلان. والدهما. لا أستطيع، لا أستطيع...".

"ولكن يا سيدتي ـــ".

"لا أستطيع أن أخبرك".

ارتفع صوتها إلى حد الصراخ تقريبًا. فانفتح الباب ودخلت الآنسة لوسون، متجهة برأسها لناحية واحدة بقدر من الإثارة لا يخلو من متعة.

"هل يمكنني أن أدخل؟ هل انتهيتما من حديثكما؟ عزيزتي بيلا، ألا تظنين أنه من الأفضل أن تحتسي كوب شاي، أو بعض الحساء، أو ربما قليلًا من العصير؟".

هزت السيدة تانيوس رأسها بالنفي.

قالت بعدما رسمت على شفتيها ابتسامة ضعيفة: "أنا بخير تمامًا. يجب أن أعود إلى الطفلين. لقد تركتهما ليفرغا حقائبهما".

قالت الآنسة لوسون: "يا لهما من مسكينين، أنا مغرمة جدًّا بالطفلين".

التفتت السيدة تانيوس إليها فجأة وقالت لها:

"لا أعرف ماذا كنت سأفعل من دونك. لقد كنت غاية في الطيبة معي".

"اهدئي، اهدئي يا عزيزتي، لا تبكي. كل شيء سيكون على ما يرام. سوف تأتين لمقابلة المحامي الخاص به. إنه رجل لطيف، متعاطف للغاية، وسوف ينصحك بأفضل طريقة لتحصلي على الطلاق. لقد أصبح الطلاق سهلاً للغاية هذه الأيام، أليس كذلك، الجميع يقول ذلك؟ أوه، يا إلهي! ها هو الجرس. ترى، من الطارق".

غادرت الغرفة على عجل. وسمعنا تمتة أصوات في الردهة، ثم ظهرت الآنسة لوسون من جديد، دخلت الغرفة وهي تسير على أطراف أصابعها، وأغلقت الباب من خلفها بعناية، ثم تحدثت بطريقة منفعلة، بطريقة مبالغ فيها.

"أوه، إنه زوجك يا عزيزتي. أنا واثقة أنني لا أعرف ـــ".

قفزت السيدة تانيوس ناحية الباب الموجود في الجهة المقابلة من الغرفة. فأومأت لها السيدة لوسون برأسها بقوة.

"هذا صحيح، اخرجي من هنا يا عزيزتي، ويمكنك أن تخرجي خلسة بعدما أحضره إلى هنا".

قالت السيدة تانيوس هامسة:

"لا تقولي إنني كنت هنا. لا تقولي إنك رأيتني من الأساس".

"لا، لا، بالتأكيد لن أفعل".

تسللت السيدة تانيوس عبر الباب. وتبعتها أنا وبوارو على عجل. ووجدنا أنفسنا في غرفة صغيرة للطعام.

خرج بوارو من الباب إلى الردهة، ثم فتحه قليلًا، واسترق السمع، ثم أشار إلينا.

"كل شيء على ما يرام، لقد أخذته الآنسة لوسون إلى الغرفة الأخرى".

تسللنا عبر الردهة ومنها إلى الباب الخارجي، الذي أغلقه بوارو من خلفه بحرص شديد لكي لا يحدث أي ضوضاء.

بدأت السيدة تانيوس في نزول درجات السلم، وكادت تتعثر ولكنها أمسكت بالدرابزين، فمد لها بوارو يده وأمسكها.

"*اهدئي، اهدئي*. كل شيء بخير".

وصلنا إلى الردهة الموجودة في المدخل.

قالت السيدة تانيوس بطريقة يرثى لها: "تعال معي". كانت تبدو كأنها ستسقط مغشيًا عليها.

قال بوارو مطمئنًا إياها: "بالطبع سآتي".

عبرنا الشارع، وأخذنا منعطفًا، فوجدنا أنفسنا في شارع كوين. كان فندق ولنجتون فندقًا صغيرًا غير واضح، يحتوي على غرف متنوعة.

عندما دخلنا، غرقت السيدة تانيوس على أريكة يغطيها نسيج البلش. وضعت يدها على قلبها الذي كان ينبض بسرعة وقوة.

ربت بوارو كتفها مطمئنًا إياها.

"صحيح أن الحظ أسعدنا، ولكنك يجب أن تستمعي إليَّ جيدًا يا سيدتي".

"لا أستطيع أن أخبرك بأي شيء أكثر من ذلك يا سيد بوارو. لن يكون ذلك صحيحًا. أنت ـ أنت تعرف ما أفكر فيه ـ وما أظنه به. قطعًا هذا يكفيك ويرضيك".

"لقد طلبت منك أن تسمعي يا سيدتي. لنفترض، مجرد افتراض، *أنني أعرف بالفعل الحقائق المتعلقة بالقضية*. لنفرض أنني خمنت *بالفعل* ما كنت ستقولينه لي ـــ هذا سيحدث فارقًا، أليس كذلك؟".

نظرت إليه في ريبة. كانت عيناها مؤلمتين في حدتهما.

"أوه، صدقيني يا سيدتي، أنا لا أحاول أن أجعلك تقولين ما لا تودين قوله. ولكن هذا قد يحدث فارقًا ـــ صحيح؟".

"أظن ـــ أظن ذلك".

"حسنًا. إذن دعيني أتحدث. أنا هيركيول بوارو، أعرف الحقيقة. ولن أطلب منك أن تتقبلي كلامي. ولكن خذي هذا". مد يده وأعطاها المظروف الكبير الذي رأيته يغلقه بإحكام صباح هذا اليوم. "كل الحقائق هنا. بعد أن تقرئيها، إذا كانت ترضيك، فاتصلي بي. ستجدين رقمي في المظروف".

أخذت منه المظروف وكأنها تأخذه على مضض.

تابع بوارو كلامه بسرعة:

"والآن، نقطة أخيرة، يجب أن تتركي هذا الفندق على الفور".

"ولكن، لماذا؟".

"اذهبي إلى فندق كونيستون بالقرب من إيوستن. ولا تخبري أحدًا بمكانك".

"ولكن ميني لوسون لن تخبر زوجي بمكاني بالطبع".

"أتعتقدين ذلك؟".

"أوه، لا. إنها تقف في صفي تمامًا".

"نعم، ولكن زوجك يا سيدتي رجل ذكي للغاية. ولن يجد صعوبة في ضم سيدة في منتصف العمر إلى صفه. من *المهم* ـ مهم للغاية ـ ألا يعرف زوجك مكانك، أتفهمين".

أومأت برأسها دون أن تنبس ببنت شفة.

أعطاها بوارو ورقة.

"ها هو العنوان. احزمي أمتعتك واذهبي إلى هناك مع الطفلين في أسرع وقت ممكن. أتفهمين؟".

أومأت برأسها.

"أفهم".

يجب أن تفكري في الطفلين يا سيدتي، لا في نفسك. أنت تحبين طفليك".

مس بوارو وترًا حساسًا لديها.

سرى لون بسيط في وجنتيها، واتكأت برأسها للخلف. لم تبد مذعورة وكادحة، وإنما بدت كأنها سيدة متغطرسة حسنة الوجه تقريبًا.

قال بوارو: "اتفقنا إذن".

صافحها وغادرت معه. ولكننا لم نبتعد كثيرًا؛ فقد اتجهنا إلى مقهى مناسب، واحتسينا القهوة وأخذنا نراقب مدخل الفندق. وفي غضون خمس دقائق، رأينا دكتور تانيوس يعبر الشارع، لم ينظر حتى إلى فندق ويلنجتون. عبر الشارع، حانيًا رأسه غارقًا في أفكاره، ثم نزل محطة قطار الأنفاق.

وبعد عشر دقائق، رأينا السيدة تانيوس والطفلين يركبون سيارة أجرة ومعهم أمتعتهم وينطلقون.

قال بوارو، ممسكًا فاتورة الحساب في يده: "حسنًا. لقد فعلنا واجبنا، ولم يعد أمامنا سوى الابتهال إلى الله".

السابع والعشرون

زيارة من دكتور دونالدسون

وصل دونالدسون في موعده بالضبط في الساعة الثانية. كان هادئًا ودقيقًا كعادته.

بدأت شخصية دونالدسون في إثارة اهتمامي. كنت في البداية أعتبره شابًا يصعب وصفه. تساءلت في نفسي عما رأته فيه إنسانة جميلة، تنبض بالحياة مثل تريزا. ولكنني أدركت الآن أن دونالدسون ليس جديرًا بالإهمال بأي حال من الأحوال. فطريقته العملية كانت تخفي وراءها قوة.

بعدما انتهينا من التحيات الأولية، قال دونالدسون:

"سبب زيارتي هو أنني لم أعد أفهم بالضبط علاقتك بهذا الأمر يا سيد بوارو".

أجاب بوارو بحذر:

"أظن أنك تعرف طبيعة عملي".

"بالتأكيد. كما أنني كلفت نفسي عناء السؤال عنك".

"أنت رجل حريص يا دكتور".

قال دونالدسون بطريقة جافة:

"أحب أن أتأكد من الحقائق الخاصة بي".

"أنت تتمتع بعقلية علمية!".

"بإمكاني أن أقول إن كل التقارير التي كتبت عنك واحدة تقريبًا. واضح أنك رجل ذكي، بارع في مهنتك، كما أنه معروف عنك أنك موسوس ولكنك نزيه".

تمتم بوارو قائلاً: "أنت مجامل للغاية".

"وهذا هو السبب الذي يجعلني عاجزًا عن تفسير علاقتك بهذا الأمر".

"رغم أنها بسيطة للغاية!".

قال دونالدسون: "من الصعب قول ذلك؛ فقد قدمت نفسك في البداية باعتبارك كاتبًا للسير الذاتية".

"خدعة صغيرة، ألا توافقني الرأي؟ فلا يمكن للمرء أن يذهب لكل مكان معلنًا حقيقة عمله كمحقق؛ رغم أن لهذا الأمر فوائده في بعض الأحيان".

تحدث دونالدسون بطريقة جافة مرة أخرى: "أتفهَّم ذلك. ثم قمت بعد ذلك بزيارة للآنسة تريزا أروندیل وأقنعتها بأن وصية عمتها من الممكن إبطالها".

اكتفى بوارو بحني رأسه موافقًا على ذلك.

تحدث دونالدسون بحدة وقال: "هذا سخيف بالطبع. أنت تعرف جيدًا أن هذه الوصية صحيحة من الناحية القانونية، وأنه يستحيل عمل أي شيء حيالها".

"أتظن ذلك؟".

"أنا لست مغفلاً يا سيد بوارو ـــ".

"لا يا دكتور دونالدسون، بالطبع لست مغفلاً".

"أنا أعرف شيئًا ـ لا أعرف الكثير، ولكنني أعرف ما يكفيني ـ عن القانون. من المستحيل إبطال هذه الوصية. لماذا تتظاهر بأن هذا الأمر ممكن؟ واضح أن لديك أسبابك الخاصة ـ أسبابك التي لا تعرفها الآنسة تريزا أروندیل".

"تبدو واثقًا للغاية من ردود أفعالها".

ارتسمت ابتسامة خفيفة جدًا على وجه الشاب.

قال على نحو غير متوقع:

"أعرف الكثير عن تريزا أكثر مما تعرفه هي. وليس لدي أدنى شك في أنها وتشارلز يعتقدان أنهما استعانا بخدماتك في أمر مشبوه. تشارلز فاقد الأخلاق تقريبًا. وتريزا ورثت صفات سيئة من أبويها، كما أن نشأتها كانت غير ملائمة".

"ألهذا السبب تتحدث عن خطيبتك وكأنها فأر تجارب؟".

أمعن دونالدسون النظر فيه عبر نظارته الأنفية.

"لا أرى سببًا لغض النظر عن الحقيقة. أنا أحب تريزا أروندیل، أحبها كما هي لا لأي شيء قد تتخيله".

"هل تعرف أن تريزا أروندیل مخلصة لك، وأن رغبتها في المال كانت في الأساس لكي تضمن لك طموحاتك؟".

"بالطبع أعرف ذلك. لقد قلت لك إنني لست مغفلاً. ولكنني لا أنوي أبدًا أن أسمح لتريزا بأن تورط نفسها في أي عمل مشبوه من أجلي؛ فهي لا تزال طفلة. وأنا قادر تمامًا أن أتقدم في حياتي المهنية بجهودي ويساعدي. لا أقول إنني لم أكن لأقبل بنصيبها الكبير في التركة، بالطبع كنت سأقبله؛ فقد كانت ستختصر عليَّ طريقًا طويلاً".

"في الواقع، أنت واثق بقدراتك الخاصة كثيرًا".

قال دونالدسون بهدوء: "قد يبدو ذلك غرورًا، ولكنني واثق بنفسي للغاية".

"دعنا نتابع حديثنا إذن. أعترف بأنني فزت بثقة الآنسة تريزا عن طريق الخدعة. جعلتها تظن أنني سأستخدم، دعنا نقل طرقًا ملتوية، من أجل المال. وقد صدقت هذا الكلام بسهولة شديدة".

قال الطبيب الشاب: "تريزا تصدق أن أي شخص يمكنه أن يفعل أي شيء من أجل المال". كان يتحدث بنبرة عملية كالتي يستخدمها المرء عندما يقر حقيقة واضحة وضوح الشمس.

"هذا صحيح. تبدو كذلك فعلاً، وأخوها كذلك أيضًا".

"تشارلز قد يفعل أي شيء من أجل المال!".

"أرى أنك محق تمامًا، بشأن صهرك المستقبلي".

"لا، لقد وجدته دراسة مثيرة. أظن أن المشكلة بسبب بعض الخلايا العصبية عميقة الجذور، ولكن هذا الأمر متعلق بعملي. لنعد لما كنا نتحدث فيه، لقد سألت نفسي لماذا تتصرف بالطريقة التي اتبعتها، ولم أجد إلا إجابة واحدة. واضح أنك تشك في أن تريزا أو تشارلز لهما يد في وفاة الآنسة أروندیل. لا، أرجوك لا تعارضني! أظن أن ذكرك مسألة تشريح الجثة كانت مجرد طريقة لترى ردة فعلها. ولكن هل قمت بالفعل باتخاذ أي إجراءات فعلية للحصول على إذن من وزارة الداخلية بتشريح الجثة؟".

"سأكون صريحًا معك. حتى الآن، لم أفعل ذلك".

أومأ دونالدسون برأسه.

"ظننت ذلك. أظن أنك فكرت في احتمال أن تكون وفاة الآنسة أروندیل حدثت بصورة طبيعية تمامًا".

"فكرت في حقيقة أن الأمر قد يبدو كذلك ـ هذا صحيح".

"ولكنك توصلت لقناعة في قرارة نفسك؟".

"بكل تأكيد. إذا كانت لديك حالة ـ لنفترض أنها مرض السل ـ تبدو كذلك، وأعراضها كذلك، وعند تحليل الدم ثبت أنها كذلك ـ حسنًا، سوف تتعامل معها باعتبارها مرض السل، أليس كذلك؟".

"أنت تنظر للأمر بهذه الطريقة؟ إذن ما الذي تنتظره تحديدًا؟".

"أنا أنتظر الدليل الأخير".

رن جرس الهاتف. وبإشارة من بوارو نهضت من مكاني ورفعت السماعة، فعرفت الصوت على الفور.

"كابتن هاستنجز؟ معك السيدة تانيوس. هلا أخبرت السيد بوارو بأنه محق تمامًا. أرجو أن يأتيني هنا غدًا في الساعة العاشرة صباحًا، وسوف أريه ما يريد".

"في الساعة العاشرة غدًا؟".

"نعم".

"حسنًا، سأخبره".

سألني بوارو بعينيه، فأومأت برأسي.

التفت إلى دونالدسون، كانت طريقته قد تغيرت، أصبحت سريعة، وواثقة.

قال له: "دعني أوضح نواياي. لقد شخصت هذه الحالة على أنها جريمة قتل. تبدو كأنها جريمة قتل، تحمل كل سمات جرائم القتل، إنها جريمة قتل فعلاً! وليس لديَّ أدنى شك في ذلك".

"إذن أين يكمن الشك؛ لأنني أرى أنك تشك في شيء ما؟".

"الشك في هوية القاتل؛ ولكن هذا الشك لن يستمر طويلاً!".

"حقًّا؟ أتعرف؟".

"دعني أقل إنني سأحمل الدليل الدامغ في يدي غدًا".

ارتفع حاجبا دكتور دونالدسون بطريقة ساخرة بعض الشيء، ثم قال:

"أها، غدًا! أحيانًا يكون الغد يا سيد بوارو بعيدًا عنا".

قال له بوارو: "على العكس؛ فدائمًا ما يأتيني الغد في موعده دومًا".

ابتسم دونالدسون، ثم وقف من جلسته.

"أخشى أن أكون قد أضعت وقتك يا سيد بوارو".

"على الإطلاق؛ فدائمًا ما يكون من الجيد أن نفهم بعضنا البعض".

انحنى دكتور دونالدسون بعض الشيء، ثم غادر الغرفة.

الثامن والعشرون

ضحية أخرى

قال بوارو متأملاً: "إنه رجل ذكي".

"من الصعب أن تعرف ما يقصده".

"نعم، إنه فظ بعض الشيء، ولكنه فطن للغاية".

"كان هذا الاتصال من السيدة تانيوس".

"فهمت ذلك".

كررت له رسالتها، فأومأ بوارو برأسه.

"جيد، كل شيء يسير على ما يرام. أربع وعشرون ساعة يا هاستينجز، وأظن أننا سنعرف بالضبط أين نحن".

"ما زلت حائرًا بعض الشيء. فيمن نشك بالضبط؟".

"لا أستطيع أن أحدد بالضبط فيمن تشك يا هاستينجز! أظن أنك تشك في كل واحد منهم على حدة!".

"أحيانًا أشعر بأنك تحب أن تجعلني في هذه الحالة!".

"لا، لا، أنا لا أُسَلِّي نفسي بهذه الطريقة".

"أخشى أن يحدث شيء ما".

هز بوارو رأسه، بعقل شارد بعض الشيء، ولكنني تفحصته جيدًا.

سألته: "هل هناك احتمال لحدوث شيء؟".

"صديقي، دائمًا ما أكون متوترًا قرب انتهاء أي قضية. إذا سار أي شيء على نحو خاطئ ـ".

"هل هناك احتمال لأن يحدث خطأ ما؟".

"لا أظن ذلك". صمت وتجهم بعض الشيء، ثم أردف يقول: "أظن أنني اتخذت احتياطاتي".

"إذن افترض أننا أغفلنا جريمة وحدثت فعلاً؟".

"حقًا يا هاستنجز، إنها فكرة جيدة!".

قضينا أمسية رائعة للغاية، رغم أنني ارتكبت خطأً بسيطًا باصطحابي بوارو إلى مسرحية أبطالها مجموعة من المحتالين. وهنا أحب أن أقدم نصيحة لكل قرائي، لا تأخذ جنديًا أبدًا إلى مسرحية عسكرية، أو بحارًا لمسرحية بحرية أبدًا، أو أسكتلنديًا لمسرحية أسكتلندية، أو محققًا لمسرحية بوليسية. ولا تصطحب أي ممثل لأي مسرحية مهما كانت! فوابل النقد الهدام الذي سيمطرك به سيكون له أثر سلبي عليك للغاية. وبوارو لم يتوقف للحظة عن الشكوى من العيوب النفسية لكل الشخصيات، كما أن افتقار المحقق بطل المسرحية إلى التفكير المنظم والمنطقي جعله يفقد صوابه. افترقنا في تلك الليلة وبوارو لا يزال يفسر أن العمل برمته كان من الممكن أن يهدم من أساسه في النصف الأول من الفصل الأول للمسرحية.

قلت له: "ولكن في هذه الحالة يا بوارو، لن تكون هناك مسرحية".

اضطر بوارو لأن يعترف بأن الأمر ربما يكون كذلك.

دخلت غرفة الجلوس صباح اليوم التالي في التاسعة وبضع دقائق. كان بوارو جالسًا على طاولة الإفطار، كعادته يفتح خطاباته.

رن جرس الهاتف فأجبته.

سمعت صوتًا نسائيًا منقطع النفس يتحدث:

"هل أنت السيد بوارو؟ أوه، أنت كابتن هاستنجز".

لفظت أنفاسها وهو تجهش بالبكاء.

سألته: "أنت الآنسة لوسون؟".

"نعم، نعم، حدث شيء مروع!".

أمسكت سماعة الهاتف بقوة.

"وما هو؟".

لقد غادرت ولينجتون، أعني بيلا. ذهبت إليها في وقت متأخر بعد الظهيرة بالأمس فقالوا إنها غادرت. دون حتى أن تترك كلمة لي! أمر غريب للغاية! وهذا يجعلني أشعر بأنه ربما يكون دكتور تانيوس *محقًا*. كان يتحدث بطريقة لطيفة للغاية عنها، كما أنه بدا *تعيسًا* للغاية، يبدو الآن أنه كان محقًا منذ البداية".

"ولكن ما الذي حدث يا آنسة لوسون؟ هل كل ما يزعجك أنها غادرت الفندق دون أن تخبرك بذلك؟".

"أوه، لا، الأمر ليس *كذلك*! أوه، يا إلهي لا. لو كان هذا كل ما في الأمر، *لما كانت* هناك مشكلة. رغم أنني أجد الأمر غريبًا. لقد قال دكتور تانيوس إنه كان يخشى أن تكون غير ــ غير ــ *طبيعية*. قال إنها تعاني جنون اضطهاد".

"نعم". (اللعنة عليك!) "*ولكن ما الذي حدث؟*".

"أوه، يا إلهي! الأمر مروع. توفيت في أثناء نومها، تناولت جرعة كبيرة من أقراص منومة. وهذان الطفلان المسكينان! الأمر كله يبدو حزينًا للغاية! لم أكف عن البكاء منذ سمعت الخبر".

"كيف وصلك الخبر؟ أخبريني".

من طرف عيني، لاحظت أن بوارو توقف عن فتح خطاباته. كان يستمع لما أقوله لها. لم أرد أن أترك له مكاني وأعطيه السماعة. فلو فعلت لعادت الآنسة لوسون أغلب الظن إلى النواح من جديد.

"اتصلوا بي من الفندق. فندق يسمى كونيستون. يبدو أنهم عثروا على اسمي وعنواني في حقيبتها. يا إلهي! سيد بوارو، أعني كابتن هاستنجز، *أليس هذا مروعًا؟* فقد هذان الطفلان المسكينان أمهما".

قلت لها: "اسمعي، هل أنت واثقة بأنها حادثة؟ أليس هناك شك أن يكون انتحارًا؟".

"أوه، يا لها من فكرة مروعة يا كابتن هاستينجز! أوه، يا إلهي! لست أدري، هل تظن أن هذا ممكن؟ سيكون هذا مروعًا. طبعًا كانت تبدو مكتئبة للغاية، ولكنها لم تكن بحاجة لأن تفعل ذلك ـ أعني أنه لم تكن هناك صعوبة بشأن *المال*. كنت *سأقتسم* معها المال؛ حقًا كنت سأفعل. كانت عزيزتي الآنسة أروندل تتمنى ذلك. أنا واثقة من ذلك! من المروع أن أفكر أنها أنهت حياتها بيدها، ولكن لعلها لم تفعل... فالعاملون في الفندق يعتقدون أنه حادث؟".

"ماذا تناولت؟".

"نوعًا من الأقراص المنومة. أظن اسمه فيرونال، لا كلورال. نعم، اسمه كلورال. أوه، يا إلهي! كابتن هاستنجز؛ ألا تعتقد ـ ".

بدون أي تكلف وضعت سماعة الهاتف، والتفت إلى بوارو.

"السيدة تانيوس ـــ".

رفع يده وقال.

"نعم، نعم، أعرف ما كنت ستقوله. إنها ماتت، أليس كذلك؟".

"نعم، تناولت جرعة كبيرة من أقراص منومة. كلورال".

نهض بوارو من مكانه.

"تعال يا هاستنجز. يجب أن نذهب إلى هناك على الفور".

"هل هذا ما كنت تخشاه الليلة الماضية؟ عندما قلت إنك دائمًا ما تكون متوترًا قرب نهاية أي قضية؟".

"كنت أخشى وفاة أخرى ـــ نعم".

كان وجه بوارو متجهمًا وعابسًا. لم نتحدث كثيرًا ونحن في طريقنا إلى إيوستون. هز بوارو رأسه مرة أو مرتين ونحن في طريقنا إلى هناك.

قلت له بخوف:

"ألا تعتقد ـ ؟ هل من الممكن أن تكون حادثة؟".

"لا يا هاستينجز، لا. لم تكن حادثة".

"كيف استطاع أن يعرف مكانها بحق السماء؟".

اكتفى بوارو بهز رأسه دون أن يجيب عن سؤالي.

كان فندق كونيستون مكانًا بغيضًا قريبًا من محطة إيوستون. ونجح بوارو ـ مستخدمًا بطاقته، وبتصرف متنمر صدر منه على نحو مفاجئ ـ في الوصول إلى مكتب المدير.

كانت الحقائق غاية في البساطة.

وصلت السيدة بيترز ـ كما سجلت اسمها ـ وطفلاها إلى الفندق في الثانية عشرة والنصف تقريبًا. وتناولوا الغداء في الساعة الواحدة.

وفي الساعة الرابعة وصل رجل ومعه برقية إلى السيدة بيترز. فتم إرسال البرقية إليها في غرفتها. وبعد بضع لحظات نزلت ومعها الطفلان وحقيبة. ثم غادر الطفلان مع الزائر، واتجهت السيدة بيترز إلى مكتب الاستقبال وأبلغتهم بأنها تريد غرفة واحدة فقط.

لم يظهر عليها حزن أو انزعاج، بل بدت هادئة رابطة الجأش للغاية. وتناولت العشاء في حوالي السابعة والنصف، ثم اتجهت إلى غرفتها بعد ذلك بوقت قصير.

وعندما اتجهت إليها الخادمة المسئولة عن الغرفة في الصباح، وجدتها ميتة.

تم استدعاء الطبيب وأعلن أنها توفيت منذ بضع ساعات. ووجدوا على الطاولة المجاورة لسريرها كوبًا فارغًا. بدا واضحًا تمامًا أنها تناولت أقراصًا منومة، تناولت منها جرعة كبيرة عن طريق الخطأ. قال الطبيب إن هيدرات الكورال عقار له استخدام مزدوج. ليست هناك آثار انتحار؛ فلم تترك أي خطاب. وبالبحث عن طريقة لإبلاغ أقاربها، تم العثور على اسم وعنوان الآنسة لوسون، وتم الاتصال بها هاتفيًا.

سأل بوارو عما إذا كانوا قد وجدوا أي خطابات أو أوراق معها. على سبيل المثال، البرقية التي أحضرها الرجل الذي اصطحب الطفلين.

أجابه الرجل بأنه لم يتم العثور على أي أوراق، ولكنه وجد كومة ورق محروق في المدفأة.

أومأ بوارو برأسه مستغرقًا في أفكاره.

كما يمكن لأي شخص أن يقول، لم تقابل السيدة بيترز أي زوار ولم يأت أي أحد إلى غرفتها، الاستثناء الوحيد كان لرجل جاءها ليصطحب الطفلين.

سألت الحمال بنفسي عن شكله، ولكن مواصفاته كانت غامضة للغاية. رجل متوسط الطول ـ يظن أنه ذو شعر فاتح ـ ذو بنية عسكرية ـ لا شيء واضح في وصفه. لا، قطعًا لم يكن ملتحيًا.

قلت لبوارو بصوت منخفض: "ليس تانيوس".

"عزيزي هاستينجز! هل تظن حقًا أن السيدة تانيوس بعد كل العناء الذي تحملته لكي تهرب بأطفالها من والدهم، سوف تسلمهما له بكل سهولة دون أي ضجة أو اعتراض؟ بالطبع لا!".

"إذن، من هذا الرجل؟".

"واضح أنه شخص محل ثقة من السيدة تانيوس، أو أنه شخص ثالث أرسله شخص محل ثقة من السيدة تانيوس".

فكرت قائلاً: "رجل متوسط الطول".

"لست بحاجة لأن تشغل بالك بمظهره يا هاستنجز. أنا واثق تمامًا أن الرجل الذي اصطحب الطفلين شخصية غير مهمة على الإطلاق. الشخص الحقيقي أخفى نفسه وراء ستار!".

"والبرقية كانت من هذا الشخص الثالث؟".

"نعم".

"شخص محل ثقة السيدة تانيوس؟".

"هذا واضح".

"والبرقية محروقة الآن؟".

"نعم، أُمرت أن تفعل ذلك".

"ماذا عن ملف القضية الذي أعطيته إياها؟".

تجهم وجه بوارو بطريقة غريبة.

"هذا أيضًا تم حرقه. ولكن هذا غير مهم!".

"لا؟".

"لا؛ فكل شيء موجود في رأس هيركيول بوارو".

شدني من ذراعي وهو يقول:

"تعال يا هاستنجز، هيا نغادر المكان؛ فالقتيل لا يشغلنا؛ وإنما من لا يزال على قيد الحياة؛ فهو من يجب أن أتعامل معه".

www.liilas.com/vb3
uploaded and scanned by:
THE GHOST 92

التاسع والعشرون

تحقيق في منزل ليتلجرين

كان ذلك في الساعة الحادية من صباح اليوم التالي.

اجتمع سبعة أشخاص في منزل ليتلجرين.

وقف هيركيول بوارو بجوار المستوقد، وجلس تشارلز وتريزا على الأريكة؛ حيث جلس تشارلز مطوقًا أخته بذراعه. وجلس تانيوس على كرسي قديم الطراز. كانت عيناه محمرتين، وكان يضع رباطًا أسود حول ذراعه.

وعلى كرسي مستقيم بجوار طاولة مستديرة جلست صاحبة البيت؛ الآنسة لوسون. كانت هي الأخرى محمرة العينين. وكان شعرها غير مرتب أكثر من المعتاد. وجلس دكتور دونالدسون قبالة بوارو مباشرة، بوجه خالٍ من أية مشاعر تمامًا.

زاد اهتمامي وأنا أتحول بنظري في كل وجه على حدة.

طوال مرافقتي لهيركيول ساعدته في كثير من مثل هذه المواقف. مجموعة صغيرة من الأشخاص، جميعهم يظهر رباطة جأش يخفيها تحت قناع الأدب والتهذيب، كما رأيت بوارو وهو ينزع قناعًا من على أحد الوجوه ليظهر الشخص على حقيقته ـ وجه *القاتل!*

نعم، لم يكن هناك شك في ذلك، *فأحد هؤلاء الأشخاص قاتل!* ولكن أيهم؟ حتى هذه اللحظة لم أكن *متأكدًا* منه.

تنحنح بوارو، بشيء من المباهاة كعادته ـ وبدأ في الحديث.

"لقد اجتمعنا هنا، أيها السيدات والسادة، لنحقق في مسألة موت إميلي أروندیل في الأول من مايو الماضي. هناك أربع احتمالات: أن تكون توفيت بشكل طبيعي، أو أن تكون توفيت جراء حادث، أو أن تكون قد انتحرت، أو أن تكون قد لقيت مصرعها على يد شخص معروف أو غير معروف.

لم يتم عمل أي تحقيق وقت وفاتها؛ نظرًا للاعتقاد بأنها توفيت لأسباب طبيعية، بعد أن قدم دكتور جرينجر شهادة طبية تثبت ذلك.

في أية قضية تثور فيها شكوك بعد دفن الشخص، من الطبيعي أن يتم تشريح جثة الشخص المتوفى. وهناك أسباب جعلتني لا ألجأ إلى هذا الأمر. أهم هذه الأسباب هي أن موكلتي لم تكن تريد ذلك".

قاطعه دكتور دونالدسون بقوله:

"موكلتك؟".

التفت إليه بوارو قائلاً.

"نعم؛ الآنسة إميلي أروندیل. كنت أتصرف نيابة عنها؛ فقد كانت أهم أمنياتها ألا تسبب أي فضائح".

سوف أتغاضى عن ذكر ملخص ما دار في الدقائق العشر الأولى؛ لأنها تضمنت الكثير من التكرار الذي لا طائل منه؛ فقد أخبر بوارو دكتور دونالدسون بالخطاب الذي تلقاه، وقرأه على الملأ بصوت عال. ثم مضى يشرح الخطوات التي اتخذها عند قدومه إلى ماركيت بيسينج، واكتشافه سبب وقوع الحادث نتيجة له. ثم توقف عن الكلام، وتنحنح مرة أخرى، ثم أردف يقول:

"والآن، سوف أكشف لكم الحقيقة التي اكتشفتها لتعرفوا الحقيقة. سوف أجري إعادة تمثيل للحقائق المتعلقة بالقضية.

بداية، من الضروري أن نتخيل بالضبط ما دار في خلد الآنسة أروندیل. وأظن أن هذا الأمر غاية في السهولة. سقطت على السلالم، وكان من المعتقد أن هذه

الحادثة وقعت بسبب كرة الكلب، ولكنها تعرف *الأسباب أكثر من أي شخص* آخر. وبعدما استلقت على سريرها، استرجع عقلها الذكي والحصيف ظروف سقوطها، حتى توصلت لاستنتاج قاطع ـ وهو أن شخصًا ما حاول عن عمد أن يؤذيها؛ أو بالأحرى أن يقتلها.

من هذا الاستنتاج بدأت تفكر في الشخص الذي فعل ذلك. كان هناك سبعة أشخاص في المنزل؛ أربعة ضيوف، وجليستها وخادمتين. ومن بين هؤلاء الأشخاص السبعة لم تتمكن من تبرئة سوى شخص واحد تمامًا، باعتبار أن هذا الشخص ليست لديه مصلحة في وفاتها. كما أنها لم تشك في الخادمتين حيث عاشت معهما سنوات عديدة، وتعرف أنهما مخلصتان لها. ولكن يبقى هناك *أربعة* أشخاص، ثلاثة منهم من لحمها ودمها، والرابع صهر لها. *وكل واحد من الأشخاص الأربعة يستفيد من وفاتها؛ ثلاثة سيستفيدون استفادة مباشرة، والرابع سيستفيد استفادة غير مباشرة.*

كانت في موقف عصيب باعتبارها سيدة تُكِنُّ مشاعر قوية لعائلتها. كما أنها لم تكن تتمنى أن تنشر مشاكلها على الملأ، كما نقول. على الصعيد الآخر، لم يكن من السهل عليها أن تعترف بكل بساطة بمحاولة قتلها!

لذلك اتخذت قرارها بمراسلتي. كما اتخذت خطوة أخرى. شجعها على هذه الخطوة كما أظن سببان؛ أحدهما على ما أظن إحساس واضح *بالضغينة* كنَّته لعائلتها بالكامل! كانت تشك في الجميع دون أن تنحاز لأحد على حساب الآخر، كما أنها كانت مصرة على ألا يأتي ذلك على حساب أي شخص مهما كان الثمن! أما الدافع الثاني والأهم فهو رغبتها في أن تحمي نفسها حتى تتمكن من التوصل لمعرفة السبيل لذلك. وكما تعرفون، أرسلت إلى محاميها السيد بيرفيس، وطلبت منه أن يكتب لها وصية لصالح الشخص الوحيد الموجود في المنزل الذي كانت مقتنعة تمام الاقتناع بأنه ليست له أي يد في الحادث الذي مرت به.

يمكنني أن أقول الآن إنه من واقع خطابها لي ومن التصرفات التالية التي اتخذتها، أنا مقتنع تمامًا بأن الآنسة أروندیل تجاوزت مرحلة الشك *المبهم* في أربعة أشخاص، إلى شك مقصور على شخص واحد فقط منهم. وقد أكدت لي في

خطابها ـ مرارًا وتكرارًا ـ أن أبقي الأمر محاطًا بأكبر قدر من السرية؛ لأن سمعة العائلة بالكامل كانت على المحك.

ومن وجهة نظر سيدة عجوز، أظن أن هذا يعني أنها كانت تشك في *شخص يحمل اسمها*، وعلى الأخص *رجل*.

"فلو كانت تشك في السيدة تانيوس لكانت حريصة تمامًا على تأمين حياتها، ولما اهتمت كثيرًا بسمعة العائلة. وكانت تشعر بالشيء نفسه حيال تريزا أروندیل، ولكن لم تشعر بالشيء نفسه حيال تشارلز.

فتشارلز يحمل اسم *أروندیل*. يحمل اسم *عائلتها*! كما أن أسبابها للشك فيه كانت واضحة تمامًا. بداية، كانت فكرتها صحيحة تمامًا عن تشارلز؛ فقد أوشك على تلطيخ اسم العائلة من قبل. كانت تعرف أنه قد يقدم على الجريمة، ولكن أن يكون مجرمًا فعلًا! زور اسمها من قبل على شيك. وبعد التزوير ـ خطوة خطوة ـ قتل!

كما أنها دخلت في حوار مع تشارلز قبل يومين من الحادث أوحى لها بذلك. طلب منها بعض المال فرفضت، ولهذا قال لها ـ بطريقته الساخرة بالطبع ـ إنها بذلك تعرض نفسها للضرب بالنار. فأجابته بأنها قادرة على أن تعتني بنفسها! وعلمتُ أن ابن أخيها رد عليها بقوله: "لا تكوني واثقة لهذه الدرجة". *وبعد يومين من هذا الحوار وقع الحادث المشئوم.*

كان من الصعب وهي طريحة الفراش أن تفكر في كل الأحداث التي مرت بها، فتوصلت الآنسة أروندیل إلى قناعة تامة بأن *تشارلز أروندیل* هو من حاول أن يودي بحياتها.

تسلسل الأحداث واضح تمامًا، الحوار الذي دار بينها وبين تشارلز. الحادث. الخطاب الذي أرسلته لي وهي في حالة كبيرة من الحزن والضيق. ثم الخطاب الذي أرسلته إلى المحامي. وفي يوم الثلاثاء التالي الموافق الحادي والعشرين، أحضر السيد بيرفيس الوصية فوقعتها.

جاء تشارلز وتريزا أروندیل في العطلة الأسبوعية التالية، فاتخذت الآنسة أروندیل على الفور الخطوات اللازمة لتؤمن نفسها. *فأخبرت تشارلز بالوصية.*

ولم تكتف *بالكلام* فقط، بل إنها *أرته* إياها فعلاً! وأنا شخصيًا أرى في ذلك *دليلاً قاطعًا. أوضحت لقاتل محتمل أن القتل لن يجعله يحصل على أي شيء!*

أغلب الظن أنها فكرت أن تشارلز سوف يمرر هذه المعلومات لأخته. ولكنه لم يفعل ذلك. لماذا. أتصور أنه فعل ذلك لسبب وجيه جدًا؛ وهو شعوره بالذنب! فقد كان يرى أن تغيير الوصية هو ما جناه مما زرعته *يداه*. ولكن *لماذا* شعر بالذنب؟ هل لأنه حاول قتلها فعلاً، أم لأنه مد يده فعلاً على مبلغ قليل من المال؟ قد تكون الجريمة الكبيرة، أو التافهة هي المسئولة عن عدم رغبته في أن يخبر أخته بما حدث. فلم ينبس ببنت شفة أملاً أن تعود عمته في قرارها وتغير رأيها.

وفيما يتعلق بالحالة الذهنية للآنسة أروندیل، أشعر بأنني أعدت تمثيل الأحداث بقدر كبير من الصحة. فأصبح عليَّ أن أتخذ قراري بشأن ما إذا كانت شكوكها لها ما يبررها بالفعل أم لا.

تمامًا مثلما فعلت، أدركت أن شكوكي كانت مقصورة على دائرة صغيرة؛ سبعة أشخاص تحريًا للدقة: تشارلز وتريزا أروندیل، دكتور تانيوس والسيدة تانيوس، واثنتين من الخدم والآنسة لوسون. كما يجب أن نضع في اعتبارنا شخصًا ثامنًا ألا وهو دكتور دونالدسون الذي تناول العشاء هنا في تلك الليلة، ولكنني لم أعلم بحضوره إلا في وقت لاحق.

هؤلاء الأشخاص السبعة الذين فكرت فيهم يمكن تقسيمهم بكل سهولة إلى فئتين: ستة منهم مستفيدون بدرجة كبيرة أو صغيرة من وفاة الآنسة أروندیل. وإذا ارتكب أي من هؤلاء الأشخاص الستة الجريمة فالسبب على الأرجح هو *الكسب*. أما الفئة الثانية فاشتملت على شخص واحد فقط؛ وهو الآنسة لوسون. فالآنسة لوسون لم تكن ستستفيد من وفاة الآنسة أروندیل، *ولكن نتيجة للحادث*، استفادت منه إلى حد كبير في وقت لاحق!

وهذا يعني أن الآنسة لوسون إذا كانت قد خططت لما وصفتموه بالحادث _".

قاطعته الآنسة لوسون قائلة: "لم أفعل شيئًا من هذا القبيل من قبل! هذا مشين! عار عليك أن تقف هناك وتقول شيئًا كهذا!".

قال بوارو: "قليل من الصبر يا آنسة. أرجو ألا تقاطعيني من فضلك".

أرجعت الآنسة لوسون رأسها للخلف في غضب.

"أنا مصرة على أن أعترض! هذا مشين! مشين!".

تابع بوارو كلامه غير مكترث بها.

"كنت أقول إنه *إذا* كانت الآنسة لوسون خططت لهذا الحادث لسبب *مختلف* تمامًا؛ وهو أن تثير الشك في قلب الآنسة أروندیل *تجاه عائلتها بصورة طبيعية وتبتعد عنهم*، فهذا احتمال! تقصيت لأرى ما إذا كان هناك أي دليل على هذا الاحتمال فتوصلت لحقيقة واحدة قاطعة _ وهي أن الآنسة لوسون لو أرادت للآنسة أروندیل أن تشك في عائلتها، لأكدت حقيقة وجود الكلب بوب *في الخارج* طوال الليل. ولكنها على العكس، أخفت هذا الأمر عن الآنسة أروندیل تمامًا لكي لا تعرف بذلك. لهذا توصلت لأن الآنسة لوسون بريئة تمامًا".

قالت الآنسة لوسون بحدة:

"آمل ذلك!".

"بعد ذلك فكرت في مشكلة وفاة الآنسة أروندیل. إذا حاول شخص ما قتل شخص، فعادة ما يحاول ذلك مرة أخرى. وانتابني شك كبير إزاء وفاة الآنسة أروندیل في غضون أسبوعين من المحاولة الأولى لقتلها. فبدأت في إجراء تحرياتي.

لم يشعر دكتور جرينجر بأن هناك شيئًا غير طبيعي في وفاة مريضته. بل على العكس حاول أن يثنيني عن هذه الفكرة. ولكن بالتحقيق في الأحداث التي جرت في الليلة الأخيرة قبل مرضها، توصلت لحقيقة مهمة؛ فقد تحدثت الآنسة إيزابيل تريب عن وجود هالة من نور أحاطت برأس الآنسة أروندیل، وأكدت أختها ذلك. من الممكن بالطبع أن يكونا اخترعا ذلك _ بروح رومانسية _ ولكن من غير المحتمل أن تكون هذه الظاهرة من نسج خيالهما وألا يكون لها أي أساس من الصحة. وعندما سألت الآنسة لوسون، أعطتني معلومة مهمة أيضًا؛ فقد تحدثت عن خروج شريط منير من فم الآنسة لوسون شكل هالة منيرة حول رأسها.

من الواضح *أن الحقيقة الفعلية* واحدة، رغم اختلاف الوصف ممن شهدوا الواقعة. ولكن ما حدث، وكانت له أهمية روحية، *هو أن الآنسة أروندیل في هذه الليلة كانت مُتَقَمِّصَرة!*".

تململ دكتور دونالدسون بعض الشيء في جلسته.

أومأ له بوارو برأسه.

"نعم، بدأت تفهم ما حدث. ليس هناك كثير من المواد الفوسفورية. ولكن أولهم وأكثرهم شيوعًا أعطاني بالضبط ما كنت أبحث عنه. سوف أقرأ عليكم مقتبسًا قصيرًا من مقالة عن التسمم بالفسفور.

قد يكون نَفَس الشخص متفسفرًا قبل أن يشعر بأي شيء على الإطلاق. وهذا هو ما رأته الآنسة لوسون والأختان تريب في الظلام؛ نَفَس الآنسة أروندیل المتفسفر؛ "الهالة المنيرة". وسوف أقرأ عليكم باقي الأعراض. *تعرب الصفراء عن نفسها بعد ذلك، وقد لا يظهر أن الجسم واقع تحت تأثير مادة الفسفور السامة، وإنما أنه يعاني انحباس العصارة الصفراوية في الدم، وحتى هذا الحد، لا يكون هناك أي فارق واضح بين التسمم بالفسفور وأي مرض في الكبد ـ مثل الضمور الأصفر.*

أرأيت الذكاء؟ كانت الآنسة أروندیل تعاني مشاكل في الكبد منذ سنوات. مما يجعل أعراض التسمم بالفسفور لا تختلف كثيرًا عن *أي نوبة من النوبات التي كانت تمر بها*. لن يحدث شيء جديد، لن يحدث شيء غريب.

أوه! كانت خطة ممتازة! وليس من الصعب الحصول على الفسفور، جرعة بسيطة منه كفيلة بأن تقتلها. الجرعة الطبية هي ١/١٠٠ إلى ١/٣٠ منه.

أرأيتم، كيف أصبح الأمر كله واضحًا! من الطبيعي أن ينخدع أي طبيب، خاصة أنني اكتشفت أن حاسة الشم ضعيفة لديه؛ رائحة الثوم في النَّفَس عرض معروف للتسمم بالفسفور. لم تساوره أي شكوك، ولماذا يساوره الشك ولم يحدث أي شيء يثير الشك بداخله، والشيء الوحيد الذي قد يعطيه لمحة عن ذلك لم يسمع به من قبل، وحتى لو كان سمع به لما تصور أنه يعني أي شيء سوى أنه مجرد هراء مرتبط بالجلسات الروحية.

أصبحت واثقًا الآن (من دليل الآنسة لوسون والأختين تريب) من وقوع جريمة قتل. ولكن يبقى السؤال عن *القاتل*؟ استبعدت الخادمتين؛ فعقليتهما لن تهديهما لجريمة كهذه. واستبعدت الآنسة لوسون لأنها لم تكن ستتحدث عن التجسد المثير لو كانت لها علاقة بهذه الجريمة. واستبعدت تشارلز أروندیل *لأنه كان يعرف ـ بعدما رأى الوصية ـ أنه لن يجني أي شيء من وفاة عمته.*

يبقى لدينا أخته تريزا، ودكتور تانيوس، والسيدة تانيوس ودكتور دونالدسون الذين علمت أنهم تناولوا العشاء في المنزل ليلة حادثة كرة الكلب.

عند هذا الحد لم يبقَ لدي كثير من الحقائق لتساعدني على اكتشاف القاتل. فكان عليَّ أن أعتمد على سيكولوجية الجريمة وشخصية القاتل! كلتا الجريمتين لها *الملامح نفسها* تقريبًا. كلتاهما *بسيطة*. كلتاهما ذكية تم عملها ببراعة كبيرة. كلتاهما تتطلب درجة من المعرفة ولكن ليست درجة كبيرة. فالحقائق المتعلقة بالتسمم بالفسفور من السهل معرفتها، والمادة نفسها ـ كما قلت ـ من السهل الحصول عليها، خاصة من الخارج.

فكرت في البداية في الرجلين. كلاهما طبيب، كلاهما ذكي. أي واحد منهما يمكنه أن يفكر في الفسفور ومدى مناسبته لهذه الحالة، ولكن حادثة كرة الكلب لا تتناسب مع عقل ذكوري. حادثة الكرة بدت لي من تخطيط *سيدة*.

فكرت في البداية في تريزا أروندیل. تتمتع ببعض الإمكانات؛ فهي جريئة، قاسية، ليست فوق الشبهات؛ فحياتها أنانية وجشعة. ولطالما كانت تحصل على كل ما تريده، كما أنها وصلت إلى حد يجعلها في عوز شديد للمال؛ من أجلها وأيضًا من أجل الرجل الذي تحبه. كما أن تصرفاتها كانت تظهر بوضوح أنها تعرف أن عمتها قتلت.

اللذيذ في الأمر أنه كان هناك رابط صغير بينها وبين أخيها. فهمت أن *كلًا منهما كان يشك في أن الآخر ارتكب الجريمة*. حاول تشارلز أن يجعلها *تقول إنها كانت تعرف بوجود الوصية الجديدة*. لماذا؟ واضح طبعًا أنها لو كانت تعرف بها فليس من المعقول الشك في أنها ارتكبت الجريمة. وهي على الصعيد الآخر لم تصدق كلام تشارلز أن الآنسة أروندیل أرته الوصية! كانت تعتبر ذلك محاولة خرقاء من جانبه ليبعد الشكوك عنه.

هناك نقطة أخرى مهمة. لم يرد تشارلز أن يستخدم كلمة زرنيخ. واكتشفت بعد ذلك أنه سأل البستاني العجوز بالتفصيل عن مدى تأثير إحدى المواد القاتلة للحشائش. واضح أن الأمر كان يدور في عقله".

تململ تشارلز أروندیل في جلسته.

قال: "فكرت في ذلك. ولكن حسنًا، أظن أنني لم أملك الشجاعة لأفعل".

أومأ له بوارو.

"*بالضبط، فهذا بعيد عن شخصيتك*؛ فجرائمك دائمًا ما تكون جرائم تنم عن ضعف ـ أن تسرق، تزور، هذا ممكن، وغاية في السهولة، وإنما أن تقتل؛ لا! فالقتل يحتاج إلى عقلية مهووسة بالفكرة".

ثم واصل حديثه وكأنه يلقي محاضرة.

"وجدت تريزا أروندیل تملك القوة الذهنية الكافية لتنفذ فكرة كهذا، ولكن كانت هناك حقائق أخرى يجب وضعها في الاعتبار. لم تخب آمالها من قبل أبدًا. عاشت حياة كاملة وأنانية، ولكن هذا النوع من الشخصيات *لا يقدم على القتل* ـ إلا في حالة وجود خطر مفاجئ. ولكنني شعرت بأن *تريزا أروندیل هي من أخذت قاتل الحشائش من العبوة*".

تحدثت تريزا على الفور وقالت:

"سوف أخبرك بالحقيقة. فكرت في ذلك، بل إنني أخذت فعلاً بعض المواد القاتلة للحشائش الضارة من عبوة موجودة في المنزل. ولكنني لم أستطع أن أفعل! فأنا أحب الحياة ـ أحب العيش ـ ولا أستطيع أن أفعل ذلك مع أي شخص؛ أنزع منه الحياة... قد أكون سيئة وأنانية، ولكنَّ هناك أمورًا لا أستطيع القيام بها! لا أستطيع أن أقتل إنسانًا على قيد الحياة!".

أومأ بوارو برأسه.

"لا، هذا صحيح؟ لست بدرجة السوء التي تظهرين نفسك بها بمساحيق التجميل التي تضعينها، يا آنسة. كل ما هنالك أنك شابة صغيرة ومتهورة".

ثم أردف يقول:

"تبقى لدينا السيدة تانيوس. بمجرد أن رأيتها أدركت أنها خائفة. وعلمت هي أنني أعرف ذلك، واستغلت هذا الأمر بأقصى سرعة ممكنة. أعطتني صورة مقنعة للغاية لسيدة *خائفة على زوجها*. وبعد وقت لاحق غيرت خطتها. فعلت ذلك بذكاء شديد، ولكن هذا التغيير لم ينطل عليَّ؛ فأي سيدة إما أن تخاف *على* زوجها، أو أن تخاف *منه*؛ ولكن من المستحيل أن تفعل *الأمرين*؛ فقررت السيدة تانيوس أن تلعب الدور الثاني، وقد لعبت دورها بذكاء، حتى عندما خرجت خلفي إلى الردهة

في الفندق وتظاهرت بأن هناك ما تود إخباري به. وعندما تعقبها زوجها وكانت تعرف أنه سيفعل، تظاهرت بأنها لا تستطيع أن تتحدث أمامه.

أدركت على الفور أنها لا تخشى زوجها، ولكنها لا تحبه؛ ففهمت الأمر على الفور. أصبحت مقتنعًا بأن هذه بالضبط هي الشخصية التي أبحث عنها. لدينا سيدة لم تنغمس يومًا في ملذاتها وشهواتها، ولكن آمالها خابت دومًا. فتاة بسيطة، تعيش حياة كئيبة، غير قادرة على جذب الرجال الذين تحب أن تجذبهم إليها، حتى قبلت أخيرًا برجل لم تكن تهتم لأمره، فضلت الزواج منه بدلاً من أن تظل سيدة عجوزًا وحيدة. أستطيع أن أتفهم عدم رضاها المتزايد عن حياتها، حياتها في سميرنا أبعدتها عن كل ما أحبته في حياتها. ثم ولادة طفليها وارتباطها العاطفي بهما.

كان زوجها مخلصًا لها، ولكنها أخفت عدم حبها المتزايد له سرًا. كان يضارب بأموالها ويخسرها، وهو سبب آخر يجعلها تكن له الضغينة.

شيء وحيد كان ينير حياتها الرتيبة المملة، وهو انتظار وفاة عمتها. بعد ذلك سوف تتمتع بالمال والاستقلالية، والسبيل لتعليم طفليها كما تمنت، مع الوضع في الاعتبار أن التعليم يعني لها الكثير، وهي ابنة الأستاذ الجامعي!

لعلها خططت للجريمة بنفسها، أو خطرت الفكرة على بالها قبل أن تأتي إلى إنجلترا. ولديها معرفة بسيطة بالكيمياء؛ فقد كانت تساعد والدها في المعمل. كانت تعرف طبيعة شكوى الآنسة أروندیل، وكانت تعرف جيدًا أن الفسفور سيكون مادة مناسبة لهدفها.

ثم جاءت إلى منزل ليتلجرين، فخطرت على بالها فكرة أبسط. كرة الكلب؛ مجرد شد خيط أعلى السلالم سيفي بالغرض. فكرة نسائية بسيطة وذكية.

أجرت محاولتها، وفشلت. ولا أعتقد أنه كانت لديها أي فكرة أن الآنسة أروندیل كانت تعرف حقيقة الأمر؛ فقد كانت شكوك الآنسة أروندیل متجهة بالكامل إلى تشارلز. أشك في أن تعاملها مع بيلا تغير بأي شكل. وهكذا، بهدوء وإصرار، نفذت هذه السيدة المستقلة، التعيسة الطموح خطتها الأساسية، بعض الكابسولات التي اعتادت الآنسة أروندیل تناولها بعد الوجبات. فتحت كبسولة، ووضعت بعض الفسفور بداخلها وأغلقتها مرة أخرى.

"وضعت الكبسولة بين غيرها من الكبسولات. وعاجلاً أم آجلاً سوف تتناولها الآنسة أروندیل. ولن يشك أحد في أنها تسممت. وحتى لو حدث ذلك، وهو أمر غير محتمل الحدوث، فسوف تكون في مكان ما بعيد عن ماركيت بيسينج.

إلا أنها اتخذت احتياطًا واحدًا؛ فقد أخذت جرعة مضاعفة من الكلورال المخفف من الصيدلي، بعد أن زورت اسم زوجها على وصفة الطبيب. لم يساورني شك في السبب الذي دفعها لذلك، وهو أن تبقي نفسها في مأمن إذا سارت الأمور بشكل خاطئ.

كما قلت، كنت مقتنعًا من اللحظة الأولى التي رأيت فيها السيدة تانيوس بأنها الشخص الذي كنت أبحث عنه، ولكن لم يكن لدي أي *دليل* على ذلك. فكان عليَّ أن أواصل بحثي بحذر. فلو علمت السيدة تانيوس أنني أشك فيها، قد تقدم على جريمة أخرى. الأكثر من ذلك أن فكرة هذه الجريمة خطرت على بالها بالفعل. فأمنية حياتها أن تتحرر من زوجها.

بعدما باءت جريمتها الأساسية بالفشل، أل كل المال ـ المال الرائع المسمم ـ إلى الآنسة لوسون! كانت فاجعة كبيرة، ولكنها عملت بذكاء شديد. بدأت في العمل على ضمير الآنسة لوسون، الذي أعلم أنه لم يكن مرتاحًا تمامًا".

وفجأة، بدأت الآنسة لوسون تتنهد وأجهشت بالبكاء، ثم أخرجت منديلاً وقالت وهي تبكي:

"هذا مروع. لقد كنت شريرة! شريرة للغاية. كنت قلقة بشأن الوصية؛ تساءلت في نفسي عن السبب الذي دفع الآنسة أروندیل لكتابة وصية جديدة. وذات يوم، بينما كانت الآنسة أروندیل ترتاح، نجحت في أن أفتح درج المكتب، فوجدت أنها كتبت كل أموالها *لي*! بالطبع لم أحلم بشيء كهذا *أبدًا*. كل ما فكرت فيه هو بضعة آلاف، هذا هو كل ما فكرت فيه. ولم لا؟ أقاربها لم *يهتموا* بها أبدًا! ولكن عندئذ عندما مرضت بشدة وطلبت الوصية. علمت؛ كنت موقنة أنها سوف تتخلص منها... وهنا أظهرت الجانب الشرير من شخصيتي. قلت لها إنها أرسلتها إلى السيد بيرفيس. وكانت عزيزتي المسكينة شديدة النسيان. لم تكن تتذكر أين تضع أشياءها. فصدقتني، وقالت إنني يجب أن أراسله، فقلت لها إنني سأفعل.

أوه، يا إلهي! أوه، يا إلهي! ثم ازدادت حالتها سوءًا ولم أستطع أن أفكر في أي شيء. وتوفيت، وآلت كل أموالها إليَّ، شعرت بإحساس مروع. ثلاثمائة وخمسة وسبعون ألف جنيه. لم أحلم أبدًا ولا للحظة بأن شيئًا كهذا سيحدث.

ولكنني شعرت بأنني اختلست المال، ولم أعرف ماذا أفعل. وذات يوم، جاءتني بيلا وأخبرتها بأنني سوف أعطيها نصف المبلغ. كنت واثقة بأنني سأشعر بالسعادة من جديد".

قال بوارو: "أرأيت؟ نجحت السيدة تانيوس في هدفها. لهذا السبب عارضت بشدة أي محاولة للطعن في الوصية. كانت لديها خططها الخاصة وكان آخر شيء تريده هو أن تعادي السيدة لوسون. تظاهرت بالطبع بأنها تستجيب لرغبات زوجها، ولكنها أوضحت مشاعرها الحقيقية.

كان لديها في ذلك الوقت هدفان؛ أن تبعد نفسها وطفليها عن دكتور تانيوس، وأن تحظى بنصيبها من المال. عندئذ ستحصل على ما أرادته؛ حياة مرفهة ثرية في إنجلترا مع طفليها.

مع مرور الوقت، لم تستطع أن تخفي كرهها لزوجها. بل إنها في واقع الأمر لم تحاول أن تفعل. أما الرجل المسكين فكان مستاءً ومحبطًا للغاية. فبدت له تصرفاتها بالطبع غير مفهومة أبدًا. ولكنها كانت منطقية تمامًا. كانت تلعب دور السيدة التي أكرهت على فعل ما لا تريد. إذا ساورتني الشكوك، وكانت واثقة أن الوضع كذلك ـ كانت تريدني أن أعتقد أن زوجها هو من ارتكب جريمة القتل. وفي أي لحظة سوف تحدث الجريمة الثانية التي أعلم أنها خططت لها في عقلها. كنت أعرف أن لديها جرعة مميتة من الكلورال في حوزتها. وخشيت أن تتظاهر بإقدامه على الانتحار واعترافه بكل شيء.

رغم ذلك لم يكن لدي أي دليل ضدها! وبعدما أصابني اليأس، عملت شيئًا أخيرًا! فقد أخبرتني الآنسة لوسون بأنها رأت تريزا أروندیل جاثية على السلالم ليلة الاثنين. واكتشفت على الفور أن الآنسة لوسون لم يكن بإمكانها أن ترى تريزا أروندیل بوضوح لكي تحدد *ملامحها*. ولكنها كانت محقة في ما تعرفت عليه، وعندما ضغطت عليها ذكرت أنها كانت تضع دبوس زينة عليه الأحرف الأولى لاسمها ت. أ.

بناءً على طلبي أرتني الآنسة تريزا أروندیل دبوس الزينة. وأنكرت في الوقت نفسه وقوفها على السلالم في الوقت المذكور. تصورت في البداية أن شخصًا آخر استعار منها الدبوس، ولكنني عندما نظرت إليه في المرآة اتضحت لي الحقيقة. وهي أن الآنسة لوسون عندما استيقظت رأت شخصًا غامضًا يحمل دبوس زينة مكتوبًا عليه حرفي ت. أ؛ فاستنتجت على الفور أنها تريزا أروندیل.

ولكن إذا كانت المرآة عكست حرفي ت. أ، يصبح ترتيبهما الحقيقي هو أ. ت، بما أن المرآة ستعكس ترتيب الأحرف.

بالطبع! والدة السيدة تانيوس هي أرابيلا أروندیل. وبيلا هو الاسم المختصر. والحرفان أ. ت. اختصار لاسم أرابيلا تانيوس. وليس غريبًا أن يكون لدى السيدة تانيوس دبوس زينة مماثل؛ فقد كان مسايرًا للموضة في احتفالات رأس العام الماضي، ولكنه انتشر بعد ذلك في كل مكان، ولاحظت بالفعل أن السيدة تانيوس تقلد ابنة خالتها في ملابسها وقبعاتها طالما أن بإمكانها تحمل تكلفتها الزهيدة.

علمت أنني حللت اللغز وأن القضية تكشفت أخيرًا.

الآن؛ ما الذي عليَّ عمله؟ هل أحضر أمرًا من وزارة الداخلية بتشريح الجثة؟ قطعًا يمكنني تدبر هذا الأمر. وقد أثبت أن الآنسة أروندیل تسممت بالفسفور رغم وجود قدر بسيط من الشك في ذلك. لقد دفنت الجثة منذ شهرين، وأعلم أنه كانت هناك حالات تسمم بالفسفور رغم عدم حدوث أي ضرر، وأنه بعد فحص الجثة بعد الوفاة لم يثبت أي شيء. وحتى في هذه الحالة، هل يمكنني أن أربط بين السيدة تانيوس وشراء الفسفور أو الحصول عليه؟ أمر صعب؛ نظرًا لأنها اشترته على الأرجح من الخارج.

عند هذه النقطة، قامت السيدة تانيوس بإجراء حاسم. تركت زوجها، وألقت نفسها على الآنسة لوسون لتفوز بتعاطفها. كما أنها اتهمت زوجها بالقتل.

كنت مقتنعًا بأنه سوف يكون ضحيتها التالية إذا لم أتخذ أي إجراء. أخذت خطوات لأبعدهما عن بعضهما البعض وادعيت أن هذا لسلامتها؛ فلم تستطع أن تعارض هذا الأمر. ولكنني بحق كنت حريصًا على سلامته هو. وبعد ذلك ــ وبعد ذلك". توقف عن الكلام، فترة طويلة. وشحب لون وجهه.

"ولكن هذا كان مجرد إجراء مؤقت. كان عليَّ أن أتأكد أن القاتل لن يقبل على أي جريمة أخرى. كان عليَّ أن أؤمن سلامه البريء.

لذلك كتبت رؤيتي للقضية وسلمتها إلى السيدة تانيوس".

سادت فترة طويلة من الصمت.

صاح دكتور تانيوس:

"أوه، يا إلهي! ألهذا السبب قتلت نفسها".

قال بوارو بلطف:

"ألم تكن أفضل طريقة؟ فكرت في ذلك. كانت تفكر في طفليها".

دفن دكتور تانيوس وجهه بين كفيه.

اقترب بوارو ناحيته ووضع يده على كتفه.

"كان هذا الأمر ضروريًا. صدقني كان ضروريًا. كان من الممكن أن تحدث المزيد من الوفيات. أولاً أنت، مثلما كان من الممكن ـ في ظروف معينة، أن يأتي الدور على الآنسة لوسون، وهكذا".

ثم توقف عن الكلام.

بصوت ضعيف قال دكتور تانيوس:

"لقد أرادت؛ أرادتني أن آخذ قرصًا منومًا ذات ليلة... كان هناك شيء في رأسها، ولكنني رميت القرص. وهنا بدأت في الاعتقاد أنها فقدت عقلها...".

"أظن ذلك. وهذا صحيح إلى حد ما. ولكنه ليس صحيحًا من الناحية القانونية. كانت تعرف معنى تصرفها...".

قال دكتور تانيوس بحزن:

"لطالما كانت أفضل مني بكثير".

كانت عبارة غريبة لرثاء قاتلة اعترفت على نفسها!

الثلاثون

كلمة أخيرة

لم يعد لديَّ الكثير لأرويه.

تزوجت تريزا من طبيبها بعد ذلك بفترة قصيرة. أصبحت أعرفهما جيدًا الآن، كما أصبحت أقدر وأحترم دكتور دونالدسون، أحترم وضوح رؤيته وعمق تفكيره، وقوته الداخلية وإنسانيته، رغم أن تصرفاته لا تزال جافة ودقيقة كعادته. وأصبحت تريزا تقلده في كثير من الأحيان. أظنها سعيدة للغاية ومشغولة جدًا بعمله. وقد صنع بالفعل لنفسه اسمًا كبيرًا، وأصبح طبيبًا متخصصًا في وظائف الغدد الصماء.

أما الآنسة لوسون، في نوبة الضمير الحادة التي انتابتها، تحتم منعها بالقوة من أن تحرم نفسها من كل مليم ورثته. حتى تم التوصل لاتفاق بين جميع الأطراف بواسطة السيد بيرفيس، يقسم ثروة الآنسة أروندیل بين الآنسة لوسون، وتريزا وتشارلز، وطفلي دكتور تانيوس.

بدد تشارلز نصيبه خلال عام تقريبًا أو أكثر، وأظنه الآن في كولومبيا البريطانية.

ولكن حدث أمران.

قالت الآنسة بيبودي بعدما أوقفتنا ونحن نخرج من بوابة منزل ليتلجرين ذات يوم: "أنت شخص ذكي، أليس كذلك؟".

"نجحت في التكتم على كل شيء! لن يتم تشريح الجثة. لقد سار كل شيء على نحو مرضٍ".

قال بوارو بلطف: "يبدو أنه ليس هناك شك أن الآنسة أروندیل توفيت من جراء مرض ضمور الكبد الأصفر".

قالت الآنسة بيبودي: "هذا مُرضٍ للغاية. سمعت أن بيلا تانيوس تناولت جرعة زائدة من الأقراص المنومة".

"نعم، أمر محزن للغاية".

"كانت سيدة بائسة للغاية؛ لطالما أرادت ما لم تحصل عليه. أحيانًا يصبح الأشخاص من هذه الشاكلة غرباء بعض الشيء. كانت لديَّ خادمة في المطبخ. كانت بسيطة للغاية هي الأخرى. شعرت بذلك. بدأت في كتابة خطابات مجهولة، أحيانًا يقدم الناس على تصرفات غريبة. أها، أقول إن كل هذا من أجل الأفضل".

"نتمنى ذلك يا سيدتي. نتمنى ذلك".

قالت الآنسة بيبودي، وهي تستعد لتكمل سيرها: "حسنًا سوف أقول لك الشيء نفسه. لقد تكتمت على الأمور بطريقة لطيفة. لطيفة جدًا بالفعل"، ثم مضت في طريقها.

سمعت "نباحًا" حزينًا من خلفي.

التفت وفتحت البوابة.

"تعال يا صديقي".

قفز بوب على الفور. كان يحمل كرة في فمه.

"لا يمكننا أن نأخذها معنا في جولتنا".

تنهد بوب، ثم التفت ببطء وألقى الكرة إلى الداخل. نظر إليها بتلهف ثم مر من جوارها.

نظر إليَّ وكأنه يقول لي:

"ما دمت ترى ذلك يا سيدي، فأظنك محقًا".

أخذت نفسًا عميقًا.

"أقول يا بوارو إنه من الجيد أن نحظى بكلب مرة أخرى".

قال بوارو: "غنائم حرب. ولكنني سأذكرك يا صديقي، أن الآنسة لوسون أهدتني *أنا* الكلب ولم تهدك *إياه*".

قلت له: "ممكن. ولكنك لا تجيد التعامل مع الكلاب يا بوارو. أنت لا تفهم نفسية الكلاب! وأنا وبوب صرنا نفهم بعضنا البعض بشكل ممتاز، أليس كذلك؟".

نبح بوب بنبرة مفعمة بالحيوية: "هوو، هوو".

الشاهد الصامت

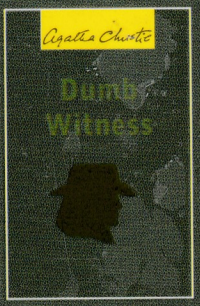

ظن الجميع أن حادث سقوط إميلي أروندیل على كرة من المطاط تركت على السلالم قد تسبب فيه كلبها. ولكنها كلما فكرت في سقوطها أكثر، زاد اقتناعها بأن أحد أقاربها كان يحاول أن يقتلها...

في السابع عشر من شهر أبريل كتبت شكوكها في خطاب وأرسلته إلى المحقق هيركيول بوارو. الغريب في الأمر أنه لم يتلق الخطاب حتى الثامن والعشرين من شهر يونيو... بعد وفاة إميلي بالفعل.

«قدرة أجاثا كريستي على ابتكار حبكات فنية معقدة، بالإضافة إلى فهمها للطبيعة الإنسانية في أفضل وأسوأ صورها جعل رواياتها صالحة لكل الأزمنة».

- جان بورك، المؤلفة الحائزة على جائزة عن سلسلة ألغاز إيرين كيلي.

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الشاهد الصامت
الستارة
بعد الجنازة
شر تحت الشمس
الجريمة النائمة
العدو الخفي
قطة بين الحمام
الموت على ضفاف النيل

«أجاثا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية الأكثر مبيعًا على مدار التاريخ؛ حيث لم تتمكن أية أعمال أخرى من تخطي مبيعاتها سوى أعمال شكسبير، فقد بيع أكثر من مليار نسخة من أعمالها باللغة الإنجليزية، إلى جانب مليار نسخة أخرى مترجمة إلى مائة لغة. توفيت أجاثا كريستي عام ١٩٧٦».

ISBN 628-107207967-3
6 281072 079673
282205779

النسخة الكترونية
قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore